بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

وبعد:

فامتثالًا لقول الله عز وجل:

﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: 79]، واتباعًا لحديث رسول الله ﷺ: **«خَيركم من تعلَّم القرآن وعلّمه»**(1)؛ قمت – بتوفيق الله – بإعداد هذا المختصر اللطيف بعد دراسة متوفاة لتفسير جزء عم، وهذه الدراسة المستوفاة كانت ضمن خطتي لإخراج ذلكم المشروع الكبير وإنجازه؛ ألا وهو تفسير القرآن الكريم في سؤال وجواب، الذي وَسَمْتُه باسم:

«التسهيل لتأويل التنزيل».

وقد صدر منه للآن- والحمد لله – أجزاء كثيرة – كما أسلفنا – في صورة السؤال والجواب، وكذال مجلدان خامس وسادس، ألا وهما التسهيل لتأويل التنزيل: (جزء عم).

فرأيت بعد إخراج جزء عم في صورة السؤال والجواب أن اختصاره بما يتناسب ويتمشى مع عوام المسلمين، بعيدًا عن المسائل الفقهية والمباحث الأصولية والتخريجات الحديثية المطوَّلة – إلا ما لابد منه – وراعيت في هذا المختصر سهولة الألفاظ ووضوح العبارات والاقتصار- في الغالب – على الرأي الذي ترجَّح لديَّ من آراء العلماء وأقوالهم، حتى لا يمل القاريء ولا يتشتت، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

وسميت هذا الكتاب الذي هو بين أيدينا باسم **«تفسير الربانين لعموم**

---

(1) أخرجه البخاري (مع الفتح 9/ 74) من حديث عثمان ﷺ.

المـؤمنين» أسـأل الله أن ينفـع بـه الإسـلام والمسـلمين، وأن يجعلـه فـي سـجل حسناتنا يوم نلقاه. وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تَأْلِيفُ

أَبِي عَبد الله مُصطَفَى بن العَدَوي

مصر – الدقهلية- منية سمنود

سورة النبأ

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني مفردات السورة الكريمة

1- ﴿عَمَّ﴾: عن أي شيء.

1- ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾: يسأل بعضهم بعضًا.

2- ﴿ٱلنَّبَإِ﴾: الخبر.

3- ﴿مِهَٰدًا﴾: ممهدة مستوية.

4- ﴿أَوْتَادًا﴾: جمع وتد وهو ما يُدق في الأرض.

5- ﴿سُبَاتًا﴾: راحةً وسكونًا.

6- ﴿سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾: شمسًا مضيئة منيرة.

7- ﴿ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾: السُّحب.

8- ﴿ثَجَّاجًا﴾: منصبًّا كثيرًا متتابعًا.

9- ﴿وَجَنَّٰتٍ﴾: حدائق وبساتين.

10- ﴿أَلْفَافًا﴾: ملتفة.

17- ﴿مِيقَٰتًا﴾: موعدًا ومكانًا للاجتماع.

18- ﴿أَفْوَاجًا﴾: جماعات جماعات.

20- ﴿سَرَابًا﴾: كالسراب، ليس بشيء.

- ﴿مِرْصَادًا﴾: تنتظر أهلها وتترقبهم.
- ﴿لِّلطَّاغِينَ﴾: الذين طغوا وتجاوزوا الحد.
- ﴿مَئَابًا﴾: مرجعًا ومنزلًا.
- ﴿لَّابِثِينَ﴾: ماكثين.
- ﴿أَحْقَابًا﴾: أزمنة طويلة جدًّا.
- ﴿بَرْدًا﴾: شيئًا يبرد الجوف.
- ﴿حَمِيمًا﴾: شرابًا حارًّا جدًّا.
- ﴿وَغَسَّاقًا﴾: صديد أهل النار.
- ﴿وِفَاقًا﴾: موافقًا لأعمالهم.
- ﴿لَا يَرْجُونَ﴾: لا يخافون – لا يتوقعون.
- ﴿كِذَّابًا﴾: تكذيبًا كبيرًا.
- ﴿مَفَازًا﴾: فوزًا بالجنة.
- ﴿وَكَوَاعِبَ﴾: أبكارًا لم يتدل ثديهن.
- ﴿أَتْرَابًا﴾: في سنٍّ واحدة.
- ﴿دِهَاقًا﴾: ممتلئة صافية.
- ﴿لَغْوًا﴾: كلامًا لا فائدة فيه.
- ﴿كِذَّابًا﴾: تكذيبًا من بعضهم لبعض.
- ﴿حِسَابًا﴾: كافيًا وزائدًا على أعمالهم.
- ﴿خِطَابًا﴾: كلامًا.
- ﴿صَوَابًا﴾: حقًّا.
- ﴿مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾: ما عمل من خير أو شر.

* * *

تفسير سورة النبأ

سورة النبأ يطلق عليها أيضًا (سورة عم)، ولكثير من سور القرآن عدة

أسماء، فسورة التوبة، يطلق عليها (سورة براءة)، وسورة الإسراء هي (سورة بني إسرائيل)، وسورة فاطر يطلق عليها (سورة الملائكة)، وسورة غافر يطلق عليها (سورة المؤمن)، وسورة محمد يطلق عليها (سورة القتال)، وسورة الملك يطلق عليها (سورة تبارك) إلى غير ذلك.

وسورة النبأ سورةٌ مكية؛ أي أنها نزلت على رسول الله ﷺ بمكة، أما السور المدنية فهي التي نزلت على رسول الله ﷺ بالمدينة.

قولـه تعـالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ﴾: أتـدري عـن أي شيء يسأل بعضهم بعضًا وفي أي شيء يتحدثون؟!!.

إنهم يتساءلون عن خبرٍ خطيرٍ! ويتحدثون في أمرٍ كبير!!.

إن هذا الخبر هو البعث بعد الموت، هو خـروجهم مـن قبـورهم أحيـاءً يـوم القيامة بعـد مـوتهم!! يتسـاءلون أيضًـا عـن القـرآن الـذي جـاء فيـه هـذا الخبـر! يتساءلون عن النبي الذي جاء بهذا القرآن!! يتسـاءلون ولا يهتـدون إلـى جـوابٍ سديدٍ ولا إلى رأيٍ رشيدٍ!!.

لا يجتمعون على صوابٍ ولا يتفقون على جواب!!

أهل الشرك منهم من يُنكر البعث، ومنهم من يَشُكُّ فيه، منهم من يقول:

﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۢ﴾ [الرعد: 5].

ويقول: ﴿مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ﴾ [يس: 78].

ويقول: ﴿أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٖۚ﴾ [السجدة: 10].

﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ﴾ [النمل: 66].

قالوا عن القرآن:

﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾ [الفرقان: 5].

قالوا: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ ۝٢٤ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ﴾ [المدثر: 24، 25].

قالوا عن النبي ﷺ: ﴿هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ﴾ [ص: 4].

هذا هو دينهم: شركٌ بالله، إنكار للبعث، طعنٌ في القرآن، تكذيب للنبي ﷺ.

أما المسلمون، أما المؤمنون فإنهم يقولون: نعم هذا سيكون، نعم سنخرج من القبور أحياءً يوم القيامة.

نعم هناك بعث، نعم هناك حساب، نعم هناك جنةٌ، نعم هناك نارٌ.

وأهل الإسلام في الجنان، وأهل الكفر في النيران، وأهل الخير والصلاح في النعيم، وأهل الشر والفساد في الجحيم.

نعم هذا القرآن من عند الله:

﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ **[فصلت: 42]**.

ما هو بقول شاعر ولا بقول كاهن.

والذي أُنزل عليه القرآن صادق أمين، وهو محمد عليه أفضل صلاة وأتم تسليم، ما هو بشاعر ولا بكاهن ولا كذاب، ولا مفتر، ولا مجنون، إنه صادق حقًّا، يخبر عن الله صدقًا ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ **[النجم: 3، 4]**.

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ كَلَّا﴾: نفي وردع وزجر، فليس الأمر كما يزعم هؤلاء الكفار من أنه لا بعث ولا جنة ولا نار، ليس الأمر كما يزعمون بأن القرآن تنزَّلت به الشياطين، ليس الأمر كما يزعمون أن محمدًا ساحر أو مجنون.

﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ سيعلمون أن هناك حسابًا، وأن الجنة للأبرار، والنار للفجار، سيعلمون أن القرآن حق من عند الله، وما أخبر به صدق، سيعلمون أن محمدًا ﷺ رسول الله، سيعلمون ذلك عند خروج أرواحهم من أجسادهم، وعند سؤال الملكين لهم في قبورهم، ويوم القيامة عند خروجهم للحساب؛ سيتأكدون من ذلك غاية التأكيد، ويتحققون منه غاية التحقق، ولهذا كُرر قوله: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا﴾**:** يوجه الله – سبحانه – نظر هؤلاء الذين أنكروا البعث وكذل سائر عباده إلى قدرته على إحيائهم بعد موتهم، فهو سبحانه

قد خلق ما هو أكبر وأعظم من الناس.

فالخالقُ الشيء الكبير الجليل قادرٌ على خلق ما هو أصغر منه، فخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس، كما قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: 57].

فالذي خلق السموات والأرض قادر على أن يعيد الناس أحياءً بعد موتهم.

وها هي بعض أدلة قدرته سبحانه:

فمن قدرته سبحانه أنه خلق الأرض وجعلها مستوية ممهدة للخلائق كالمهاد للطفل، فكما أن فراش الطفل ممهدٌ له، ومهيأ له، فالأرض كذلك للخلق.

﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾: ومن قدرته سبحانه أنه ثبَّتَ الأرض بالجبال وربطها بها كما يرطب الشيء في الوتد.

ومن قدرته سبحانه أنه خلق أزواجًا كما قال تعالى:

﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا﴾: أي ذكرانًا وإناثًا، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾ [النجم: 45].

فلو كان الخلق كلهم ذكورًا لفسد الحال، وكذلك لو أن الخلق كلهم إناث. وخلقهم أزواجًا أيضًا أي أصنافًا وأنواعًا، فمنهم القوي ومنهم الضعيف، ومنهم الغني ومنهم الفقير، ومنهم الطويل ومنهم القصير، ومنهم الذكي ومنهم الغبي، ومنهم الجميل ومنهم الدميم، ومنهم الأبيض والأسود والأحمر على غير ذلك كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ [الروم: 22].

ومن قدرته ورحمته بالعباد أنه سبحانه وتعالى جعل نومهم سباتًا كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾: أي راحة لأبدانهم وسكونًا وهدوءًا، فيعود إليهم النشاط بعد التعب والإرهاق، إذا نام أحدهم واستراح.

ومن قدرته أنه جعل لهم الليل كاللباس، كما قال تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾: أي: ساترًا يسترهم حتى يتحقق لهم الهدوء والسكون، فمن أراد أن يبتعد عن الناس ويسكن فالليل له سكن، ومن أراد أن يعبد ربَّه حيث لا يراه الناس فالليل يستره عن عيونهم، ومن أراد أن يهرب من عدوه فالليل يستره.

ومن قدرته سبحانه أن جعل النهار معاشًا للعباد كما قال تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴾:

أي: وقتًا مهيَّأً للمعاش، فجعله مشرقًا مضيئًا منيرًا ليتمكن الناس فيه من الذهاب والمجيء للتكسب والمعاش، وابتغاء الفضل من الله.

ومن عظيم قدرته أنه سبحانه بني فوقهم سبع سموات بناها بناءً شديدًا محكمًا كما قال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾:

وكما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ **[الذاريات: 7]**؛ أي: لا تشققات فيها ولا تصدعات ولا فروج وبلا أعمدة.

فالبشر إذا أرادوا بناء سقفٍ لابد له عندهم من أعمدة يقام عليها أو جدران، ثم بعد مدة من الزمن تعتريه التشققات والتصدعات، وأيضًا لا يستطيعون إقامة سقوفٍ إلا باتساع محدود بالأمتار ولا يكاد يزيد، أما السموات في اتساعها وارتفاعها وتماسكها وحسنها وبهائها وزينتها كل ذلك يدل على قدرته سبحانه على إعادة الخلق.

ومن دلائل قدرته سبحانه أنه أنزل من المعصرات التي هي السُّحب ماءً ثجاجًا كما قال: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا﴾: **أي:** منصبًّا متتابعًا، وهو ماء المطر أنزله إلى الأرض فقبلته الأرض:

﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا ﴾: فأخرج الله به الحب، وهو ما يأكله الناس؛ كالأرز، والقمح، والشعير.

﴿وَنَبَاتًا﴾: وأنبت الله به النبات، وهو ما تأكله الدواب من الكلأ والعشب

والحشيش والتبن وسائر ما تأكله البهائم.

﴿وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا﴾: وظهرت البساتين والحدائق ذات الأشجار الملتفة المجتمعة.

أليس الذي فعل هذا كله بقادر على أن يحيي الموتى؟!!!

بل إنه على كل شيء قدير.

﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ﴾: وهو يوم القيامة، ذلك اليوم الذي يُفصل فيه بين العباد، أي يُحكم فيه بينهم، ويُميز فيه بين المؤمن والكافر، ويؤخذ فيه للمظلوم من الظالم.

﴿كَانَ مِيقَٰتًا﴾: أي موعدًا موقتًا بأجل محدود لا يزيد عليه ولاينقص، وميقات أيضًا – أي مكان – تجتمع فيه كل الخلائق.

﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا﴾: في هذا اليوم – يوم الفصل – تحدث أمور عظيمة هائلة؛ ينفخ الملك وهو (إسرافيل) في الصور؛ والصور: قرن يُنفخ فيه، فيخرج الناس من القبور إلى الحساب، و﴿أَفۡوَاجٗا﴾ أي جماعات، جماعات، أما عند الحساب فكلٌّ يأتي ربَّه وحيدًا، كما قال تعالى: ﴿وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا﴾ [مريم: 95].

أما السماء التي كانت متماسكة شديدة التماسك لا فطور فيها ولا ثقوب ولا فتحات ولا تصدعات، كما وصفها الله:

﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ﴾ [ق: 6]، وكما قال تعالى: ﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ﴾ [الملك: 3]، وكما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ﴾.

هذه السماء تُرى ماذا حدث لها؟!.

﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا﴾: إنها قد تشققت وانفطرت وأصبحت ﴿أَبۡوَٰبٗا﴾ أي: طرقا ومسالك تنزل منها الملائكة، كما قال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان: 25].

أما الجبال ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا﴾: فإنها تزاح وتُبعد عن أماكنها وتسيَّر ولا يبقى إلا مكانها، فينظر الناظر إليها فيراها كأنها قائمة وليس هناك في الحقيقة

شيء قائم، كما قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: 88]، وكما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: 47].

ينظر الشخص إلى أماكن الجبال فيظن أن هناك جبالًا وليس هناك شيء، إنما هي كالسراب الذي يراه الشخص من بعيد يتوهمه ماءً وليس هو بشيء.

ويُخبر الله عز وجل عباده عن جهنم بقوله ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٢١ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾: أي إنها تترقب أهلها وترصدهم، فالناس يمرون عليها، وهي تعرف أهلها.

﴿لِّلطَّٰغِينَ﴾: الطغاة الذين تجاوزوا الحد في الظلم والعدوان وأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا، وأنكروا البعث وكذبوا المرسلين، فتحبسهم فيها وتكون لهؤلاء الطاغين.

﴿مَـَٔابًا﴾: أي منزلًا ومرجعًا، أما من لم يكن من أهلها فإنه يمر عليها وينصرف وينجو منها.

أما أهلها الذين هم أهلها من هؤلاء الطغاة المفسدين المشركين فلا يخرجون منها أبدًا، ولكنهم ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ مئات السنين بل آلاف السنين:

﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾: في هذه الأحقاب ليس هناك شراب يُبرد أجوافهم وقلوبهم، ولا هواءٌ باردٌ يتنفسونه يرطب عليهم، ليس لهم ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ لا يذوقون إلا الحميم وهو الشراب الذي بلغ أعلى درجات الحرارة، وليس لهم إلا ﴿وَغَسَّاقًا﴾: وهو غسالة أهل النار وما يسيل من صديدهم، ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾: أي جزاء موافقًا لأعمالهم أعمال السوء التي عملوها، فقد كان هؤلاء المفسدون كما وصفهم الله بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾: أي لا يخافون الحساب ولا يتوقعونه يومًا ما، ولعدم خوفهم الحساب فإنهم ﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا﴾: أي كَذَّبوا بآيات الله تكذيبًا كبيرًا، وبالغوا في التكذب، فكلما جاءتهم آية كَذَّبوا بها وأنكروها.

﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا﴾: وكل هذا التكذيب الذي كذّبوه والإنكار الذي أنكروه، بل وكل شيء عملوه، وكل قولٍ قالوه قد جمعناه وأحصيناه وعددناه،

وكتبته ملائكتنا في كتاب، كما قال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾: وسنخرجه لهم يوم القيامة يقرؤونه ويطَّلعون عليه، وينظرون إلى ما قدَّموه وفعلوه وما اقترفوه واجترحوه، كما قال سبحانه: ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: 13، 14].

وكما قال تعالى: ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ﴾ [المجادلة: 6]: وكما قال تعالى: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: 49].

وماذا بعد هذه السنين الطويلة؟! ماذا بعد مئات السنين؟! ماذا بعد آلاف السنين؟! ماذا بعد هذه الأحقاب؟! هل هناك راحة؟ هل هناك موت؟.

كلا، لا راحة ولا موت، بل ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾: فذوقوا أيها الكافرون فليس هناك إلا زيادة في العذاب، ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الحج: 23]، وكما قال تعالى: ﴿مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ [الإسراء: 97]، وكما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۗ﴾ [النساء: 56].

أما المتقون الذي جعلوا بينهم وبين النار وعذاب الله وقايةً بطاعتهم لله وبُعدهم عن المحرمات، الذين جعلوا بينهم وبين النار وقاية بتصديقهم الرسل وإيمانهم بالبعث، الذين جعلوا بينهم وبين النار وقاية بتوحيدهم لله وتركهم الشرك، فإن سألت عن حالهم وما أُعد لهم فها هي حالهم: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾: لهم فوز بالمطلوب، وهو الجنة ورضوان الله عليهم. فاز هؤلاء المتقون بـ ﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا﴾: ينعم هؤلاء المتقون بـ ﴿ حَدَائِقَ﴾: وهي البساتين التي أحدقت بها الأشجار؛ أي أحاطت بها من كل جانب، لهم أيضًا ﴿وَأَعْنَابًا﴾: أشجار العنب، يتمتع هؤلاء المتقون في الجنان بـ ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾: أما الكواعب: فهن فتيات أبكارًا لم تتدل أثديتهن، فالثدي باق على حاله النضرة

المتماسكة لكونهن أبكارًا، وهؤلاء الكواعب ﴿أَتْرَابًا﴾: أي في سنٍ واحدة، وهن متآخيات متصافيات لا يحملن لبعضهم غِلًّا ولا حِقدًا ولا حسدًا ولا ضعينةً، يشربون في الجنان ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾: كأس الخمر الصافية الممتلئة، لا تسبب لهم هذه الخمر ذهاب العقل ولا يصدر منهم عند شربها ولا لغو ولا شتم ولا تكذيب من بعضهم لبعض، قال تعالى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا﴾: كما قال تعالى: ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ [الطور: 23].

هذا النعيم الذي أنعم الله به عليهم ﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾: جزاءً لأعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا، وعطاءً كافيًا مقابل هذه الأعمال، بل زائدًا عليها هذا الجزاء جزء من ربك لا من أحدٍ سواه، وكيف بالجزاء وكيف بالعطاء إذا كان من الله سبحانه وتعالى على الأعمال الصالحة إنه عطاء ما فوقه عطاء، إنه عطاء وجزاء من ﴿رَّبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾: كيف إذا كان هذا العطاء من رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن؟!.

﴿الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾: أي لا يقدر أحدٌ على مخاطبة الله عز وجل يوم القيامة إلا إذا أذن الله له بذلك ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [هود: 105] ولا يملك أحد أن يسأله شيئًا إلا إذا أذن له في السؤال كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: 255].

أما الضمير في قوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾: فقد قال بعض العلماء: إنه راجع إلى المشركين، ومنهم من قال: إنه راجع إلى المؤمنين لعلمهم أن الله عدلٌ لا يجور، فلا يُترك شيء لهم يتكلمون فيه: والصواب في ذلك أنه عام، فأهل السموات والأرض جميعهم لا يملكون منه خطابًا.

في هذا اليوم ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾: يقوم الروح الذي هو جبريل والملائكة معه فَيُصفُّون صفوفًا كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: 22].

فَيصفُّون على حسب مراتبهم ومنازلهم ودرجاتهم كما في قولهم: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾ [الصافات: 164، 165].

وكما قال النبي ﷺ: «ألا تُصفُّون كما تُصَفُّ الملائكة عند ربها؟!»(1).

كل هؤلاء يقومون لا يتكلمون، إلا من أَذِنَ الله له بالكلام، وإذا تكلَّم تكلَّم بالحق، ومن العلماء من قال: إن الروح أرواح بني آدم، وهناك أقوال أُخر في تفسير الروح.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾: ذلك هو اليوم الحقيقي الذي يستحق أن يقال له يوم، ففيه تبلى السرائر، وتنكشف الضمائر، ويبعثر ما في القبور، ويُحصَّل ما في الصدور، ويظهر فيه كل حق وينتصر، ويزهق فيه كل باطل ويُخذل، ذلك اليوم سيتحقق ويقع وسيكون.

﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾: فمن شاء عمل أعمالًا صالحة يلقى بها ربه سبحانه وتعالى وتدَّخر له عند الله حتى يرى ثوابها في هذا اليوم ويُكرم بجزائها.

﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾: إنه قد حذَّرناكم من عذاب يوم القيامة، وهو قريب، وقد قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: 1]، وقال تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: 1]، وقال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: 1].

فليعمل العاملون لهذا اليوم القريب، ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾: يبحث المرء يوم القيامة عن أعمال صالحةٍ عملها يتقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى، يرى المرء أعماله من خير أو شر بين يديه، وحينئذ يحصل الافتراق والتمييز، فالمؤمن يحمد الله ويقول ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ [الحاقة: 19- 22].

نسأل الله أن يجعل أهل إيمان ويورثنا أعالي الجنان.

أما الكافر فيقول: ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾، ويقول: ﴿يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ

---

(1) أخرجه مسلم (430) من حديث جابر بن سمرة ﷺ مرفوعًا.

﴿٢٦﴾ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ﴾ [الحاقة: 25- 32].

* * *

سورة النازعات

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني مفردات السورة الكريمة

1- ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾: ملائكة ينزعون روح الكافر.

1- ﴿غَرۡقٗا﴾: مستغرقة في النزع أي أنها تنزع بشدة.

2- ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ﴾: ملائكة تنشط روح المؤمن لتخرجها برفق.

3- ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ﴾: ملائكة تسبح بين السماء والأرض.

4- ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ﴾: ملائكة تسبق بالوحي من الله إلى رسله.

5- ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾: ملائكة تدبر الأمور.

6- ﴿ٱلرَّاجِفَةُ﴾: النفخة الأولى.

7- ﴿ٱلرَّادِفَةُ﴾: النفخة الثانية.

8- ﴿وَاجِفَةٌ﴾: خائفة مضطربة.

9- ﴿خَٰشِعَةٌ﴾: ذليلة حقيرة.

10- ﴿ٱلۡحَافِرَةِ﴾: الحياة قبل الموت.

11- ﴿نَّخِرَةٗ﴾: متفتتة بالية.

12- ﴿كَرَّةٌ﴾: رجعة.

13- ﴿زَجۡرَةٞ﴾: نفخة وصيحة.

14- ﴿بِٱلسَّاهِرَةِ﴾: وجه الأرض.

16- ﴿ٱلۡمُقَدَّسِ﴾: المبارك المطهر.

16- ﴿طُوًى﴾: مرتين (يعني أنه قدس مرتين) اسم للوادي – مطوى كطي البئر المبطنة بالأحجار.

17- ﴿طَغَىٰ﴾: تجاوز الحد في الظلم.

18- ﴿تَزَكَّىٰ﴾: تتطهر من الكفر والمعاصي.

19- ﴿وَأَهْدِيَكَ﴾: أدلك (على عبادة ربك).

23- ﴿فَحَشَرَ﴾: جمع.

25- ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ﴾: عاقبة الله – أهلكه الله.

25- ﴿نَكَالَ﴾: النكال العقوبة الشديدة التي تمنع من سمع بها من ارتكاب مثل هذا الذنب.

26- ﴿لَعِبْرَةً﴾: عظة وزاجرًا.

28- ﴿سَمْكَهَا﴾: سقفها – بنيانها.

29- ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾: جعل ليلها مظلمًا.

29- ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾: أظهر ضوءها.

30- ﴿دَحَىٰهَآ﴾: بسطها – أصلحها للإنبات وأخرج منها الماء والمرعى.

31- ﴿وَمَرْعَىٰهَا﴾: النبات الذي ترعاه الأنعام.

32- ﴿أَرْسَىٰهَا﴾: ثبتها في الأرض.

33- ﴿مَتَٰعًا﴾: منفعة.

34- ﴿ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾: يوم القيامة.

35- ﴿سَعَىٰ﴾: عَمِلَ.

36- ﴿وَبُرِّزَتِ﴾: ظهرت.

38- ﴿وَءَاثَرَ﴾: فصَّل – قدَّم.

41- ﴿ٱلْمَأْوَىٰ﴾: المنزل الذي يأوي إليه.

42- ﴿مُرْسَىٰهَا﴾: قيامها.

44- ﴿مُنتَهَىٰهَآ﴾: منتهى عملها.

46- ﴿عَشِيَّةً﴾: من الظهر إلى المغرب.

* * *

تفسير سورة النازعات

يقول الله سبحانه: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾:

الواو في قوله ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾، ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ﴾، ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ﴾ كلها واو القسم، كالواو في قول القائل: (والله)، فيقسم الله سبحانه وتعالى بالنازعات والناشطات والسابحات، والله سبحانه وتعالى يقسم بالأرض، ويقسم بالشمس وبالقمر وبالنجم، ويقسم بالبلد الأمين...، ولكن لا يجوز لأحدٍ من الناس أن يُقْسم إلا بالله، وذلك لقول النبي ﷺ: **«من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت»**، ولقوله عليه الصلاة والسلام: **«من حلف بغير الله فقد أشرك»**.

فيقسم الله بالنازعات، يقول الله سبحانه: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا﴾: فالنازعات ملائكة تنزع أرواح الكافرين، تنزعها نزعًا شديدًا عنيفًا، تجذبها من جسم الكافر بشدة وبعنف، وتبالغ في النزع (أي الجذب) وتستغرق فيه، وهو قوله: ﴿غَرۡقٗا﴾: أي مستغرقةً في النزع، وذلك لأن الكافر إذا سمع ما أعدَّه الله له من العذاب تفرَّقت روحه من جسده، كما روى الإمام أحمد – رحمه الله – وغيره بإسناد صحيح عن البراء بن عازب ڤ قال: قال النبي ﷺ: **«وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح، فيجلسون منه مدَّ البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول»**(1).

---

(1) أخرجه أحمد (المسند 4/ 287، 295، 296) وأبو داود (4753)، والطيالسي (753) والحاكم

أما قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ﴾: فالناشطات ملائكة مختصة بنزع أرواح المؤمنين تقوم بتنشيط أرواح المؤمنين، حتى تخرجها من الجسم بسهولةٍ ويسرٍ، ورفقٍ ولينٍ، فترى روح المؤمن ما أعده الله لها من الكرامة والثواب والحبرة والسرور، ترى الاستقبال الحافل من الملائكة الذين يتنزلون عليهم عند موتهم قائلين: ﴿أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ **[فصلت: 30- 32].**

ترى ذلك كله فتخرج الروح من الجسد تسيل كما تسيل القطرة من فِيّ السقاء، كما في حديث البراء بن عازب الذي أشرنا إليه قريبًا، ففيه أن النبي ﷺ قال: **«إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مدَّ البصر، ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس المطمئنة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان قال فتخرج تسيلُ كما تسيلُ القطرة من فِيّ السقاء....»** الحديث.

ويُقسم الله أيضًا بالسابحات: وهي على أرجح الأقوال ملائكة تسبح عند نزولها من السماء إلى الأرض، والنجوم أيضًا تسبح في أفلاكها في السماء، والسفن أيضًا سابحات.

أما السابقات: فهي الملائكة التي تسرع وتتسابق في امتثال أوامر الله وتبليغ ما كُلِّفَتْ به، فإذا كَلَّفَها الله بوحيٍ إلى الأنبياء أسرعت في تبليغه إليهم وسبقت الشياطين، وإذا عمل العبد عملًا صالحًا سارعت بتبليغه وكتابته، كما قال الرسول ﷺ - عندما قال الصحابي: ربنا لك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه:

(1/ 37 -40).

«لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكًا يبتدرونها أيهم يكتبها أول»(1).

والسابقات أيضًا الخيل التي تسبق غيرها إلى الجهاد، والسابقات أيضًا الأرواح تسبق الأجساد إما إلى الجنة وإما إلى النار، فأرواح المؤمنين تسبق أجسادهم إلى الجنة كما قال النبي ﷺ: **«إنَّ نسمة المؤمن طائر تعلَّق في شجر الجنة حتى يرجعها الله إلى جسده يوم القيامة»**(2).

أما: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾: فهي الملائكة التي تدبر أمور الخلائق بإذن ربها من السماء إلى الأرض.

وإذا سأل سائل فقال: على أي شيء أقسم ربنا عز وجل بالنازعات والناشطات والسابحات؟

فالجواب: أن الله أقسم على أن البعث آت وأن القلوب – خاصة قلوب الكفار – ستكون يوم القيامة واجفة، وهذا يوم القيامة ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾: أي عند النفخة الأولى من الصور: ﴿تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾: أي النفخة الثانية، فالمعنى: والنازعات لتبعثن يوم القيامة، ولتكونن القلوب واجفة كما قال تعالى: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾: أي: خائفة مضطربة.

﴿أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ﴾: أي ذليلة مضطربة، والمراد أبصار أصحاب هذه القلوب، كان هؤلاء الكفار أصحاب هذه القلوب المضطربة والأبصار الخاشعة ينكرون البعث، و﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ﴾: أي هل نرد إلى أول حالنا وابتداء أمرنا فنرجع أحياء كما كنا قبل الموت؟! يقولون: أنرجع إلى الأرض التي حفرت فيها قبورنا؟!

كانوا ينكرون البعث ويتعجبون من المرسلين عند إخبارهم بذلك فيقولو: ﴿

---

(1) البخاري (2/ 284).

(2) صحيح: أخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» (376) وأحمد (3/ 455، 456)، والطبراني في «الكبير» (1/ 63، 64، 65، 66)، وابن ماجه (4271)، وأحمد أيضًا (6/ 386)، وبعض طرقه مرسلة، وبعضها متصلة وهو صحيح.

أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۢ ﴾ [الرعد: 5].

يقولـون: ﴿هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ۝٧ أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ﴾ [سبأ: 7، 8].

ويستطردون في التعجب ويستمرون فيه فيقولون: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةً﴾: أنرجع أحياءً بعد مماتنا وتحولنا إلى عظام بالية متفتتة؟! إذا كان هناك رجعة: ﴿قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ﴾: فهي إذ رجعة خاسرة! أي أنهم سيخسرون فيها، ولكنهم يقولون هذا على سبيل التهكم والسخرية ممن يخبرهم بذلك، فبعضهم يتهكم، وبعضهم يفتري الكذب ويقول ﴿وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [فصلت: 50].

ويقول: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا﴾ [الكهف: 36].

هكذا يقولون!!

ولكن أمر البعث ليس بشاق علينا ولا عسير، ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾: أي نفخة واحدة وصيحة واحدة، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾ [القمر: 50].

﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾: فإذا هم على وجه الأرض أحياءً بعد مماتهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ﴾ [ص: 15].

ثم يُذَكِّر الله سبحانه وتعالى نبيه بقصة موسى ﷺ مع فرعون الطاغي؛ تسليةً لرسول الله ﷺ وإذهابًا للهموم عنه – وتصبيرًا له وتثبيتًا، فيصبر كما صبر موسى كما قال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ﴾ [الأحقاف: 35].

فيقول سبحانه: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾: أي هل بلغك ووصل إلى علمك الذي حدث لموسى ﷺ؟!

﴿إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى﴾: لما ناداه الله – عز وجل – وكلَّمه عند الوادي المقدس أي المطهر المبارك... ﴿طُوٗى﴾ مرتين، أي أن الوادي قدس مرتين، أي بورك فيه وطُهِّر مرتين، هذا الوادي بجانب الطور – طور سيناء – إن الله –

عز وجل – أمره أن يذهب إلى هذا الظالم الطاغي فرعون الذي كان يحكم مصر ويظلم العباد، ذلكم الطاغي الذي تجاوز الحد في الظلم والعدوان، فكان يذبح الأبناء ويستحي النساء؛ لإذلال آبائهن وأزواجهن ولاستخدامهن وامتهانهن وللاستمتاع بهن، بل كان يفعل أكثر من ذلك، كان يقول: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، وكان يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: 38]، كان يدَّعي أنه إله!! كان يدَّعي أنه الرب الأعلى!!.

أمر الله نبيه موسى ﷺ أن يذهب إلى هذا الطاغي يُذكِّره بأنه ليس ربًّا وليس إلهًا، بل عبد من عباد الله، فعليه أن يتقي الله ولا يظلم العباد، قال الله لموسى: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾: أي تجاوز الحد في الظلم والعدوان.

﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾: هل لك رغبة في أن تتطهر من الشرك والذنوب والمعاصي وتُسلم وتصلح عملك؟!

﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾: هل لك رغبة في أن أرشدك إلى عبادة ربك وتوحيده؟! هل لك رغبة في أن أدلَّك على الطريق الذي يقربك إلى الله فتصبح من العلماء الذين يخشون ربَّهم؟! فإنما أنا رسول الله أدل الناس على الطريق الذي يقربهم إلى الله، أبَى فرعون ورفض وطلب الدليل من موسى على أنه رسول من عند الله.

﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾: فحينئذٍ رأى فرعون الآية الكبرى والدلالة العظمى على صدق رسالة موسى عليه السلام!.

ماذا رأى فرعون وعلى أي شيء اطَّلع؟ وما هي تلك الآية الكبرى؟

ألقى موسى – عليه السلام- عصاه فإذا هي حية تسعى، إذا بالعصا تتحول إلى ثعبان ضخم عظيم، عظيم جدًّا وهائل ومرعب يتحرك ويجري هنا وهناك، وأدخل موسى يده في جيبه ثم أخرجها فإذا بيده تتحول إلى يدٍ بيضاء شديدة البياض من غير مرض، وذلك بقدره الله سبحانه وتعالى، فهذه وتلك هي الآية

الكبرى (عصا تتحول إلى ثبان مبين!! يدٌ تخرج من الجيب من غير سوء بيضاء للناظرين)، وكان لموسى معجزات أُخر وآيات أُخر كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [الإسراء: 101].

أعظمها (العصا واليد)، لكن هل ترى أن فرعون انتفع بهذه المعجزة، واعتقد أن موسى رسول من عند الله؟ كلا، إنه لم يعتبر ولم يتعظ ولم ينتفع!!.

فالمعجزات لا تنفع إلا أهل الإيمان، والهدى هدى الله سبحانه وتعالى، إن فرعون ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ﴾: كذَّب موسى ووصفه بأنه ساحر عليم.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ﴾: انصرف فرعون هاربًا، وانطلق يفسد في الأرض، ويعمل بالشر والفساد، وأعرض عن المعجزات والآيات.

﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾: أي جمع قومه وجنده ونادى فيهم وأكد لهم دعواه الباطلة.

﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: هكذا يدَّعي هذا المفتري.

﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾: فأهلكه الله وانتقم منه وعاقبه عقوبة عظيمة، عقوبة تمنع من سمع بها من ارتكاب مث هذا الذنب، وفضحه الله عز وجل وشهَّر به، عاقبه الله على كلمته الأولى ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: 38]. وعلى كلمته الأخيرة ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾.

عاقبه الله في الدنيا وأغرقه وجعله نكالًا، وكذلك يُعذَّب في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾ [هود: 98].

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾: أي في هذا الانتقام م هذا الظالم ومن معه عظةٌ يَتَّعظ بها وزاجرٌ ينزجر به عن معصية الله من في قلبه خشية الله – سبحانه – وخوف منه، ثم يقول الله – عز وجل – لبني آدم وخاصة لهؤلاء الذين ينكرون البعث والحساب: هل خلقكم وبعثكم أحياءً بعد موتكم أشد من خلق السماء؟.

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا﴾: فلا شك أن خلق السماء أشد وأعظم من خلق الناس، كما قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا

يَعْلَمُونَ ﴾ [غافر: 57].

الله سبحانه الذي بنى السماء و ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾: أي سقفها وبنيانها بغير عمد.

﴿فَسَوَّىٰهَا﴾: أي خلقها خلقًا مستويًا لا تفاوت فيها ولا شقوق ولا ثقوب.

﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾: أي أظلم ليلها، أي جعل ليلها مظلمًا، وذلك كي تسكنوا فيه وتستريحوا من التعب والإرهاق.

﴿وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾: أي نوَّرها وأخرج ضياءها، وجعل نهارها واضحًا ظاهرًا يُظهر الأشياء.

﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾: قد يَرِدُ هنا سؤال؛ وهو: أيهما خلق أولًا الأرض أم السماء؟!

فالإجابة باختصار فيما ذكره بعض العلماء: أن الله خلق الأرض وقدَّر فيها أقواتها ولم يَدْحها وذلك قبل خلق السماء، ثم استوى إلى السماء فسوَاهن سبع سموات، ثم دحا الأرض بعد ذلك، فأخرج فيها ماءها ومرعاها وأرسى فيها الجبال، فالأرض خُلقت قبل خلق السماء، ثم خلقت السماء، ثم دُحيت الأرض بعد خلق السماء.

وقوله: ﴿دَحَىٰهَآ﴾: معناه بسطها وجعلها صالحة للإنبات.

﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾: فالمرعى هو ما ترعاه الأنعام، وهو أيضًا النبات الذي يأكله الناس.

وقوله: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴾: أي أرساها في الأرض وثبَّت الأرض بها كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ ﴾ [الأنبياء: 31]، كل هذا خلق الله ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾: تلك الأنعام التي يعود نفعها إليكم أيضًا، أليس الذي صنع كل هذا بقادرٍ على أن يحيي الموتى؟!.

وجاء يوم القيامة ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾: فإذا جاءت النفخة الثانية يوم القيامة، فتلك الطامة الكبرى التي تطم (أي تغطي) على كل هولٍ قبلها فهي داهية

تغطي على جميع الدواهي.

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ﴾: يوم مجيء الطامة يتذكر الإنسان ما عمل من خير أو شرٍّ في دنياه.

﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾: أي ظهرت الجحيم كي يراها الخلق أجمعون، وخاصة أهل الكفر كما قال تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ [الشعراء: 91].

وكما قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [مريم: 68]، وكما قال: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزمر: 61].

﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾: أي تجاوز الحد في الكفر والمعاصي وظلم العباد.

﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾: أي وفضَّل الحياة الدنيا على الآخرة وعمل للدنيا فقط وترك العمل للآخرة.

﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾: أي هي مأواه الذ يأوي إليه وينزل فيه ويُقيم.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾: وأما من كان في الدنيا يراقب الله ويعلم أن ربه يراه وأنه سيقف بين يديه يوم القيامة للعرض والحساب وسيُسأل عن أعماله وأقواله....، ....، من عَلِم ذلك كله وعمل لهذا اليوم حسابًا وأعدَّ له عدة من التقوى والأعمال الصالحة والكلم الطيب، ونهى نفسه عن غيّها وهواها.

﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾: مأواه الذي ينزل فيه، ويأوي إليه.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن القيامة.

﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾: أي متى هي؟ فكان رسول الله ﷺ يسأل ربه عن الساعة، فأنزل الله عز وجل عليه: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾: أي لِمَ أنت مكثر من السؤال عن الساعة.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾: فَعِلْمها عند الله لا يعلم وقتها إلا هو.

ومن العلماء من قال قولًا؛ وهو: ﴿فِيمَ﴾: أي فيم هذا السؤال الذي يسألون؛ لماذا يسألونه؟ ﴿أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾: يعني أنت من أشراطها يا محمد، يعني بعثتك دليل

على اقترابها.

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا﴾: أي ما أنت إلا نذير وتحذر من الساعة فينتفع بإنذارك الذين آمنوا وهم الذين يخافون الآخرة ﴿كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا﴾: أي كأن هؤلاء الكفار إذا قامت القيامة ما عاشوا في الدنيا ﴿إِلَّا عَشِيَّةً﴾: ما بين الظهر إلى المغرب، ﴿أَوۡ ضُحَىٰهَا﴾: أي ضحى تلك العشية، أي لم يلبثوا في الدنيا إلا بقدر وقت الضحى فهم يظنون أنهم ما عاشوا إلا ساعات معدودة في هذه الحياة الدنيا، كما قال تعالى: ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ﴾ **[المؤمنون: 112، 113]**.

وكما قال تعالى: ﴿يَحۡشُرُهُمۡ كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡ﴾ **[يونس: 45]**.

* * *

سورة عبس

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني مفردات السورة الكريمة

1- ﴿عَبَسَ﴾: قبض وجهه ضيقًا.

2- ﴿وَتَوَلَّىٰٓ﴾:أعرض بوجهه.

3- ﴿يَزَّكَّىٰٓ﴾:يتطهر من ذنوبه ويزداد تقوى.

4- ﴿يَذَّكَّرُ﴾:يتعظ – يعتبر.

5- ﴿ٱسۡتَغۡنَىٰ﴾: استغنى عن الإسلام.

6- ﴿تَصَدَّىٰ﴾: تصغى إليه وتقبل عليه وتتعرض له.

10- ﴿تَلَهَّىٰ﴾: تتشاغل عنه وتتغافل.

15-﴿سَفَرَةٖ﴾:ملائكة بين الله ورسله.

16- ﴿بَرَرَةٖ﴾:مطيعون.

17- ﴿قُتِلَ﴾:لُعن.

21- ﴿فَأَقۡبَرَهُۥ﴾: جعل له قبرًا يدفن فيه.

22- ﴿أَنشَرَهُۥ﴾: أحياه بعد موته.

28- ﴿وَقَضۡبٗا﴾: البرسيم وعموم علف الدواب.

30- ﴿غُلۡبٗا﴾: الأغلب هو عظيم الرقبة.

31- ﴿وَأَبّٗا﴾:ما تأكله الأنعام ولا يأكله الناس.

33- ﴿ٱلصَّآخَّةُ﴾: القيامة – النفخة في الصور.

38- ﴿مُّسۡفِرَةٞ﴾:مشرقة مضيئة.

40- ﴿غَبَرَةٞ﴾: غبار ودخان.

41- ﴿تَرۡهَقُهَا﴾: تغشاها وتعلوها.

41- ﴿قَتَرَةٌ﴾:كسوف وسواد وذلَّة.

42- ﴿ٱلۡفَجَرَةُ﴾: الظالمون المفترون على الله.

تفسير سورة عبس

قال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾: يُخبر الله عز وجل عن نبيه ﷺ أنه ﴿عَبَسَ﴾: أي قبض وجهه وتضايق وظهر عليه أثر الضيق والكراهية.

﴿وَتَوَلَّىٰٓ﴾: أي أعرض بوجهه لما جاءه عبد الله ابن أم مكتوم، وهو رجل أعمى كان قد أسلم وجاء يسأل عن دينه، وكان النبي ﷺ مشتغلًا بدعوة رجل كافر من عظماء قريش إلى الإسلام، قيل: إن هذا الرجل الكافر هو أبي بن خلف، فأعرض النبي ﷺ عن عبد الله ابن أم مكتوم وتضايق من أسئلته، وأقبل على هذا الرجل القرشي طمعًا في إسلامه، فعاتب الله نبيه في ذلك وأنزل عليه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾.

قالت أم المؤمنين عائشة ڤ: أُنزل ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾: في ابن أم مكتوم الأعمى أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء قريش فجعل رسول الله يُعرض عنه ويُقبل على الآخر ويقول: **«أترى بما أقول بأسًا؟»** فيقول: لا ففي هذا أُنزل(1).

هذا، وقد ذكر بعض أهل العلم أن الرسول ﷺ كان يكرم عبد الله ابن أم مكتوم ويرحب به بعد نزلو هذه الآية.

والحاصل: أن الله عز وجل عاتب نبيه ﷺ لما أعرض عن السائل الأعمى الذ جاء يسأل عن دينه وأقبل على القرشي المستكبر المستغني بما آتاه الله من مالٍ وولدٍ وجاه عن الدخول في الإسلام، فقال الله له:

﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾: أي وما يُعلمك يا محمد لعل هذا الأعمى ﴿يَزَّكَّىٰٓ﴾: أي يتطهر

---

(1) أخرجه الترمذي (3331) والطبري عند تفسير الآية الكريمة ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ [عبس: 1].

من ذنوبه ومعاصيه ويزداد تقوى وإيمانًا.

﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾: أي يسمع منك موعظة فينتفع بهذه الموعظة، وتنال أنت أجر تذكرته وهدايته، فالدال على الخير له مثل أجر فاعله، ثم يعاتب الله نبيه ﷺ عتابًا لطيفًا فيقول له:

﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ﴾: بما آتاه الله من مالٍ وجاه وولد:

﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾: تُقبل عليه وتصغى إليه وتتعرض له رجاء أن يُسلم.

﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾: أي ولن يلحقك إثم من عدم إسلامهم وعدم تطهرهم من ذنوبهم، فإنما أنت منذر ولست عليهم بمسيطر، وما عليك إلا البلاغ.

﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ﴾: وأما من اجتهد في سبيل الوصول إليك.

﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾: وهو خائف وجِلٌ من الله – سبحانه وتعالى – ومن عقابه.

﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾: أي تتشاغل عنه وتتغافل؟!!

﴿كَلَّآ﴾: أي ليس هذا هو التصرف الصحيح اللائق، بل ينبغي أن يكرم أهل الإيمان: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: 54].

فلا يجوز أن يُطرد أهل الإيمان:

﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: 52].

قال سعد بن أبي وقاص[1] ﷺ: كنا مع النبي ﷺ ستة نفرٍ فقال المشركون للنبي ﷺ: أطرد هؤلاء لا يجترئون علينا، قال: وكنت أنا وابن مسعودٍ ورجل من هُذيل ورجلان لست أُسميهما فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدَّث نفسه فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾.

---

(1) أخرجه مسلم في «صحيحه» (2413).

فينبغي أن يصبر الشخص نفسه مع أهل الإيمان ويُكثر من مجالستهم كما قال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ [الكهف: 28].

وقد طلب قوم نوحٍ من نوح عليه السلام أن يطرد الضعفاء المؤمنين به فأبى ذلك وامتنع ﷺ، قال قوم نوح: ﴿أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾، فرد عليه نوح: ﴿قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١١٢ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ ١١٣ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٤ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ [الشعراء: 112- 115].

وقال أيضًا: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٩ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: 29، 30].

فلا ينبغي أن يُطرد أهل الإيمان وإن كانوا فقراء، ولا ينبغي أن يصرف النظر عنهم وإن كانوا ضعفاء، إنما يستقبلون بالبشاشة والترحاب والإكرام والتقدير والحفاوة لإيمانهم بالله وامتثالهم أوامره واتباعهم رسله.

فالفقراء هم أغلب أتباع الرسل، وقد سأل هرقل أبا سفيان عن أصحاب رسول الله ﷺ وعن أتباعه فقال: **«فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟»** قال أبو سفيان: بل ضعفاؤهم، فقال له هرقل: وهم أتباع الرسل(1).

ويغضب الله سبحانه وتعالى لغضبهم، ففي «صحيح مسلم»(2) من حديث عائذ ابن عمرو أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفرٍ فقالوا: والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها، قال: فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال: **«يا أبا بكر لعلك**

---

(1) انظر الحديث بذلك عند البخاري (7)، ومسلم (1773).

(2) أخرجه مسلم (2504).

أغضبتهم، لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك» فأتاهم أبو بكر فقال: يا إخوتاه أغضبتكم؟ قالوا: يغفر الله لك يا أخي.

﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ﴾: ﴿كَلَّآ﴾ كلمة ردع وزجر، والمراد بها هنا بيان أن الأمر ليس كما ظننت وكما فعلت يا محمد من الإقبال على الكافر المستغني والإلحاح عليه والإعراض عن الفقير الضعيف الذي جاء يسعى وهو يخشى.

﴿إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ﴾: أي هذه السورة والموعظة التي وعظناك بها في معاملة من جاء يسعى وهو يخشى وفي معاملة المستغني ﴿تَذۡكِرَةٞ﴾ فلتتذكرها ولتعمل بها ولتبذل العلم للشريف والوضيع، والغني والفقير.

﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾: أي ذكر ربَّه وذكر هذا القرآن بما فيه من مواعظ.

﴿فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ﴾: أي إن هذا القرآن مثبت في اللوح المحفوظ.

﴿مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ﴾: هذه الصحف التي أثبت فيها هذا القرآن بما فيه من مواعظ مرفوعة في مكانها وقدرها، مطهرة من الدنس، ومن الزيادة والنقصان ومن الباطل والزور.

﴿بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ﴾: أي: إن هؤلاء السفرة كرام ﴿سَفَرَةٖ﴾ مطيعون لله عز وجل، فالمعنى: أن هذه السورة بما فيها من تذكرة سواء أذكرها البشر أم لم يذكروها، وسواء أعملوا بها أم لم يعلموا؛ فهي في أيدي خلقٍ مطيعين لله – عز وجل – كرام على الله – سبحانه وتعالى – يتلونها ويرتلونها، وهم الملائكة، فمن قرأها وعمل بها فهو مع هؤلاء السفرة الكرام البررة، كما قال رسول الله ﷺ: **«الماهرُ بالقُرآن مع السَّفَرةِ الكِرَام البررة»**(1).

بعد هذا البيان، وبعد هذه التذكرة، تُصبُّ اللعنات على هذا الإنسان الكافر الجاحد المنكر للبعث. فيقول الله سبحانه:

﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ﴾: لُعن هذا الإنسان الجاحد الكافر، ما أشد كفره وجحوده

---

(1) أخرجه مسلم (798) من حديث أم المؤمنين عائشة ڤ مرفوعًا.

وإنكاره، ما الذي حمله على الكفر وجرَّه إليه؟!

﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾: أيدير هذا الإنسان من أي شيء خلقه الله حتى يتكبر هذا الاستكبار؟ فلو علم من أي شيء خُلق، وتذكر من أي شيء خُلق ما استكبر هذا الاستكبار.

﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾: إنه قد خُلق من نطفةٍ من قطرات المني التي يقذفها الرجل ويتقذرها، خلقه الله من هذه النطفة.

﴿فَقَدَّرَهُ﴾: جعله علقة ثم مضغة ثم عظامًا ثم كسا العظام لحمًا كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: 12- 14].

وقَدَّره أيضًا: شقَّ سمعه وبصره وقدَّر يديه ورجليه، وقدَّر رزقه وعمره وعمله وكتب عليه الشقاوة أو السعادة، كل هذا فعله الله بالعبد وليس للعبد فيه اختيار، وبعد هذا يكفر ويجحد ويُنكر ويستكبر؟

خلق الله هذا الخلق وقدَّره هذا التقدير وسهَّله له.

﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾: ثم يسَّر له سبيل الخروج من بطن أمه وسهَّله عليه، ولو شاء الله لأماته عند الولادة، وبيَّن له بعد ذلك طريق الخير وطريق الشر وأوضحهما له، رَغَّبَهُ في طريق الخير، وحذَّره من طريق الشر، كما قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: 10].

وكما قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: 3].

ثم بعد أن قضى العمر الذي قدَّره الله له.

﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾: أمر الله ملائكته فقبضت روح عبده، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: 61].

فمات هذا العبد، وإكرامًا من الله له بعد موته لم يجعله الله كالبهائم تُلْقَى

على وجه الأرض تأكلها السباع والطيور، ولكن الله علَّم الخلق أن يقبروا هذا الميت.

﴿فَأَقْبَرَهُۥ﴾: أي جعل له قبرًا يواري جسده ويستر عورته ولا يتأذى به الناس.

﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾: أي أحياه بعد موته، وذلك يوم القيامة يوم البعث والنشور.

ولا يظن هذا الإنسان أنه قد أدى حق الله عليه في نفسه وماله وشكر نِعَم الله عليه وعمل بما أوجبه الله عليه.

﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾: أي لم يقم بذلك ولم يقض ما أمره الله به، ولم يؤد ما افترضه الله عليهن ولم يفِ بالميثاق الذي أخذه الله عليه وهو في صلب أبيه.

ثم يحث الله سبحانه وتعالى على النظر والتفكر والتدبر في الطعام الذي هيأه له ويسره وكيف هُيِّيء وكيف تيسر هذا الطعام؟!.

قال سبحانه: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾.

﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾: أنزلنا الغيث من السماء، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ **[الحج: 63]**.

نزل الماء على الأرض وشق الله الأرض شقًّا فقبلت الماء ودخل فيها، وشق الله الأرض لخروج النبات منها، فأنبت الله فيها الحبّ والعنب والقضب (وهو البرسيم)، وكذلك أخرج الله أشجار الزيتون وكذلك النخيل وحدائق ذات أشجار عظيمة.

﴿غُلْبًا﴾: ضخمة الساق، وجميع صنوف الفاكهة، وكذلك الأبُّ وهو ما تأكله الأنعام ولا ياكله الناس، كل هذا الفضل وكل هذه النِّعَم من الله سبحانه وتعالى متاعًا لكم ولأنعامكم (من إبل وبقر وغنم وماعز).

تلكم الأنعام التي تعود بمنافعها عليكم أيضًا، إذا أمعنت النظر ودقَّقْت أكثر ظهرت لك حِكَمٌ وعبرٌ.

انظر إلى طعامك؛ كيف دخل فمك وتلذذت به شهيًّا جميلًا؟

وانظر إليه كيف خرج منك؟ خرج قذرًا تتقذره، وتكره ريحه وتستتر منه.

وانظر إيها الإنسان إلى نفسك عند ولادتك، والبهجة والسرور تعلو الوجوه لدخولك هذه الحياة الدنيا، ثم عند موتك ودفنك ماذا سيكون، وبعد أيام قلائل من دفنك؟!!

وانظر إلى جسدك كيف تحوَّل؟! تحوَّل إلى جيفة قذرة.

وانظر إلى طعامك كيف تكوَّن وإلى أين صار؟!

وقارن بين ذلك وبين نفسك!

طعامك هذا حاله: ماءٌ أنزله الله من السماء فاختلط به نبات الأرض، ترعرع النبات واشتد عوده وساقه، وملأت الأرض منه خضرة، ثم يبس وتفتت وأصبح هشيمًا تذروه الرياح، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: 24].

وكذلك ابن آدم خُلق من ضعف ثم قوي وتحرك هنا وهناك وصال وجال ثم تسرب إليه الضعف ثم مات ﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ [الروم: 54].

نظر كيف تكوَّن الطعام، ماءٌ دخل في الأرض فأنبتت الأرض صنوب النباتات، وشقَّ الله الأرض وسهَّل للنبات خروجه فخرج وخرج الحب والعنب والقضب والزيتون والنخيل والحدائق الغلب كذلك (ذات الأشجار عظيمة الساق) وكذلك الفاكهة والأَب.

كذلك خرج الطعام منه الحلو والمر كما قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ [طه:53].

كذلك ابن آدم كيف خُلق؟ خلق من ماءٍ (منيّ) قُذف في رحم النساء فاختلط بما خرج من الترائب، والترائب هي مواضع العقد والقلادة من المرأة أي: صدرها وبين ثديها، فخلق الإنسان من نطفة أمشاج (أخلاط) ثم يَسَّرَ الله له سبيل الخروج، فخرج بنو آدم صنوفًا وأشكالًا، كما أن للنبات صنوفًا وأشكالًا.

خرج بنو آدم منهم الأبيض والأسود والأحمر والأصفر إلى غير ذلك، خرجوا منهم الطويل ومنهم القصير وبين ذلك، منهم الذكي ومنهم الغبي، ومنهم العاقل ومنهم المجنون، منهم الجميل ومنهم الدميم، ومنهم الذكر ومنهم الأنثى، رُزقوا: فمنهم الغني ومنهم الفقير، كما أن الأشجار والحدائق منها ما آتت أكلها ضعفين، ومنها ما لم تثمر بالمرة، ومنها بين ذلك.

ومنهم القوي ومنهم الضعيف، كما أن الأشجار والنباتات كذلك.

منهم الطيب والخبيث، كما أن من الشجر طيب وخبيث؛ مثل: ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: 24].

منهم من يموت في صِغَرِه كما أن من النبات ما يموت في صِغَرِه.

منهم من يُعَمِّر طويلًا كذلك الأشجار.

ثم ماذا بعد العمر المديد؟ إنه الموت، وكذلك الأشجار مآلها إلى السقوط.

أهل الدنيا منهم من يؤتي المنصب والجاه والثراء ويرتفع في ذلك ويتباهى، وما هي إلا أيام وسنون ويرمي به من منصبه، وإن لم يُرم به من منصبه رُمي به في المقابر!!!.

وكذلك النباتات زهور وورود، ينظر الناس إليها ويُعجبون ويشمون منها الرائحة الزكية ثم سرعان ما تذبل وتذهب نضارتها وتخبو رائحتها ويلقي بها هي الأخرى. ألا هل من مدكر؟!! ألا هل من معتبر؟!

فليعمل الناس ما شاءوا من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير، من أراد أن يسلك طرق أهل الخير والصلاح فليسلك

وهنيئًا له، ومن أراد أن يسلك طرق أهل الشر والفساد فليسلك والجحيم هنالك.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾: فهناك العواقب، الجنة للمتقين نعم عقبى الدار، وعاقبه الذين أساءوا السوأى.

إذا جاءت الصاخة وهي النفخة في الصور التي تصخُّ الآذان وتصم الآذان لو سمعتها في الدنيا، فتصم الآذان لو كان هناك صمم.

﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾: يومها يهرب الشخص من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته (أي زوجته) وبنيه، ولماذا يهرب الشخص؟ ولماذا يفر؟ ولماذا يبتعد عن هؤلاء؟ وقد كانوا أنصارًا له في الدنيا وأعوانًا وأولياءً، وكانت الضائقة إذا نزلت به التفوا حوله واجتمعوا وبكوا لبكائه، فما باله اليوم يهرب ويُمعن في الهرب؟!!.

لذلك أسباب ذكرها العلماء:

السبب الأول: انشغال كل امريء منهم بأمر نفسه والاهتمام به دون غيره كما قال تعالى: ﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ﴾.

وقد ورد في الصحيحين(1) وغيرهما من حديث أم المؤمنين عائشة ڤ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«يُحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلًا»**.

قلت: يا رسول الله النساء والرجال جميعًا ينظر بعضهم إلى بعض؟! قال ﷺ: **«يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض»**.

الثاني: يفرَّ كل امريء منهم حتى لا يرونه ويرون ما يحل به من الفضائح.

الثالث: يفرُّ منهم حتى لا يطالبوه بالمظالم التي كانت لهم عنده.

الرابع: لعلمه أنهم لا ينفعونه بشيء كما قال تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا يُغۡنِي مَوۡلًى عَن مَّوۡلٗى شَيۡـٔٗا وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ [الدخان: 41].

هذه هي أسباب الفرار.

---

(1) أخرجه البخاري (6528)، ومسلم (2859) واللفظ له.

﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾: كلٌّ عنده من الهمومما يكفيه، كلٌّ عنده من القلق ما يكفيه كلٌّ خائف، كلٌّ وجِل، كلٌّ ينتظر الحساب، وكيف يؤتي الكتاب، هل يؤتاه باليمين أم يؤتاه – والعياذ بالله – من وراء ظهره بالشمال، فيا لها من أوقات، ويالها من لحظات، يا له من وقت تنتظر فيه نتيجة عملك وسعيك وكسبك ونواياك.

هل سعيك مشكور أم هو بُور؟ جنان فيها نعيم مقيم أم نيران فيها عذاب أليم؟

إن الناس في دنياهم يذهبون إلى المدارس والجامعات يوم ظهور النتائج وإذا بقلوب الطلاب واجفة وأبصارهم خاشعة انتظارًا للنتيجة، نتيجة تافهة في هذه الدنيا الفانية فما بالك بنتيجة الدنيا كلها؟

هل ستدخل الجنة؟ وإلى أي درجاتها سترتقي؟ هل ستلج النار؟ وإلى أي دركاتها ستهوي؟ فإذا جاءت الصاخة فيومها تظهر النتائج.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾: وهي وجوه أهل الإيمان، وجوه مضيئة مشرقة بيضاء، تلك الوجوه المضيئة وجوه بيَّضها ونوَّرها الإيمان بالله، وتصديق رسله، والعمل الصالح الذي عمله أصحاب هذه الوجوه ابتغاء مرضاة الله.

وجوه بيَّضها ونوَّرها ماء الوضوء الذي كانت تغسل به في الدنيا، فأتباع محمد ﷺ يحشرون غرًّا محجلين من آثار الوضوء، وجوه بيَّضها ونوَّرها حملها لسنة رسول الله ﷺ وتبليغها للناس، فقد دعا لها رسول الله ﷺ بقوله: **«نضَّر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها ثم أدَّاها كما سمعها»**(1).

﴿ضَاحِكَةٌ﴾: لما نالها من الكرامة والنعيم والسرور، ضاحكة من الكفار الذين كانوا يضحكون من أهل الإيمان في الدنيا.

﴿مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾: بنعمة من الله وفضل، مستبشرة برضوان الله عليها وبرحمة الله

---

(1) صحيح متواتر.

لها، أما وجه الكفار:

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾: وجوه سوداء كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [آل عمران: 106].

وفضلًا عن كونها سوداء فقد علاه وتغشاها الغبار والدخان والكدر.

﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾: أي: تغشاها أيضًا ﴿قَتَرَةٌ﴾: أي ذلة وسواد وكسوف، فهي وجوه – فضلًا عن كونها سوداء – فقد علاها الغبار وأرهقها الذل.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾: إنها وجوه الكفار، إنها وجوه الفجار، إنها وجوه الكفرة في اعتقادهم، الفجرة في أعمالهم، المفترين على الله، والمائلين عن الحق أعاذنا الله والمسلمين منهم.

* * *

سورة التكوير

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني مفردات السورة الكريمة

1- ﴿كُوِّرَتْ﴾: لفَّ بعضها على بعض فذهب ضوؤها.

2- ﴿انكَدَرَتْ﴾: تناثرت – طمس نورها.

3- ﴿الْعِشَارُ﴾: الإبل الحوامل في الشهر العاشر. ﴿عُطِّلَتْ﴾: أهملت من شدة الهول انشغل عنها أهلها.

4- ﴿حُشِرَتْ﴾: جمعت.

5- ﴿سُجِّرَتْ﴾: اشتعلت نارًا – ملئت بالماء – اختلط العذب بالمالح.

6- ﴿زُوِّجَتْ﴾: ألحق كل إنسان بنظيره.

7- ﴿الْمَوْءُودَةُ﴾: المدفونة وهي الحية.

8- ﴿نُشِرَتْ﴾: فتحت.

- ﴿كُوِّرَتْ﴾: أزيلت عن أماكنها.
- ﴿سُعِّرَتْ﴾: أحميت- أُججت.
- ﴿أُزْلِفَتْ﴾: قُربت – أدنيت.
- ﴿بِٱلْخُنَّسِ﴾: النجوم تخنس أي: ترجع وتختفي.
- ﴿ٱلْجَوَارِ﴾: التي تجري في فلكها.
- ﴿ٱلْكُنَّسِ﴾: التي تستتر في بيوتها.
- ﴿عَسْعَسَ﴾: أدبر.
- ﴿تَنَفَّسَ﴾: أقبل وتبين وظهر.
- ﴿مَكِينٍ﴾: له مكانة ووجاهة.
- ﴿ثَمَّ﴾: هناك (في الملأ الأعلى).
- ﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾: ناحية السماء التي تبين الأشياء وتظهرها وهي ناحية طلوع الشمس.
- ﴿ٱلْغَيْبِ﴾: الأمور الغيبية.
- ﴿بِضَنِينٍ﴾: ببخيل- بمتهم، أي: إنه لا يبخل على الناس بتعليمهم، ولا يعلمهم الخطأ.

* * *

تفسير سورة التكوير

يذكر الله عز وجل أمورًا عظيمة وأحداثًا جسيمة تقع يوم القيامة وبين يديها، فإذا وقعت هذه الأمور والأحداث التي يشيب لها الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، فحينئذٍ ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾: أي: علمت كل نفس ما فعلت في دنياها من خير أو شر، وأُحضر لها عملها كما قال تعالى: ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا﴾ [الكهف: 49].

وكما قال تعالى: ﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: 13].

وكما قال سبحانه: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: 30].

أما هذه الأمور والأحداث فها هي:

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾: فالشمس تكوَّر كما قال النبي ﷺ: «**الشمس والقمر مكوران يوم القيامة**»(1)، وتكوير الشمس جمعها؛ أي: جمع بعضها إلى بعض ولفها، ومن ثم ذهاب ضوئها ثم يُرمى بها.

والنجوم تنكدر، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾: أي: تناثرت النجوم ورُمي بها وتغيَّرت وغشيتها – أي: غطتها – الكدرة، وطمس نورها.

أما الجبال فكما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾: أزيحت الجبال عن أماكنها وقلعت عن وجه الأرض وأصبح مكانها كالسراب، يظن الناظر أن الجبل مكانه، ولكنه قد أُزيل وأُزيح، كما قال تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ: 20].

أما الإبل العشار – وهي الحوامل – التي مرَّ عليى حملها عشرة أشهر فقد عُطِّلَت كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾: أي: أهملها أهلها لشدة الهول النازل بهم، فلم يفكروا فيها، مع أنها كانت من أعز أموالهم، ومن أنفس شيء عندهم.

---

(1) أخرجه البخاري (3200).

أما الوحوش: من سباع وضباع ونمور وحيات فقد جمعت جميعًا كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾: أي: جمعت، فحَشْرُها جَمْعُها، كما في الآية الأخرى: ﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ [ص: 19]: أي: مجموعة، وكما في قوله تعالى: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾ [النازعات: 23]: أي: فجمع، وقد قال رسول الله ﷺ: **«لتؤدّن الحقوق إلى أهلها حتى يُقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»**(1).

أما البحار: فإذا سألت عنها، فكما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾: أي اشتعلت نارًا، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ [الطور: 6].

ومن العلماء من قال: سجِّرت: أي مُلئت حتى فاضت واختلط عذبها بمالحها.

وفي هذه الأثناء يتشكل الناس مجموعات، ويلتحق كل إنسان بالمجموعة التي هو منها وعلى شاكلتها، الصالح مع الصالح، والطالح مع الطالح كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾: أي: صُنِّفَتْ، وهي في الجملة «ثلاثة» أصناف، ثم كل صنف ينقسم إلى أقسام.

أما الأصناف الثلاثة؛ فكما قال قال تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: 7- 11].

فالأصناف ثلاثة: كفار، وأصحاب اليمين، والسابقون المقربون.

الطائفة الأولى: أهل النار، والثانية والثالثة: هم أهل الجنان.

أعلى الطوائف درجة وأرفعهم قدرًا هم السابقون المقربون – جعلنا الله منهم – وأصحاب اليمين أيضًا في الجنان، ولكن الجنان درجات، والكل درجات مما عملوا، اجتمع أهل الإيمان ونعم الاجتماع والتقوا ونعم اللقاء.

أما أهل الكفر فتشكَّلوا وتصنَّفُوا وكلهم في الجحيم، النصارى مع النصارى

---

(1)

واليهود مع اليهود كذلك، وُعبَّاد الشمس مع عُبَّاد الشمس، وكذلك عباد القمر، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم.

في هذا اليوم تقام الموءودة فتُسأل، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾: **أما الموءودة:** فهي التي دفنت وهي حية في صِغرِها لكونها أُنثى، تقام هذه الموءودة يوم القيامة مع من قام، وتُبعث مع من بُعث، وتُسأل هذه الطفلة الصغيرة التي دفنها هؤلاء الكفرة الجهلة، بلا ذنب اقترفته، ولا جُرْم ارتكبته هذه المسكينة البريئة إلا لكونها أنثى! تُسأل هذه الموءودة فيقال: لها لماذا قتلك هؤلاء؟ وما الذنب الذي اقترفتيه حتى تُقْتَلي؟

وقطعًا فإنها لم ترتكب ذنبًا ولم تقترف إثمًا، ولم تظلم أحدًا، فقد دُفِنَتْ فور ولادتها أو بعد ولادتها بقليل، دفنت قبل بلوغها، ولكن هذا سؤال توبيخ وتأنيب وتبكيت للقاتل، وإظهار للغيظ عليه، فكأنه قيل لقاتلها: أيها الجاهل، أيها القاتل، أيها الكافر، لماذا دفنت هذه الصغيرة وهي حية؟!! هل لها اختيار في كونها أنثى؟!!

هل كنت تدري أيهما خير الذكور أم الإناث؟ وأيهم أقرب لك نفعًا؟!

لماذا هذا الضيق والغيظ الذي اعتراك وبدا على وجهك لكونها أنثى؟!

لماذا هذا السواد وتلك الكآبة التي اعترتك عند بشارتك بالأنثى؟!!

لماذا هذا الإجرام الذي ارتبكته بدفنها؟!

حقًّا إنك جاهل، حقًّا إنك ظالم، ألا ساء ما فعلت، ألا ساء ما حكمت، أمرٌ جهلٌ غريب وجهل عجيبٌ، يئدون البنات ويُغذون الكلاب؟ سفةٌ وطيشٌ، ظلمٌ وجورٌ وأد البنات، إنها كبيرة من أعظم الكبائر أن يئد الرجل ابنته خشية العار، أن يئد الرجل ابنته خشية أن تطعم معه.

حقًّا إن من يئد البنات لا يستحق أن يخاطب، فخصمُه طفلةٌ صغيرة بريئة، فلذلك اتجه الخطاب إلى الموءودة: لماذا قُتلتِ؟

وما الذنب الذي اقترفْتيه؟!.

هذا، ولأن الله عز وجل وضع الرحمة في قلوب العباد فقد كان هناك من لا يئد البنات في الجاهلية، ومن هؤلاء الذين كانوا لا يئدون البنات صعصعة بن ناجية – جد الفرزدق الشاعر المشهور – وبه يفتخر الفرزدق فيقول:

ومنا الذي منع الوائدات وأحيا الوئيد فلم يُوأَدِ

وفي بيت آخر:

ومن الذي أحيا الوئيد وغالبٌ وعمرٌو ومنا حاجبٌ والأقارع

ومنهم أيضًا زيد بن عمرو بن نفيل.

ألا يعلم هؤلاء الذين يكرهون البنات ويتضايقون ويتبرمون عند سماع البشارة بهن، ألا يعلم هؤلاء أن الله: ﴿﴾ [الشورى: 49، 50].

ألا يعلم هؤلاء الذين يكرهون البنات أن أم مريم لما وضعتها وقالت: رب إني وضعتها أنثى وعَوَّذْتها بالله من الشيطان الرجيم أن الله قبلها بقبولٍ حسنٍ وأنبتها نباتًا حسنًا وبورك لها فيها وفي ذريتها وكانت وابنها آية للعالمين؟!! ألا يعلم هؤلاء الذين يكرهون البنات أن فاطمة بنت محمد عليه الصلاة والسلام ورضي الله عنها خيرٌ من ملءِ الأرض من مثل ولد نوح؟!!

ألا يعلم هؤلاء الذين يكروهون البنات أن في الإحسان إلى البنات خير؟!!

أخرج البخاري ومسلم من حديث أم المؤمنين عائشة ڤ قالت: جاءتني امرأةٌ معها ابنتان تسألني، فلم تجدْ عندي غير تمرةٍ واحدة فأعطيتها، فقسمتها بين ابنتيها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبي ﷺ فحدَّثْتُهُ، فقال: **«من بُلي[1] من هذه البنات شيئًا فأحسن إليهن كنَّ له سترًا من النار»**.

---

(1) في بعض الروايات (من ابتلى) قال النووي – رحمه الله -: إنما سماه ابتلاءً لأن الناس يكرهونهن في العادة، وقال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [الزخرف: 17].

وأخرج مسلم في صحيحه(1) من حديث أم المؤمنين عائشة ڤ قالت: جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدةٍ منهن تمرة، ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها، فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنهن فذكرت الذي صنعت لرسول الله ﷺ فقال: **«إن الله قد أوجب لها بها الجنة أو اعتقها بها من النار»**.

وأخرج مسلم(2) من حديث أنس بن مالك ڤ عن النبي ﷺ قال: **«من عال جاريتين حتى تلبغا جاء يوم القيامة أنا وهو»** وضمَّ أصابعه.

ألا يعلم هؤلاء الذين يكرهون البنات ويُؤثرون البنين أنه كم من غلامٍ أرهق أبويه طغيانًا وكفرًا؟!!

ألا يعلمون أن المرء يوم القيامة يفر من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه؟!!

إن العبرة دائمًا بصلاح الولد ودينه وخلقه، ألا فليسأل هؤلاء ربهم أن يُصلح لهم ذرياتهم ويبارك لهم فيها أيًّا كانت تلك الذرية، ولنرجع إلى السورة:

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾: في هذا اليوم العظيم تنشر الصحف التي كتبت فيها أعمال العباد، تفتح بعد أن كانت مطوية، ويوزع على كلٍّ كتابه قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ **[الإسراء: 13، 14]**.

تنشر الصحف لتبشير أهل الإيمان وتقريع أهل الكفر والعصيان.

أما السماء فقط كُشطت، كما قال تعالى:

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾: أي جُذبت وطويت وأُزيلت عن أماكنها.

أما الجحيم فقد سُعِّرَت، كما قال تعالى:

﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾: أي أُوقد عليها فأُحميت وتأججت واشتعلت.

---

(1) مسلم في «صحيحه» (2027).

(2) مسلم (5/ 486) وانظر المنتخب لعبد بن حميد بتحقيقي حديث (1376).

أما الجنان فإنها تقترب من أهلها وتدنو منهم، كما قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ﴾: أي: قرّبت وأدنيت من المؤمنين، وكما قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق: 31].

فحينئذٍ: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾: أي:ما قدمته من خير أو شر فقد حضرها عملها ورأته على ما بيّناه من قبل.

أما قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾: فمعناه هنا عند كثير من المفسرين: ﴿أُقْسِمُ﴾: قال فريق منهم: وكلمة ﴿لَا﴾: زائدة، كما في قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: 12] أي: ما منعك أن تسجد، وكقوله: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ [الحديد: 29]، قالوا فمعناه: ليعلم، ومن العلماء من قال: إن ﴿لَا﴾: لنفي شيء متقدم، كما نقول: لا والله، فالمعنى: لا ما حدث هذا الشر، أقسم على هذا بالله.

فقوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ۝١٥ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾: على هذا التأويل معناه: فلا يظن هؤلاء المشركون أنهم يُتركون بلا حساب ولا عقاب، ولا بعث، أُقْسِم على ذلك بالخنس، أما ﴿بِالْخُنَّسِ﴾: فهي النجوم، وقد وصفت بثلاثة أوصاف؛ أحدها: أنها خنس، والثاني: أنها جوار، والثالث: أنها كُنَّس، ومعنى خَنَس: تراجع واختفى، ومنه قوله تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ [الناس: 4] أي: الذي يتراجع عند ذكر الله عز وجل، ومن ذلك أيضًا قول أبي هريرة لما لقي رسول الله ﷺ وكان أبو هريرة جنبًا قال **«فانخنست منه»**(1) أي: تراجعت وحاولت الاختفاء، **أما الجواري:** فهي التي تجري، ومعنى الكُنَّس: الغُيَّب؛ أي التي تغيب وتستتر في بيوتها، فالنجوم تجري وتتراجع وتستتر في أماكنها وتغيب فيها، فأقسم الله بالنجوم في حال تراجعها وجريانها واستتارها في أماكنها، وأقسم الله أيضًا فقال: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝١٧ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾: فأقسم بالليل إذا عسعس، أي إذا أدبر، وبالصبح إذا تنفس، أي إذا أقبل وتبيّن وظهر وأضاء.

---

(1) أخرجه البخاري (283)، ومسلم (371).

فقول تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾: كقوله تعالى ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ٣٣ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ﴾ [المدثر: 33، 34].

فأقسم الله سبحانه وتعالى بالنجم وبالليل وبالصبح على: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾: أي على أن القرآن قول رسول كريم وهو جبريل ﷺ، ثم وصف الله جبريل وبَيَّنَ منزلته فقال سبحانه: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ﴾: أما قوله: ﴿ذِي قُوَّةٖ﴾: أي إنه قوي كما في قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ﴾ [النجم: 5]. وهذا هو جبريل عليه السلام علَّم محمدًا ﷺ.

فشديد القوى: شديد الخلق والبطش والفعل، فيفعل ما يأمره به ربه، ولا يضعف عنه ولا يتوانى، وقد رأى النبي ﷺ جبريل على الصورة التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح(1).

أما قوله: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ﴾: أي إن لجبريل مكانة ومنزلة عند الله – سبحانه وتعالى -، فذو العرش هو الله سبحانه، كما قال: ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ﴾ [البروج: 15].

ومما يدل على مكانة جبريل – عليه السلام – ما أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ڤ عن النبي ﷺ قال: **«إذا أحب الله عبدًا نادى جبريل: إن الله يحب فلانًا فأحبه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض»**(2).

ومما يدل على مكانته أيضًا قوله تعالى: ﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٩٧ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: 97، 98].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ

---

(1) أخرجه البخاري (3232)، ومسلم (174).

(2) أخرجه البخاري (6040)، وقد أخرج مسلم نحوه من حديث أبي هريرة ڤ مرفوعًا أيضًا.

ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: 4].

فقوله تعالى: ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾: أي: مطاع هناك فقوله: **﴿ثَمَّ﴾:** أي هناك في الملأ الأعلى، تطيعه الملائكة، كما في الحديث الذي قدناه **«إذا أحب الله عبدًا....»**.

وقوله تعالى: ﴿أَمِينٍ﴾: وصف لجبريل عليه السلام بالأمانة، فهو أمين على الوحي والرسالات وأمين على كل شيء كما قال سبحانه: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ **[الشعراء: 193]**.

ثم تحول الحديث إلى رسول الله ﷺ فقال تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾: فقال الله سبحانه وتعالى لمشركي قريش: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾: أي وما محمد عليه الصلاة والسلام النبي الكريم الذي بُعث فيكم بمجنون كما وصفتموه وكذبتم عليه وافتريتم.

﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾: أي: إن رسول الله ﷺ رأى جبريل عليه السلام على صورته التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح قد سدَّ الأفق، **أما الأفق:** فهو أقطار السموات والأرض ونواحيها، **أما الأفق المبين:** فهو الأفق الذي يبين الأشياء ويظهرها ظهورًا جليًّا ويوضحها، وذلك يكون ناحية طلوع الشمس، فالأفق المبين هو اتجاه طلوع الشمس، وهو الاتجاه الذي تظهر عنده الأشياء واضحة جليةً أكثر من غيره، فالمبين المبيّن والموضح والمُظهر.

وقد رآه النبي ﷺ في هذا الاتجاه حتى لا يُشك في انه رآه، فلم يره في الليل، ولا عند اختلاط الليل بالنهار، فقد يتوهم الشخص أنه رأى شيئًا في هذه الأوقات، وليس هناك شيء، او قد يرى الشيء على غير حقيقته، لكن الرسول ﷺ رأى جبريل في وضح النهار، وفي اتجاه واضحٍ وظاهرٍ، وموضحٍ للأشياء ومظهرٍ لها، ألا وهو اتجاه طلوع الشمس.

ويصف الله نبيه أيضًا فيقول: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾:

أما الغيب: فهو كل ما أخبر الله به وغاب عن نظر الشخص، فيدخل في ذلك

الأنباء، والقصص الذي ذكرها الله في القرآن، وتدخل الأخبار عن الجنة وما يقرب منها، والنار وما يباعد عنها، ويدخل في ذلك أخبار الملائكة، والجن والشياطين، ويدخل في ذلك ما سيقع في الزمن المقبل.

وقوله: ﴿بِضَنِينٍ﴾: أي بمتهم أو ببخيل، فالمعنى أن رسول الله ﷺ لم يبخل بتعليم الناس ما علَّمه الله في شأن الجنة والنار وسائر أمور الغيبن ولم يكتم شيئًا من ذلك ولم يضن بشيء، بل قد بلَّغ رسول الله ﷺ ذلك كله ولم يدَّخِر وسْعًا في تبليغهم وإخبارهم، وما هو بمتهم فيما ينقله عن الله سبحانه وتعالى، وعن الجنة والنار، وعن كل ما يأمر الله به وينهى عنه، بل هو صادق في هذا كله: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ **[الحاقة: 44- 47].**

ويخبر الله عن كتابه الذ نزل على نبيه ﷺ فيقول: **﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾:** أي وما هذا القرآن من اختلاق الشياطين وإفكهم وافترائهم، بل هو من عند الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ **[الشعراء: 210، 211].**

ولا تستطيع الشياطين إدخال شيء فيه ولا خلط شيء به: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ **[فصلت: 41، 42].**

ليس هذا القرآن بقول تلك الشياطين المرجومة في الدنيا والآخرة، مرجومة في دنياها إذا حاولت خطف شيء من أخبار السماء كما قال الجن: ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ **[الجن: 9].**

وكما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ **[الملك: 5].**

وكما قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ **[الصافات: 10].**

فالقرآن، محفوظ حفظه الله سبحانه وتعالى، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ **[الحجر: 9].**

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾: إلى أين تذهبون وتذهب بكم عقولكم؟ وفيما تفكرون؟ لِمَ تفترون على الله الكذب وتقولون عن القرآن: إنه قول شاعر أو قول كاهن، ويقول بعضكم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝٢٤ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر: 24، 25]؟.

ويقول الآخرون:

﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: 5]؟

واعجبا لكم، إلى أين تذهب بكم عقولكم؟!!

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: فما هذا القرآن إلا ذِكْرٌ من عند الله سبحانه وتعالى أنزله الله على نبيه الأمين، يتذكر به المتذكرون ويتعظ به المتعظون من العالمين إنس وجان، ما هو إلا طريق للهداية يسلكه من أراد أن يستقيم على أمر الله وطريقه وطريق أنبيائه، حتى يوصله هذا الطريق إلى مرضاة الله وإلى جنات الله: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾.

فها هو الطريق أمامه ولكن:

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: فالمهتدي من هداه الله، والموفق من وَفَّقه الله: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: 43].

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: 100].

* * *

سورة الانفطار

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني مفردات السورة الكريمة

1- ﴿ٱنفَطَرَتۡ﴾: تشققت.

2- ﴿ٱنتَثَرَتۡ﴾: تساقطت وتفرقت.

3- ﴿فُجِّرَتۡ﴾: فجر ما لحها في عذبها.

4- ﴿بُعۡثِرَتۡ﴾: أثيرت وقلبت.

9- ﴿بِٱلدِّينِ﴾:الجزاء والحساب.

10- ﴿لَحَٰفِظِينَ﴾: ملائكة حفظة.

11- ﴿كِرَامٗا كَٰتِبِينَ﴾: ملائكة كتبة.

13- ﴿ٱلۡأَبۡرَارَ﴾: المطيعون.

* * *

تفسير سورة الانفطار

يُصرِّف الله سبحانه وتعالى الآيات في كتابه الكريم، ويُنَوعها ويُعددها لإثبات معنًى من المعاني، أو أمر من الأمور، فالمعنى الواحد والأمر الواحد قد يرد في عدة آيات حتى يفهمه الناس ويعقلوه ويتذكروه، فمن لم يفهم من سياقٍ فَهِمَ من السياق الآخر، ومن الامور والحقائق التي أُرِيدَ التنبيهُ عليها في كتاب الله حقيقة البعث، وقد جاء ذكرها في غالب سُورِ القرآن الكريم، إما تلميحًا أو تصريحًا، وصُرِّفت لها الآيات، وتنوَّعت للتنبيه عليها، فورد التنبيه عليها في سورة الفاتحة عند قوله تعالى:

﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: 4].

وفي سورة البقرة: ﴿وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ **[البقرة: 4]**، إلى غير ذلك.

وتعرضت أكثر السور في جزء (عمَّ) للتنبيه عليها، قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ **النبأ: 1، 2]**.

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ **[النازعات: 6، 7]**.

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝٣٣ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ **[عبس: 33، 34]**.

وقال سبحانه في سورة التكوير: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤﴾ **[التكوير: 1- 14]**.

وفي سورة الانفطار: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ **[الانفطار: 1- 5]**، وذلك أيضًا يوم القيامة.

وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ **[المطففين: 1- 5]**.

وقال سبحانه: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾ **[الانشقاق: 1- 6]**.

وقال سبحانه: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ﴾ **[البروج: 1، 2]**.

وقال سبحانه: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ **[الطارق: 1- 9]**.

وقال سبحانه: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦

﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ [الأعلى: 1- 17].

وهكذا أغلب السور جاء فيها الحديث عن البعث والقيامة والجزاء والحساب والجنة والنار، كل ذلك لإثبات حقيقةٍ، ألا وهي أن الناس موقوفون بين يديّ ربهم وخالقهم يوم القيامة ومحاسبون ومجزيون.

ومن المعلوم أن الاعتقاد الصحيح يتبعه عمل صالح صحيح، والاعتقاد الفاسد يتبعه عمل فاسد، فمن ثمَّ كان الذين يؤمنون بالآخرة عملهم أصح وأصوب من هؤلاء الذين يجحدون، وسيأتي لذلك مزيد في بابه إن شاء الله.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾: أي تشققت.

﴿وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ﴾: أي: تساقطت وتفرقت.

﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ﴾: أي: فُجِّر ما لحها من عذبها فاختلط العذب بالمالح.

﴿وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ﴾: أي: أُثيرت وقُلبت، فاسُتخرج ما بداخلها وأُخرج الموتى منها، إذا حدثت هذه الأمور العظيمة، تشققت السماء، وتساقطت الكواكب، وفاضت البحار، واختلط العذب بالمالح، وأثيرت القبور وقُلِّبت، وأخرج منها الموتى فحينئذٍ ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ﴾: تعلم كل نفس ما قدمت وأخرت، تعلم كل نفس ما قدمت من الخير، وما أخَّرت من الشر، تعلم كل نفس الفرائض التي أدتها، والفرائض التي ضيَّعتها، والذنوب والمعاصي التي ارتكبتها، تعلم كل نفس ما قدمته من عمل صالح، وما أخرت من سُنَنٍ تركتها بعد موتها يُعمل بها ويصل إليها أجرها أو وزرها.

ثم يعاتب الله سبحانه وتعالى، الإنسان المفرّط في جنب الله، والمقصِّر في حقه والمتجريء على معصيته، فيقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾: ما الذي غرَك وخدعك وسوَّل لك حتى أضعت ما وجب عليك وعصيت ربك وتهاونت في حقوقه؟!! أستكبرت عن طاعة ربك وامتثال أمره؟!! أم نسيت أن هناك جنةً وناراً!! أكنت تحتقر العذاب؟! أم تظن أنه غير واقع؟!! أم اتَّبعْت

الشيطان فكنت من الغاوين؟!! ترى ما الذي غرَّ هذا الإنسان الجاهل الأحمق عصى ربَّه وكفر به؟!!.

غرَّه الشيطان ومنَّاه وسوَّل له، مع أن الله قد حذَّره منه فقال: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [فاطر: 5].

غرّه الجهل وغرته الحماقة كذلك!.

خُدع هذا الإنسان بستر الله – عز وجل – عليه، وعدم معالجته بالعقوبة.

نقل بعض المفسرين عن الفضيل بن عياض رحمه الله، وقد قيل له: لو أقامك الله تعالى يوم القيامة بين يديه فقال لك: ما غرَّك بربك الكريم؟ ماذا كنت تقول له؟ قال: كنت أقول غرَّني ستورك المرخاة!!.

غرَّه أيضًا كرم الله عز وجل وإنعام الله عليه!

كيف عصيت ربك أيها الإنسان وهو كريم، أنعم عليك بكل أنواع النعم؟!! أبهذا يقابل الكريم؟!!

أهكذا يُجازي الكرم والإحسان؟!!

أهكذا تشكر ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾؟ خلقك وتفضَّل عليك في الدنيا بإكمال خلقك وحواسك وعقلك، جعلك عاقلًا تفهم أمور دنياك، هل جزاء نعمة العقل عندك أن تفكر به في معصية الله وتتعدى حدوده؟ إنه سوَّاك؛ أي: جعلك سويًّا سليم الأعضاء تسمع وتُبصر، فهل جزاء نعمة البصر أن تنظر بعينيك إلى ما حرَّمه الله عليك؟ هل جزاء نعمة السمع أن تستمع إلى ما حرَّمه الله عليك؟ إنه سبحانه عَدَلَك: أي جعلك معتدلًا، فلم تُفَضَّلْ يَدٌ على يدٍ ولا رجلٌ على رجل.

إنه خلقك: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾: فهو سبحانه الذي وضعك في الصورة التي أنت عليها الصورة التي أرادها لك هو، ولست أنت باختيارك، إنه سبحانه جعل منكم الطويل، ومنكم القصير، وجعل منكم الدميم، ومنكم الجميل، جعل منكم الأحمر والأسود والأصفر، وجعلك شبيهًا بأعمامك أو بأخوالك أو

أقاربك، أو لا تشبه أحدًا من هؤلاء: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: 6].

إنه سبحانه وتعالى قادر على طمس وجهك وجعله كقفاك، قادر على إذهاب بصرك، قادر على سلب عقلك، قادر على تحويل صورتك إلى صورة كلب أو خنزير، ولكنه رحيم، ولكنه حليم، ولكنه كريم، جعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون.

﴿كَلَّآ﴾: أي: ليس الأمر أيها الكافرون كما تقولون من أنكم خلقتم عبثًا، ليس الأمر كما تظنون من أنكم على حق وأنتم مشركون بالله.

﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾:ولكنكم لا تصدقون بيوم القيامة، ولا تعترفون بأن هناك جزاءً، ولا تقرون بأن هناك ثوابًا وعقابًا.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾: ألا فاعلموا وتيقنوا أني قد وَكَّلْت بكم ملائكة كرامًا تراقبكم وتطلع على أعمالكم وتسجلها، عليكم حفظة يحفظونكم ويحصون أعمالكم ويحفظونها لا يتركونها، كما قال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: 18].

وكما قال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: 29].

فلا تقابلوا هؤلاء الحفظة بالمعاصي والفضائح، فإنهم يرونكم ويطلعون عليكم.

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾: هؤلاء المطيعون لله الذين يؤدون ما افترضه الله عليهم، ويجتنبون محارمه منعمون في الجنان لهم فيها نعيم مقيم، لهم فيها ما تشتيهه الأنفس وتلذ الأعين وهم فيها خالدون.

﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾: أما هؤلاء الفجار – الكفرة والظلمة والمتجرئون على معاصي الله سبحانه وتعالى والمتعدون لحدوده فهؤلاء يوم القيامة في جحيم ونيران هم فيها خالدون. ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾: يدخلونها ويقاسمون حَرَّها ويعانون منه

أشد المعاناة، ويتعبون فيه غاية التعب، تشويهم وتلفح وجوههم.

﴿وَمَاهُم عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾: أي: فما هم منها بمخرجين، فلا يخرجون منها ساعةً ولا لحظةً، بل هم في العذاب الدائم المقيم: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [السجدة: 20].

وكما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾ [غافر: 49، 50].

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾: أتدري أي يوم هو يوم الدين؟!!

أتدري ماذا يحدث فيه؟! أتدري عن أحوال الناس في هذا اليوم؟!!

﴿ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾: إنه يوم عظيم، يوم مجموعٌ له الناس ويوم مشهود.

﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾: الأخر لا ينفع أخاه، الوالد لا ينفع ولده، والولد لا ينتفع بوالده، والمولى لا يغني عن مولاه.

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الدخان: 41].

ولا تنفع في هذا اليوم أنساب:

﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: 101] ذهبت هنالك ممالك الملوك، فالملك لله الواحد القهَّار، ضاعت هناك الرئاسات والمناصب والجاهات، ذهبت الأموال، وفرَّ العيال، وهُزم الرجال.

ولَّي الأهل والأصحاب، والجيران والأحباب.

الأمر يومئذٍ لله الذي لا يغلبه غالب ولا يقهره قاهر، ولا ينازعه منازع، ليس لأحدٍ من خلقه معه أمرٌ ولا نهي:

﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: 108].

﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: 16].

* * *

سورة المطففين

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني مفردات السورة الكريمة

1- ﴿وَيۡلٌ﴾: عذاب شديد، وادٍ في جهنم.

1- ﴿لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾: الذي يُنقصون المكيال والميزان.

2- ﴿ٱكۡتَالُواْ عَلَى﴾: طلبوا الكيل من.

2- ﴿يَسۡتَوۡفُونَ﴾: يأخذون حقهم وافيًا.

7- ﴿كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ﴾: الكتاب الذي كتبت فيه أعمال الفجار.

7- ﴿سِجِّينٖ﴾: سجن في الأرض السابعة السفلى.

9- ﴿مَّرۡقُومٞ﴾: مكتوب.

13- ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: ما كتبه الأولون وسطروه.

14- ﴿رَانَ﴾: غطى.

16- ﴿لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ﴾: داخلوا النار وذائقوها.

18- ﴿كَلَّآ﴾: حقًّا (ولها معان أُخر).

18- ﴿عِلِّيِّينَ﴾: ارتفاع (في السماء السابعة).

21- ﴿يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾: يراه الملائكة.

23- ﴿ٱلۡأَرَآئِكِ﴾: الأريكة هي السرير الموضوع في الحجلة، والحجلة بيت مربع من فاخر الثياب.

24- ﴿نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾: أثر النعيم وبريقه.

25- ﴿رَّحِيقٖ﴾: خمر.

25- ﴿مَّخۡتُومٍ﴾: ممزوج – مخلوط.

27- ﴿وَمِزَاجُهُۥ﴾: خليطه.

27- ﴿تَسْنِيمٍ﴾: عينٌ اسمها تسنيم.

28- ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾: يشرب منها.

28- ﴿ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾: السابقون.

30- ﴿يَتَغَامَزُونَ﴾: يشيرون باستهزاء.

31- ﴿ٱنقَلَبُوا۟﴾: رجعوا.

32- ﴿فَكِهِينَ﴾: يتفكهون بذكر أهل الإيمان والطعن فيهم.

36- ﴿ثُوِّبَ﴾: جُوزي.

* * *

تفسير سورة المطففين

شرح لنا ربنا سبحانه وتعالى هذا الدين القيّم الحنيف الذي تُضبط به جميع شئون دنيانا وأُخرانا، فلا تقف تعاليمه عند الصلاة والزكاة والصيام والحج، بل تشمل كل أمور الدنيا والآخرة، قال الله سبحانه: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: 38].

والمؤمن يؤمن بالكتاب كله، لا يؤمن ببعض ويكفر ببعض، فإن الإيمان ببعض الكتاب والكفر بالآخر من أفعال الكافرين؛ قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: 85].

ضَبَط لنا ديننا أمورنا جميعها، ووضَّحها لنا غاية الإيضاح، وجلَّاها غاية التجلية، بَيَّنَ لنا أمور عقائدنا وعباداتنا، وكذلك الأخلاق والمعاملات وأمور السياسة والاقتصاد والآداب والحدود وسائر ما يتعلق بشئون دنيانا وأخرانا، كيف لا، والذي شرعه لنا هو ربنا سبحانه وتعالى العليم بنفوسنا وبما يصلحها في كل اتجاه وصوبٍ وحدب: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: 14].

بيَّن الله لنا في هذه السورة الكريمة شيئًا من أمور المعاملات التي تجري

بين الناس، وحذَّرنا من خصلة ذميمة وفعلةٍ قبيحة ورذيلةٍ مذمومة مُحرمة، ألا وهي تطفيف المكاييل والموازين، هي بخس الناس حقوقهم عند البيع لهم أو الشراء منهم، حذَّرنا الله من هذه الخصلة أيما تحذير، بل وأرسل نبيًّا من الأنبياء عليهم السلام محذِّرًا قومه منها، وكان من صلب دعوتِه – بعد الدعوة إلى التوحيد – الدعوة إلى إيفاء المكاييل والموازين، ألا وهو نبي الله شعيب ﷺ، أُرسل شعيب إلى قوم يغشُّون الناس، فإذا باعوا لهم باعوا بماكييل وموازين ناقصة، وإذا اشتروا منهم اشتروا بمكاييل وموازين كبيرة، فقال لقومه: ﴿۞أَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُخۡسِرِينَ ١٨١ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِ﴾ [الشعراء: 181، 182] تعجَّب قوم شعيب من شعيب ومن تَدخُّله في شئونهم وشئون بيعهم وشرائهم: ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود: 87].

ظن هؤلاء الجهلة أن الصلاة شيء لا تعلُّق له بالكيل والوزن، لم يدرك هؤلاء الجهلة أن شئون الحياة كلها خاضعة لأمر الله ولتشريع الله سبحانه وتعالى، فهو خالق الخلق وهو أعلم بهم.

هذا، وقد جاءت الأوامر متعددة في كتاب الله بالوفاء بالكيل والميزان والتحذير من البخس؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ﴾ [الرحمن: 9].

وقال سبحانه: ﴿۞أَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُخۡسِرِينَ ١٨١ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِ ١٨٢ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ [الشعراء: 181- 183].

وقال تعالى: ﴿۞وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۚ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ٨٤ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ [هود: 84، 85].

وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾ [الإسراء: 35].

وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام: 152].

وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْاْ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: 7- 9].

وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: 25].

إلى غير ذلك من الآيات، فكيف يأتي أحمق جاهل بعد هذا البيان ويقول: لا دخل للدين بشئون الحياة؟!!

إن سلفه هم قوم شعيب الذين تقدمت مقالتهم: ﴿يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود: 87].

فلينظر ماذا حل بهم وكيف انتقم الله منهم وليكن على حذر!

وبعد هذه المقدمة فلنرجع إلى تفسير السورة الكريمة وبالله التوفيق:

قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾: عذاب شديد وهلاك لهؤلاء المطففين، وقد ذكر بعض العلماء أن من هذا العذاب الشديد واديًا في جهنم يسيل إليه صديد أهل النار.

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾: أي: إنهم إذا طلبوا من الناس أن يكيلوا لهم – أي: إذا اشتروا من الناس – أخذوا حقوقهم مستوفاة كاملة.

﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾: أي وإذا كالوا للناس أو وزنوا لهم ﴿يُخْسِرُونَ﴾: أي يُنقصون.

﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: أفلا يوقن هؤلاء المطففون أن الله سيبعثهم يوم القيامة ويحاسبهم على هذا الصنيع القبيح الذي يفعلونه، أفلا يؤمن هؤلاء أنهم سيقفون بين يدي ربهم العليم بأعمالهم ونياتهم وصنيعهم فيحاسبهم على ما صنعوا؟ وكلم «يظن» هنا بمعنى يوقن، فالظن يأتي بمعنى اليقين

أحيانًا، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: 46].

وقول المؤمن يوم القيامة: ﴿إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: 20].

فلو أيقن هؤلاء المطففون حق اليقين أنهم مبعوثون يوم القيامة ومسئولون عما صنعوا ما أقدموا على هذا الغش والتطفيف، ولكن عدم اليقين بالآخرة يدفع إلى سوء العلم، فالاعتقاد الصحيح يجر إلى عمل صحيح والاعتقاد الفاسد يجر إلى عمل فاسد.

قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الماعون: 1- 3].

فالذي حمله على قهر اليتيم هو التكذيب بالبعث والجزاء.

ترى ما الذي حمل اليهود على الإعراض عن كتابه الله؟! حملهم اعتقاد فاسد اعتقدوه؛ وهو أن النار لن تمسهم إلا أيامًا معدودة، وهي تلك الأيام السبعة التي عبدوا فيها العجل بزعمهم، فقالوا: سواء علينا تحاكمنا إلى الكتاب أم لم نتحاكم فسنعذب السبعة أيام فقط، فجَرَّأهم هذا الاعتقاد الفاسد على العمل الفاسد.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ۝٢٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران: 23، 24].

فالذي حمل المطففين على التطفيف قلة اليقين بالآخرة، وطمعهم في الدنيا وحرصهم عليها.

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: وَصْفٌ لهذا اليوم العظيم.

وفي «الصحيحين» من حديث ابن عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال: **«يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعًا ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم»**.

وقوله تعالى: ﴿كَلَّآ﴾: أي ليس الأمر يزعم هؤلاء المطففون من أنهم غير

معذبين ولا مبعوثين ولا محاسبين، بل سيبعثون ويحاسبون، ليس الأمر كما يظنون من أن المال الذي جمعوه من الغش والتطفيف نافعهم، بل هو نارٌ ووبالٌ عليهم.

﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ﴾: أي كتاب الأعمال الذي أثبتت فيه أعمال الفجار وسُجِّلت فيه موضوع في سجين، وهو سجن في الأرض السابعة السفلى، كما في حديث البراء بن عازب ﷺ عند أحمد والطبري بإسناد صحيح، وفيه أن رسول الله ﷺ قال لما ذكر نفس الفاجر وصعود الملائكة بها إلى السماء، قال: **«فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟»** قال: **«فيقولون: فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له فلا يفتح له»** ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ﴾ [الأعراف: 40].

فيقول الله: «اكتبوا كتابه في أسفل الأرض في سجين في الأرض السفلى...» الحديث (واللفظ للطبري).

ثم حذَّر الله من سجين وأشار إلى خطورتها وعظيم شأنها بقوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ﴾.

وقوله: ﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ﴾: أي: كتاب مكتوب ومسطر، فالمعنى: إن كتاب الفجار مكتوب ومسطر وموضوع في سجين، وليس قوله:

﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ﴾: تفسيرًا لـ «سجين»، ولكن المعنى: إن كتاب الفجار كتاب مرقوم موضوع في سجين، وما أدراك ما سجين.

* ثم توعَّد الله سبحانه وتعالى هؤلاء المكذِّبين بيوم الدين المنكرين للبعث والحساب فقال سبحانه:

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ﴾: أي وما يكذِّب بيوم القيامة إلا المتعدِّي لحدود الله المرتكب للآثام.

﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: أي: كلما تُلِيت عليه الآيات قال: هذا ما كتبه الأولون الذين ماتوا وسطَّروه من القصص والخرافات والحكايات.

﴿كَلَّا﴾: أي: ليس الأمر كما يزعم هذا المعتدي الأثيم ويدَّعي.

﴿بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾: ولكن قد غَطَّت على قلوب هؤلاء الكافرين ذنوبُهم، كما قال نبينا محمد ﷺ : **«إذا أذنب العبد نُكِتَ في قلبه نكتةٌ سوداء، فإن تاب صقل منها فإن عاد عادت حتى تعظم في قلبه، فذلك الران الذي قال الله: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾»**.

وقوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾: أي: ليس الأمر كذلك على ما يظنون، فهم محجوبون عن الله سبحانه وتعالى، محجوبون عن رؤيته ولن يتلذذوا بالنظر إلى وجهه الكريم، أما أهل الإيمان فوجوههم ناضرة إلى ربها ناظرة، لهم الحسنى وزيادة، سيرون ربهم كما يرون القمر ليلة البدر، كما جاء عن رسول الله ﷺ، أما الكفار فكما أسلفنا محجوبون عن ربهم عزَّ وجل، وليسوا بمحجوبين فقط.

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ﴾:أي: داخلوا النار وذائقوها، ومصلَوْن بحرِّها.

﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾: ثم يقال لهؤلاء الكافرين المكَذِّبين بيوم القيامة: هذا جزاء التكذيب الذي صدر منكم في الدنيا، هذا جزاء قولكم: لا بعث ولا جنة ولا نار، هذه النار هي التي كنتم تكذِّبون بها في الدنيا فاصلوها وذوقوا عذابها.

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾:

﴿كَلَّآ﴾: ليس الأمر كما تزعمون من أنه لا جنة ولا ثواب.

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾: فالكتاب هو الذي كتبت فيه أعمال الأبرار المطيعين لربهم أصحاب اليمين، هذا الكتاب موضوع في مقام عالٍ مرتفع كما في حديث البراء المشار إليه قريبًا(1) ففيه أن النبي ﷺ

---

(1) تقدم في تفسير سورة النازعات.

قال – لما ذكر روح العبد المؤمن-: **«فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطَّيب؟ فيقولون: فلان بن فلان؛ بأحسن أسماه التي كانوا يسمُّونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له، فيفتح لهم، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها؛ حتى ينتهي به إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين....»**.

وليس قوله: ﴿كِتَٰبٌ مَّرۡقُومٞ﴾: تفسيرًا للعليين، ولكن المعنى: إن كتاب الأبرار كتاب مرقوم (أي مكتوب) موضوع في عليين، ثم ذكر الله عز وجل عليين تفخيمًا لشأنها بقوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾.

ويا ترى مَن يَطَّلِعُ على هذا الكتاب كتاب أعمال المطيعين وينظر فيه ويتصفحه؟!! ﴿يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ إنهم المقربون، إنهم أفضل الخلق، إنهم الملائكة يشهدون هذا الكتاب، يرون ما فيه من الخير والبر والصلاح والذكر والعبادة!.

لفتة طيبة في تفسير قوله تعالى: ﴿يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾: وهنا نلفت النظر إلى فائدة طيبة وقيمة تتعلق بهذه الآية الكريمة، ولتقريب هذه الفائدة أقول – وبالله التوفيق – إن أهل الدنيا إذا كان لأحدهم ابن أو بنت تدرس في المدارس أو الجامعات وكان الولد متفوقًا وكانت البنت كذلك متفوقة، ثم نجحا في الامتحان وحصلا على أعلى الدرجات؛ فإن الأب يفتخر بذلك غاية الفخر ويحمل شهادة ابنه أو ابنته ويطوف بها على الأصدقاء والجيران قائلًا: انظروا إلى درجات ولدي وابنتي في الاختبار! فهذه مادة الرياضيات قد أتى فيها بمائة من المائة، وهذه مادة اللغة العربية كذلك أتى فيها بمائة من مائة، وهذه اللغة الإنجليزية أتى فيها بالامتياز... وهكذا سائر المواد، فتجد الأب يطير فرحًا بذلك ويعمد إلى هذه الشهادة فيضعها معلقة في غرفة استقبال الأضياف!

فما ظنك بكتاب الأبرار؟! ذلك الكتاب الذي كتبت فيه أعمال الأبرار وأثبتت فيه أقوالهم وكتبت فيه خُطاهم وآثارهم، ترى من يباهي به؟! يباهي به رب

العزة – سبحانه وتعالى – ملائكته المقربين، فيشهد المقربون هذا الكتاب ويطلعون على ما فيه، فينظرون إلى ما فيه من صلوات خشع فيها العبد، وأحسن فيها القيام، وأتم الركوع والسجود.

وينظرون إلى ما فيها من صيام، كيف صام العبد؟ ويتعجبون من حفظه لصومه وعدم خوضه في القيل والقال، واغتياب المؤمنين والمؤمنات، وتركه الرفث والفسوق والصخب، وكيف كان يصوم الفرض ثم يتبعه بالنفل، وكيف لا تمر عليه الأيام إلا وهو صائم فإذا شئت أن تراه صائمًا رأيته.

وينظرون إلى ليل هذا الصيام كيف عُزّز بالقيام ومُلىء به فينظرون إلى ترتيل العبد واستغفاره بالأسحار وسؤاله ودعائه!!

وينظرن إلى ما سُجِّل من دمعات العين حينما ذكر العبد ربَّه خاليًا ففاضت عيناه.

ينظرون إلى فريضة الحج فيجدون العبد قد أَدَّى الفرض، بل والنفل كذلك قد تَنَفَّل!!! وليس الحج فحسب، بل والاعتمار كذلك أكثر العبد منه.

يشهد المقربون ما كتب من آثار الخُطا إلى المساجد والإصلاح بين الناس واتباع الجنائز وصلة الأرحام وعيادة المرضى والمشي في حوائج المسلمين.

يشهد المقربون مجالس العلم التي حضرها العبد، ودروس العلم التي بثها، ومجالس الذكر التي ذكر العبد فيها ربه عز وجل، وثواب الآيات التي تليت وأحاديث النبي ﷺ التي بُثت.

يشهد المقربون آثار الخطا إلى الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله والثواب الذي أثبتت لهذه الأقدام التي أَغْبِرَت.

يشهد المقربون كظمًا للغيظ، وعفوًا عن الناس، بل والإحسان إليهم.

يشهد المقربون كل هذا الخير، فيحمدون الله عز وجل على ما وَفَّقَ وهَدَى، وعلى ما امتن به وأسدى، وعلى ما تفضل به وأكرم.

هؤلاء أيها المقربون من ذرية من قلتم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة: 30].

ألم تجدوا – أيها المقربون – الكرام في صحف هؤلاء المؤمنين الأبرار من يسبّح بحمد الله ويُقدّس له؟!!

ألم تجدوا – أيها المقربون الكرام – أقوامًا لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون؟!!

ألم تجدوا أيها المقربون الكرام مقربين أمثالكم لم يستنكفوا عن عبادة ربهم والسجود له والخضوع؟!!

ألم تجدوا قومًا – أيها المقربون – لاحت في جباههم آثار السجود؟!!

ألم تروا الغرَّة والتحجيل بادية على الأيدي والأرجل والجباه من آثار الوضوء؟!

ها هي – أيها المقربون – أموالٌ قد أنفقت في سبيلي وابتغاء مرضاتي!!

انظروا واشهدوا أيها المقربون إلى ما أُثبت في هذه الصحف والكتب من التحميد والتسبيح والتهليل والتكبير وتلاوة آي الذكر الحكيم!!

يشهد المقربون كل هذا في كتب الأبرار الموضوعة في عليين، فيحمد المقربون ربهم عز وجل على ما منَّ به على أوليائهم من المؤمنين فيدعون لهم بتمام النعمة قائلين: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [غافر: 8، 9].

لا يكاد يجد الملائكة المقربون شيئًا يُشين صحف الأبرار، وإن وجدوا بادروا بالاستغفار طلبًا لمحوه وإزالته حتى تبقى كتب الأبرار ناصعة بيضاء إلى يوم التلاق، عن وجدوا ذنبًا زلَّت فيه قدم البَرّ المتَّقي قالوا كما ذكر الله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا

وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ [غافر: 7].

ويصف الله سبحانه وتعالى حال الأبرار والمآل الحسن الذي صاروا إليه والمستقر الطيب الذي استقروا فيه فيقول سبحانه: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾: أما الأرار هنا فهم أصحاب اليمين من أهل الجنة، فكما قدَّمنا أن الناس ثلاثة أصناف يوم القيامة، الفجار، والأبرار، والمقربون، **فالفجار:** هم أصحاب الشمال وهم أهل النار، **والأبرار:** هم أصحاب اليمين، **والمقربون:** هم السابقون، وكلا الطائفتين الأبرار والمقربون من أهل الجنة، وقد قَدَّمنا بعض القول في ذلك.

وأحيانًا يأتي ذكر الأبرار بمعنى المطيعين فيدخل فيه الطائفتان (أصحاب اليمين والسابقون المقربون).

وهذا في الغالب إذا جاء ذكر الأبرار في السياق ولم يأت فيه غيرهم من السابقين المقربين، فحينئذ يدخل فيهم المقربون، كما في قول المؤمنين:

﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ [آل عمران: 193].

فالأبرار هنا يدخل فيها الطائفتان، والله أعلم.

فهؤلاء الأبرار في الجنان مُنَعَّمين في نعيمٍ مقيمٍ.

﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾: والأرائك جمع أريكة؛ وهي السرير الموضوع في الحجلة، والحجلة بيت من الثياب الفاخرة، قريب منه عند العامة في زماننا وفي دنيانا، (الناموسية)، فالأبرار على هذه السرر المكسوة بالثياب الفاخرة والموضوعة فيها، وهي سرر مرفوعة، كما قال تعالى في الآية الأخرى، ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ [الغاشية: 13]، ينظرون إلى ما أعدَّه الله لهم من النعيم، ينظرون أحيانًا إلى أهل النار وإلى ما هم فيه من العذاب حتى يزدادوا شكرًا لله سبحانه وتعالى.

كما قال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ [الصافات: 50- 55].

ثم قال تعالى: ﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾: تعرف في وجوه هؤلاء الأبرار أثر النعيم، إذا نظرت إلى وجوههم رأيت أثر النعمة والفضل باديًا عليها، رأيت بريق النعيم تلألؤه، وأثر النور والبهاء الحسن والبياض والبهجة قد علا هذه الوجوه الطيبة.

أما إذا سألت عن شرابهم فإنهم: ﴿يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٖ﴾: أما الرحيق فهو الخمر، خَمرٌ في منتهى اللذة، كما قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم بِكَأۡسٖ مِّن مَّعِينِۭ ٤٥ بَيۡضَآءَ لَذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ **[الصافات: 45، 46]**.

ولكنها خمر لا تُسكر ولا تذهب بالعقول، بل كما قال تعالى: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ **[الواقعة: 19]**.

وكما قال تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوۡلٞ وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ﴾ [الصافات: 47].

هذا الرحيق مختوم، أي: أن تلك الكأس التي يشربون منها هذا الرحيق مغلقة لم تفتح لأحدٍ قبلهم، ولم يشرب منها أحدٌ غيرهم، فهو مغلقٌ لم يفتح إلا لهم، وما الغطاء والختم الذي غُطي به وختم به؟

إنّ ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ﴾ فالأبرار أحيانًا يشربون الخمر من كئوسٍ مغلقةٍ مختومةٍ، غطاؤها وخاتمها المسك، وأحيانًا يشربون الخمر من الأنهار، قال تعالى: ﴿وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ **[محمد: 15]**.

يشربون الخمر الذي يشم ممن شربه بعد شُربه رائحة المسك، ليس كخمر الدنيا الذي تشم فيه الروائح الكريهة بعد شربه، ففي مثل هذا النعيم فليتنافس المتنافسون، كما قال تعالى: **﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾:** فليتسابق إلى هذا النعيم المتسابقون بفعل الخيرات والتخفيف من المنكرات حتى ينالوا هذا النعيم.

أما قوله: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ﴾: فمزاجه أي: خليطه، فكأس الخمر الذي يشر منه الأبرار قد خُلِط معه شراب أتى من عينٍ يُقال لها «تسنيم»، تلك العين التي يشرب منها المقربون، فالتسنيم يشرب منها المقربون صافية خالصة غير

مخلوطة، أما أصحاب اليمين فيشربون من الرحيق المخلوط بشيء من التسنيم.

فالحاصل: أن التسنيم عينٌ خاصة للمقربين يشربون منها كما قال تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾: يؤخذ منها جُزء ويخلط بغيره، ويشرب من هذا الخليط غيرهم وهم أصحاب اليمين الذين هم الأبرار، فالمقربون يشربون من التسنيم صِرفًا – أي خالصة – وتمزج التسنيم مع غيرها لأصحاب اليمين مزجًا، وهي إنما تُمزج (أي تخلط) بالرحيق المختوم.

وهذه الآيات كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ **[الإنسان: 5، 6]**.

فالكافور: عين يشرب منها عباد الله الذين هم المقربون، صافية خالصة غير مخلوطة، وتخلط الكافور بغيرها ليشرب من هذا الخليط الأبرارُ، ولتقريب المعنى نضرب مثلًا من دنيانا – مع الفارق – فموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها.

نتخيل أن هنا مشروبين، شايًا ولبنًا، فقوم يشربون اللبن صافيًا وهم الأثرياء، وقوم يشربون شايًا قد خُلط بشيء من اللبن وهم الأقل ثراء. والله أعلم.

ثم يَذْكُر الله – سبحانه وتعالى – أفعال أهل الإجرام وما كانوا يصنعون في الدنيا، من الاستهزاء بالمؤمنين والسخرية منهم، وكيف تبدَّلت الأحوال وتغيرت، وإلى ماذا انتهت الأمور، وما الوضع المخزي الذي صاروا إليه؟ فيقول سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾: هذا حال أهل الإجرام في الدنيا سخرية دائمة من المؤمنين.

﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾: استهزاءٌ بالمؤمنين وبأفعالهم!! غمزٌ وهمزٌ ولمزٌ!! عيبٌ وازدراءٌ وطعنٌ واحتقارٌ!! وصفٌ بالسفاهة وبالجنون والتخلف والرجعية! بل ووصفٌ بالضلال!

وليس هذا خاص بزمانٍ بعينه بل هو دأب أهل الإجرام على الدوام.

قال الله – سبحانه وتعالى – في شأن نبيه نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ [هود: 38]، وقال أيضًا: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأعراف: 60].

وكذلك قال قوم هود لهود عليه السلام: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾ [الأعراف: 66].

وقال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [البقرة: 212].

وقال أهل الكفر في شأن المؤمنين: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ﴾[الأنعام: 53].

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ﴾ [التوبة: 79].

وقال أهل الكفر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الحجر: 6].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ [الأنعام: 10].

هذا هو دأب أهل الكفر باضطراد وليست سخرية في وجوه أهل الإيمان فحسب بل: ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴾: أي: إن أهل الكفر إذا رجعوا إلى بيوتهم وأهليهم يسمرون على ذكر أهل الإيمان والسخرية منهم ويتفكهون بذكر أحوالهم.

و﴿فَكِهِينَ ﴾ أيضًا، فرحين بما هم فيه من الشرك والمعاصي ونِعَمِ الدنيا.

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾ أي: إذا قُدِّر والتقى أهل الإجرام بأهل الإيمان في الطُّرق وصفوهم بالضلال والجهل.

﴿وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴾: أي إنكم يا أهل الإجرام ما أرسلتم رقباء على عبادي ولا حفظة لأعمالهم ولا كتبة لهم، إنما كلفتم الإيمان بي والعمل بطاعتي، وليس لكم وراء ذلك شيء، فلماذا شغلتم أنفسكم بعبادي وجعلتموهم نصب أعينكم تحكمون عليهم بما شئتم وتصفونهم بما أردتم، حتى أنسَوكم ذكري!.

ولكن الله عزز وجل لم يكن يتخلى عن عباده وأوليائه ولا يُضل سعيهم ولا

يخيّبُ رجاءهم، فيوم القيامة تتبدل الأحوال ويُنتصر للمظلوم من الظالم فيضحك أهل الإيمان من أهل الإجرام. ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾: فالجزاء من جنس العمل.

﴿إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود: 38].

ثم تختم السورة بقوله تعالى: ﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾: أي: هل يجُوزي الكفار بما كانوا يعملون؟!

هل رأيتم – يا أهل الإيمان – ما حلَّ بأهل الكفر؟!

هل ذهب غيظُ قلوبكم وشفى الله صدوركم من عدوّكم الذي كان يسخر منكم ويتهكم عليكم؟!

وأنت – أيها الكافر – هل علمت أن وعد الله حق، وأن الساعة قد أتت، هل علمت – أيها الكافر – أن النار حق، وهل لاقيت جزاءك الذي تستحقه، ألا فبُعدًا للقوم الظالمين. ألا فلتقرَّ عَيْنُ المؤمنين.

* * *

سورة الإنشقاق

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني مفردات السورة الكريمة

1- ﴿ٱنشَقَّتۡ﴾: حدث بها شقوق.

2- ﴿وَأَذِنَتۡ﴾: سمعت وأطاعت.

2- ﴿وَحُقَّتۡ﴾: حق عليها الاستماع.

3- ﴿مُدَّتۡ﴾: بسطت وزيد في سعتها.

6- ﴿كَادِحٌ ، كَدۡحًا﴾: عاملُ عملًا.

11- ﴿يَدۡعُواْ ثُبُورٗا﴾: يدعو على نفسه بالهلاء.

14- ﴿يَحُورَ﴾: يرجع حيًّا يوم القيامة.

16- ﴿بِٱلشَّفَقِ﴾: الحُمرة التي تبقى بعد غروب الشمس ناحية الغروب.

17- ﴿وَسَقَ﴾: جمع وحوى.

18- ﴿ٱتَّسَقَ﴾: اكتمل نوره.

19- ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾: حالًا بعد حال.

23- ﴿يُوعُونَ﴾: يكتمون – يُسرون.

25- ﴿مَمۡنُونٖ﴾: مقطوع.

* * *

تفسير سورة الانشقاق

سبق لنا أن بيَّنا أن الله سبحانه وتعالى يذكر المعنى الواحد في عدة آيات وعدة سور حتى يفهمه الناس، فمن لم يفهم المعنى من هذه السورة أو هذه الآية فهمه من آيات أُخَر وسورٍ أُخر، ومن هذه المعاني التي تكررت في عدة سورٍ

وآياتٍ أن الشخص يُلاقي عمله يوم القيامة خيرًا كان أو شرًّا.

فكما قدَّمنا، أن هذا المعنى تكرر في عدة سور.

قال تعالى: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ **[القيامة: 13]**، وقال تعالى: ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا﴾ **[الكهف: 49]**.

وقال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ **[الزلزلة: 7، 8]**، وقال تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ **[الانفطار: 5]**، وقال سبحانه: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ **[التكوير: 14]**.

على غير ذلك من الآيات، ويتأكد هذا المعنى في هذه السورة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾.

يقول الله سبحانه: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾: أي حدثت فيها شقوق وتصدعات وفتحات فكانت أبوابًا، كما قال تعالى: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾ **[النبأ: 19]**.

وكما قال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ **[الفرقان: 25]**.

وقوله: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾: أي سمعت لربها وأطاعت، فجدير بها أن تسمع وتطيع فقوله ﴿وَأَذِنَتْ﴾ أي سمعت كما قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ﴾ **[التوبة: 61]**.

﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾: أي: فُردت وبُسطت وزيد في سعتها ومساحتها.

﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾: أي: ألقت ما بداخلها من الأموات الذين دفنوا فيها وتخلت عنهم، وألقت أيضًا ما بداخلها من المعادن والذهب والفضة، فلما مُدَّت الأرض وبُسطت ألقت أثقالها، وما بداخلها من الموتى، ألقتهم على ظهرها وتخلت عنهم، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ **[ق: 44]**.

وتُلقي أيضًا المعادن التي بداخلها كما في حديث رسول الله ﷺ(1) **«تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول: في**

---

(1) أخرجه مسلم (1013).

هذا قتلت، ويجيء القاطع فيقول: في هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول: في هذا قُطعت يدين ثم يَدَعونه فلا يأخذون منه شيئًا» أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا.

فتخلت الأرض عنهم بعد أن كانت لهم كفاتًا أحياءً وأمواتًا، وبعد أن كانت لهم مهادًا لفظتهم وتخلت عنهم، وهذا – كما قال بعض العلماء – مما يزيد من رهبة الموقف وشدته وشدة التضييق على العباد، وأن لا ملجأ لهم ولا منجى إلا إلى الله، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾ [القيامة: 11، 12].

وقوله: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾: أي استمعت الأرض هي الأخرى لربها وأطاعت، وجدير بها أن تسمع وتطيع، فإذا حدث هذا كله، إذا انشقت السماء وسمعت لربها وأطاعت، والأرض كذلك مُدَّت وبُسِطتْ وأخرجَتْ ما فيها وسمعت لربها وأطاعت، حينئذٍ يلاقي الإنسان كدحه وعمله الذي عمله في الدنيا ويلاقي ربه فيسأله عن هذا الكدح.

كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾: أي عامِلٌ فملاقٍ عملك، وملاقٍ ربك كذلك.

وتظهر مقدمات الخير أو الشر وبوادرهما عند استلام كتاب الأعمال، ذلكم الكتاب الذي أثبتت فيه أعمال الشخص وأقواله وحركاته وسكناته.

فمن الناس من يؤتي كتابه بيمينه، ومنهم من يستلمه بشماله من وراء ظهره، أي: يجعل يده اليسرى خلف ظهره ويتسلم الكتاب على هذه الحال المُزرية والوضع المخزي، أعاذنا الله منه.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾: وليس المراد بالحساب حساب التأنيب والتوبيخ، إنما فقط تعرض عليه أعماله فَيُجَازي على حسنها ويُغفَر له سيئها، فالمراد بالحساب هنا في حق المؤمن العرض، فقد أخرج

البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة[1] ث قالت: قال رسول الله ﷺ: **«ليس أحد يحاسب إلا هلك»** قالت: قلت يا رسول الله – جعلني الله فداءك – أليس يقول الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾: قال: **«ذاك العرض، يُعرضون، ومن نوقش الحساب هلك»**.

وللعلماء في تفسير العرض أقوال:

منها: أن المراد بالعرض عرض الناس على الميزان، **ومنها:** أن ينظر في أعماله فيغفر له سيئها ويجازي على حسنها.

وأصحها: عرض أعمال العبد عليه بين يدي الله ثم مغفرتها له، ودل على ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم[2] من حديث ابن عمر ث أنه سمع النبي ﷺ يقول: **«يُدني المؤمن يوم القيامة من ربّه عز وجل حتى يضع عليه كنفه، فيقرره بذنوبه، فيقول: هل تعرف؟ فيقول: أي رب أعرف، قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم فيعطي صحيفة حسناته، وأما الكفار والمنافقون فيُنادى بهم على رؤوس الخلائق: هؤلاء الذين[3] كذبوا على الله»**.

يتلقى المؤمن كتابه بيمينه فيرجع منطلقًا مسرورًا إلى أهله كما قال تعالى:

﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾: ينطلق ويرجع إلى أهله الذين أعدهم الله له في الجنان من الحور العين، وأهله من أهل الصلاح الذين كانوا معه في الدنيا وسبقوه إلى الجنة من زوجات وأولاد وآباء وأمهات وعشيرة وأصدقاء.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾: أما الشقي – والعياذ بالله – الذي يُعطي كتاب أعماله بشماله من وراء ظهره، ذلكم الكتاب الذي أثبتت فيه أعماله وجرائمه وشروره ومفاسده شركه وغروره، فلا بشى لهذا المجرم يومئذ بل: ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١﴾

---

(1) أخرجه البخاري (4939)، ومسلم (2876).

(2) أخرجه البخاري (2441)، ومسلم (2768).

(3) أخرجه مسلم ترتيب محمد فؤاد (هؤلاء الذي....) والصواب ما أثبتناه.

﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾: أي سوف يدعو على نفسه بالموت والهلاك، كما في قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: 77].

وكما في قوله: ﴿يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ﴾ [الحاقة: 25- 27].

إنه سيصلي سعيرًا؛ أي سيدخل النار ويصلي بحرّها، سيُشْوي وجهه ويُحرق جلده ويُبدل جلدًا غير جلده، ويحترق الجلد أيضًا: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء: 56].

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾: كان في دنياه وسط أهله مسرورًا بكفره وضلاله ومخالفته لأمر الله عز وجل، وكان مسرورًا بارتكابه للمعاصي سعيدًا بتحلل من شرع الله عز وجل.

﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾: أي إن هذا الكافر الذي تلقي كتابه بشماله من وراء ظهره اعتقد أنه لن يرجع إلى ربّه حيًّا بعد موته.

﴿بَلَىٰٓ﴾: ليرجعنَّ على ربّه وليحاسبنَّ.

﴿إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾: مطلعًا عليه وعلى أعماله لا يخفى عنه حاله.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾: أما قوله تعالى: ﴿فَلَآ﴾ فقد تقدم الكلام عليه عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ﴾ [التكوير: 15].

وقوله: ﴿أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾: أقسم الله عز وجل بالشفقن والمراد به: الحُمرة التي تبقى في السماء بعد غروب الشمس ناحية الغروب (بعد المغرب إلى العشاء).

﴿وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾: أقسم الله أيضًا بالليل ﴿وَمَا وَسَقَ﴾: أي وما جمع وحوى، فالليل تنتشر فيه الشياطين وتخرج فيه السباع والهوام، وتُدبر فيه الأمور ويُبيَّتُ فيه للأعداء، ويقسم الله بالقمر إذا اتسق – أي اكتمل – وتمَّ واستوى وتكامل نوره، وهذا يكون ليلة ثلاثة عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة، يقسم الله سبحانه بهذه الأشياء: الشفق والليل وما وسق والقمر إذا اتسق

على شيء، ألا وهو: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾: أي عن أحوالكم ستتغير وستتبدل حالًا بعد حال، فمعنى قوله تعالى: ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾: أي: حالًا بعد حالٍ، ولكن ما المراد بالحال الأولى؟ وما المراد بالحال الثانية؟

لأهل العلم في ذلك أقوال مبنية على القراءة في قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾؛ فمن القرَّاء من قرأها بفتح التاء المثناة الفوقانية وفتح الباء الموحدة التحتانية: لَتَرْكَبَنَّ، والذين قرؤوها على هذا النحو لهم فيها تأويلات:

أحدها: أن هذا خطاب لرسول الله ﷺ، والمعنى على هذا له وجوه:

الوجه الأول: لتركبن يا محمد حالًا بعد حال(1)، أي أن الأحوال ستمر بك يا محمد من حال فقرٍ إلى حال غني، ومن حال ضعف إلى حال قوة وظفرٍ وغلبة على المشركين المكذبين بالبعث.

كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ **[الضحى: 6- 8]**.

الوجه الثاني: أن المراد لتركبن يا محمد سماءً بعد سماءٍ، وقد فعل الله ذلك به ليلة المعراج، وقد قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ **[نوح: 15]**.

الوجه الثالث: لتركبن يا محمد درجة بعد درجة، ورتبة بعد رتبة في القرب إلى الله عز وجل.

التأويل الثاني: أن المراد بقوله: **«لتركبن»** هي السماء، فالمعنى أن السماء تتغير أحوالها، فمرَّةً تكون كالدهان، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ **[الرحمن: 37]**.

ومرة تشقق بالغمام، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا﴾ **[الفرقان: 25]**.

ومرة تنفطر، كما قال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ **[الانفطار: 1]** وتتغير السماء من

---

(1)

لون إلى لون.

وقرأ فريق آخر من العلماء **«لَتَرْكَبُنَّ»** بفتح التاء المثناة الفوقانية وضم الباء الموحدة التحتانية.

وهذا الخطاب في قوله: ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ للناس، والمعنى الإجمالي أولًا: لتُمرَّن بك أيها الإنسان – وأنتم أيها الناس – جملة أمور وأحوال، وفي بيان هذه الأمور والأحوال جملة أقوال:

القول الأول: لتمرن بك أيها الإنسان شدائد وأهوال الموت والبعث والعرض والميزان والصراط والجنة أو النار.

القول الثاني: أن الإنسان يمر بجملة أطوار، نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم يُكسي عظمُه لحمًا، ثم ينشأ خلقًا آخر ويخرج من بطن أمه ضعيفًا ثم يتقوى ثم يضعف ويشيب ثم يموت.

كما قال تعالى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾ **[الروم: 54]**.

القول الثالث: أن المراد أن أحوال الإنسان تتغير بين الدنيا والآخرة، فقد يكون وضيعًا في الدنيا ويرفعه الله في الآخرة، وقد يكون مرتفعًا في الدنيا ويخفضه الله عز وجل في الآخرة؛ كما قال تعالى في شأن الآخرة: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ **[الواقعة: 3]** وقد يكون مرتفعًا في الدنيا ويزداد رفعة كما قال تعالى في شأن عيسى عليه السلام: ﴿وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ **[آل عمران: 45]**، وقد يكون وضيعًا في الدنيا ويزداد إذلالًا في الآخرة.

القول الرابع: أن أحوال الإنسان تتغير في الدنيا من صحة إلى مرض، ومن مرض إلى صحة، ومن غنَي إلى فقر، ومن فقر إلى غنًى، كما قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ **[آل عمران: 140]**.

القول الخامس: أن المراد بقوله: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾: أي: لتتبعن أحوال

اليهود والنصارى حالًا من أحوالهم بعد حال، كما جاء عن رسول الله ﷺ: **«لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه»** والمعنى أيضًا: لتركبن سنة الأولين ممن كان قبلكم في التكذيب بالنبوة والقيامة.

*** قال الطبري رحمه الله:** وأولى القراءات في ذلك عندي بالصواب قراءة منقرأ بالتاء وبفتح الباء، لأن تأويل أهل التأويل من جميعهم بذلك ورد، وإنكان للقراءات الأُخر وجوه مفهومة، وإذا كان الصواب من القراءة في ذلك ما ذكرنا فالصواب من التأويل قول من قال: ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ أنت يا محمد حالًا بعد حال، وأمرًا بعد أمرٍ من الشدائد، والمراد بذلك، وإن كان الخطاب إلى رسول الله ﷺ موجهًا إلى جميع الناس، أنهم يلقون من شدائد يوم القيامة وأهواله أهوالًا.

أما وقد علم الكفار هذا، علموا أن الأحوال ستتغير وتتبدل:

﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ۝﴾ **(1)**.

ما الحامل لهم على ترك الإيمان وهجر القرآن وتكذيب المرسلين والامتناع عن السجود والصلاة؟!!

ليس لهم في الحقيقة مبرر صحيح ولا برهان ناصع.

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾: لكنهم قوم مكذبون مستمرون في التكذيب والعناد.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾: أي: بما يكتمون ويُسرون.

﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: أي: فبشِّر هؤلاء الكفرة المكذبين المعرضين عن الإيمان والقرآن بعذاب أليم؛ أي مؤلم موجع.

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: أي: لن الذين آمنوا وعملوا

---

(1) ملاحظة: ثبت أن النبي ﷺ سجد عند قراءة هذه الآية كما في «صحيح مسلم» ففي «صحيح مسلم» (ص406) من حديث أبي هريرة ﷺ قال: سجدنا مع النبي ﷺ في ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾. و﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾.

الصالحات لهم أجرٌ غير مقطوع ولا منتهٍ.

* * *

سورة البروج

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني مفردات السورة الكريمة

1- ﴿ٱلْبُرُوجِ﴾: النجوم والكواكب العظيمة.

4- ﴿قُتِلَ﴾: لُعن.

4- ﴿ٱلْأُخْدُودِ﴾: حفرة مستطيلة في الأرض.

7- ﴿شُهُودٌ﴾: حضور مشاهدين.

10- ﴿فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: عذبوهم ليصرفوهم عن دينهم.

12- ﴿بَطْشَ﴾: انتقام.

14- ﴿ٱلْوَدُودُ﴾: المحب للطائعين.

15- ﴿ٱلْمَجِيدُ﴾: الكريم.

* * *

تفسير سورة البروج

قوله سبحانه: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾: يُقسم الله عز وجل بالسماء ذات البروج، أي: بالسماء التي فيها بروج وهي النجوم والكواكب العظيمة، وهي أيضًا منازل الشمس والقمر، أي: الأماكن التي ينزل فيها القمر والأماكن التي تنزل فيها الشمس أيضًا.

ويقسم سبحانه باليوم الموعود وهو يوم القيامة، وكذلك يُقْسِم ربنا عز وجل بالشاهد والمشهود، وللشاهد والمشهود معنيان تنبني عليهما تفسيرات العلماء:

أحدهما: أن الشاهد هو الذي يشهد أو يشاهد؛ أي: يحضر أو يرى كما يُقالك

شهدت صلاة الجمعة؛ أي حضرتها، والمشهود هو المرئيُّ أو المحضور.

الثاني: أن الشاهد هو الذي يشهد على الأشخاص أو الأحداث والوقاع، وتثبت به الدعاوى وتُقام به الحقوق كما يقال: شهد فلان على كذا، والمشهود هو المشهود عليه.

وعلى ذلك جاءت تفاسير العلماء، فالذين بنوا على التفسير (أي يحضرون).

والمشهود يوم القيامة، وذلك لقوله تعالى في شأن يوم القيامة: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ **[هود: 103]**.

الثاني: أنَّ الشاهد هم المصلُّون الذين يصلُّون الجمعة، والمشهود صلاة الجمعة وخطبتها.

الثالث: الشاهد هم الحجيج الذين يشهدون الحج، والمشهود يوم عرفة، ومنهم من قال: المشهود يوم النحر، إلى غير ذلك من الأقوال.

أما الذين قالوا: إن الشاهد من الشهادة التي تثبت بها الحقوق، فلهم في التفسير ضروب:

الأول: أن الشاهد هو الله – سبحانه وتعالى – والمشهود التوحيد والنبوة، لقوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ **[آل عمران: 18]**.

ولقوله: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ **[الأنعام: 19]**.

الثاني: أن الشاهد محمد ﷺ والمشهود عليه أمته لقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ **[النساء: 41]**.

الثالث: أن الشاهد الأنبياء، والمشهود عليه الأمم.

الرابع: أن الشاهد الملائكة، والمشهود عليه الأنفس.

الخامس: أن الشاهد هو الجوارح، والمشهود عليه الإنسان.؟

وثمَّ أقوال أُخر، وكل ما ذُكر يصلح أن يُقال عنه شاهد، وكذلك كل مشهود ذُكِر يصلح أن يقال عنه مشهود.

فالحاصل: أن الشاهد هو كل من يشهد؛ أي: يحضر ويُشاهد، والمشهود هو ما يُرى من المشاهد العظيمة.

والشاهد – أيضًا – هو الذي يشهد على الأشياء، والمشهود كذلك كل ما يُشهد عليه أيضًا، والله أعلم.

فأقسم الله سبحانه وتعالى بالسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود على أن أصحاب الأخدود ملعونون مطرودون من رحمته، وهو معنى قوله:

﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾: وقُتِلَ هنا معناها: لُعن وطُرِد، أما أصحاب الأخدود فهم قوم مجرمون كفار، خدُّوا الأخاديد – أي حفروا الحفر في الأرض – وأشعلوا فيها نيرانًا عظيمةً ذات وقود هائل كما وصفها الله بقوله: ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾: وألقوا فيها المؤمنين.

وقد ورد حديث في هذا المعنى أخرجه مسلم(1) من حديث صهيب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«كَانَ مَلِكٌ فِيمَن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر(2) قال للملك: إني قد كبرت، فابعث إليَّ غلامًا أعلمه السحر، فبعث إليه غلامًا يعلمه فكان في طريقه إذا سلك راهب، فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد غليه. فغذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر فق: حبسني أهلي. وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر، فبينما هو كذلك إذا أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجرًا فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس. فرماها فقتلها، ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب. أي بُنَيّ! أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما**

---

(1) أخرجه مسلم (3005).

(2) أي الساحر.

أرى، وإنك ستُبتلى فإن ابتليت فلا تدل عليَّ، وكان الغلام يبريء الأكمة[1] والأبرض ويداوي الناس من سار الأدواء. فسمع جليسٌ للملك كان قد عميَ، فأتاه بهدايا كثيرة. فقال: ما ها هنا لك أجمع إن أنت شفيتني، فقال: غني لا أشفي أحدًا؛ إنما يشفي اللهُ. فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك. فآمن بالله، فشفاه الله. فأتى الملك فجلس إليه كان يجلس، فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي. قال: ولك ربٌّ غيري؟! قال: ربِّي وربُّك الله. فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام. فجيء بالغلام. فقال له الملك: أي بُنيّ! قد بلغ من سحرك ما تبريء الأكمة والأبرص وتفعل وتفعل. فقال: إني لا أشفي أحدًا. غنما يشفي اللهُ فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب، فجيء بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك فأبى. فدعا بالمئشار، فوضع المئشار[2] في مفرق رأسه، فشقَّهُ حتى وقع شقاه، ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك. فأبى. فدفعه إلى نفرٍ من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا. فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته[3]، فإن رجع عن دينه، وإلا فاطرحوه. فذهبوا به فصعدوا به الجبل. فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت. فرجف بهم الجبل[4] فسقطوا. وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله. فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قُرْقُورٍ[5] فتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه. فذهبوا به. فقال:

---

(1) الأكمة الذي ولد أعمى.

(2) «بالمئشار» مهموز في رواية الأكثرين: ويجوز تخفيف الهمزة بقلبها ياء، وروي: المنشار بالنون. وهما لغتان صحيحتان.

(3) «ذروته»: ذروة الجبل أعلاه، وهي بضم الذال وكسرها.

(4) «فرجف بهم الجبل»: أي اضطرب وتحرك حركة شديدة.

(5) «قرقور»: القرقور السفينة الصغيرة. وقيل: الكبيرة. واختار القاضي الصغيرة، بعد حكايته خلافًا كثيرًا، قاله النووي.

اللهم اكفنيهم بما شئت. فانكفأت بهم السفينةُ(1) فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك. فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله. فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به. قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد(2) واحد وتصلبني على جذع، ثم خُذْ سهمًا من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس(3) ثم قل: باسم الله رب الغلام، ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع، ثم أخذ سهمًا من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال: باسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام. فأُتي الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بك حذرك(4)، قد آمن الناس، فأمر بالأخدود(5) في أفواه السكك(6) فخُدَّت، وأضرم النيران وقال: من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها(7) أو قيل له: اقتحم . ففعلوا حتى جاءت امرأةٌ ومعها صبيٌّ لها فتقاعست(8) أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمَّةِ! اصبري. فإنك على الحق».

أوقد هؤلاء المجرمون النيران وجلسوا حولها يقذفون المؤمنين في النار واحدًا تلو الآخر، ويتفرجون عليهم ويستمتعون بمناظرهم وهم يعذبون في النار.

كما قال تعالى: ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾**:** ويتساءل الشخص

---

(1) «فانكفأت بهم السفينة» أي: انقلبت.

(2) «صعيد»: الصعيد هنا الأرض البارزة.

(3) «كبد القوس»: مقبضها عند الرمي.

(4) «نزل بك حذرك»: أي ما كنت تحذر وتخاف.

(5) «بالأخدود»: الأخدود هو الشق العظيم في الأرض، وجمعه: أخاديد.

(6) «أفواه السكك»: أي: أبواب الطرق.

(7) «أحموه»: أي اطرحوه.

(8) «فتقاعست»: أي فتوقفت ولزمت موضعها وكرهت الدخول في النار.

ما الجريمة التي اقترفها أهل الإيمان حتى يقذف بهم في النار؟! ليس لهم ذنب إلا أنهم آمنوا بالله العزيز الحميد.

﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾: هل الإيمان بالله ذنب يُعاقب عليه العبد؟!!.

يرى هؤلاء الكفار الذين طمس الله على أعينهم أن الإيمان بالله ذنب، ويعذبون المؤمنين عليه، ومن أجله يخرجونهم من بيوتهم ويطردونهم من بلادهم.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ [إبراهيم: 13]، وقال سبحانه: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ [الأعراف: 88]، وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾ [الحج: 40]، وقال سحرة فرعون لفرعون: ﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا ﴾ [الأعراف: 126].

وقال قوم لوط للوط عليه السلام: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴾ [الشعراء: 167].

وقال قوم نوح لنوح عليه السلام: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴾ [الشعراء: 116].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ ﴾ [المائدة: 59].

وقال ورقة بن نوفل لرسول الله ﷺ يا ليتني فيها جزعًا ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: **«أو مخرجيَّ هم؟!»** قال نعم: لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودي(1).

إنها صور من الابتلاءات والمحن ابتلى بها من كان قبلنا، وما كان لهم من

---

(1) أخرجه البخاري (3612)، ومسلم (160) من حديث عائشة ڤ.

ذنب اقترفوه ولا جرم ارتكبوه إلا أنهم آمنوا بالله العزيز الحميد!!!

نشرٌ بالمناشير، وتمشيط بأمشاط الحديد.

أخرج البخاري(1) من حديث خباب بن الأرت ڤ قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة؛ قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ قال: **«كان الرجل فيمن قبلكم يُحفَر له في الأرض فَيُجْعل فيه، فَيُجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمَنَّ هذا الأمر(2) حتى يسير الراكِبُ من صنعاء إلى حضر موت لا يخاف إلا الله أو(3) الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»**.

قذفٌ في النار، وتعذيبٌ نفسي بإحراق الأولاد أمام أعين آبائهم وأمهاتهم.

فقد أخرج الإمام أحمد رحمه الله بسند صحيح لغيره من حديث ابن عباس ڤ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لما كانت الليلة التي أسرى بي فيها، أتت عليَّ رائحة طيبة، فقلت: يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة؟ فقال: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها، قال: قلت: وما شأنها؟ قال: بينا هي تمشط ابنة فرعون ذات يوم إذ سقطت المدري من يديها، فقالت: بسم الله، فقالت لها ابنة فرعون: أبي؟! قالت: لا، ولكن ربي ورب أبيك الله. قالت: أُخْبره بذلك؟ قالت: نعم، فأخبرته، فدعاها،**

---

(1) البخاري (3612)، وأبو داود (2649).

(2) الأمر: المراد به الإسلام.

(3) في رواية: والذئب على غنمه.

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (7/ 167):

«تنبيه: قوله: «والذئب»: هو بالنصب عطفًا على المستثنى منه لا المستثنى، كذا جزم به الكِرْمَانِيُّ، ولا يمتنع أن يكون عطفًا على المستثنى، والتقدير: ولا يخاف إلا الذئب على غنمه، لأن مساق الحديث إنما هو للأمن من عدوان بعض الناس على بعض كما كانوا في الجاهلية، لا للأمن من عدوان الذئب، فإن ذلك إنما يكون في آخر الزمان عند نزول عيسى».

فقال: يا فلانة، وغن لك ربًّا غيري؟ قالت: نعم، ربي وربك الله، فأمر ببقرة من نحاس فأحميت، ثم أمر بها أن تلقي هي وأولادها فيها، قالت: له: إن لي إليك حاجة. قال: وما حاجتك؟ قالت: أحب أن تجمع عظامي وعظام ولدي في ثوب واحد وتدفننا. قال: ذلك لك علينا من الحق، قال: فأمر بأولادها فألقوا بين يديها واحدًا واحدًا إلى أن انتهى ذلك إلى صبي لها مرضع، وكأنها تقاعست من أجله. قال: يا أمه، اقتحمي فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، فاقتحمت».

وكذلك أُلقيَ الخليل عليه السلام في النار، ولكن جعلها الله عليه بردًا وسلامًا.

قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [العنكبوت: 24].

وقال تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: 69].

وكما قَدَّمنا، طردٌ من البلاد وإخراجٌ من البيوت كذلك.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الحج: 40].

وها هو رسولنا وحبيبنا محمد ﷺ يُخرج من بلدته مكة وهي عزيزة عليه، ولكنه قضاء الله وسنته في العباد.

أخرج الإمام أحمد في مسنده(1) بإسناد صحيح من حديث عبد الله بن عدي بن الحمراء ﷺ أنه سمع النبي ﷺ وهو واقف بالحزورة في سوق مكة يقول: **«والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله – عز وجل – ولولا أني أُخرجت منك ما خرجت».**

حقًّا إنها السنن، ولا حول ولا قوة إلا بالله، والأمر كله إلى الله..

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾: والله ليس بغافل، وهو مطلعٌ وشاهدٌ على هؤلاء الوم الظالمين، ومطَّلعٌ وشاهد على عباده المؤمنين الذين يُقذفون في النار، ولكنه

---

(1) أحمد «المسند» (4/ 305) والترمذي (5/ 722) وابن ماجه (3108).

سبحانه يمهل ولا يمهل.

ثم يبين الله سبحانه وتعالى العاقبة الوخيمة والعذاب الأليم الذي ينتظر هؤلاء المجرمين الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات وعَذَّبوهم وحرقوهم بالنار ليصرفوهم عن دينهم ويجبروهم على الردة والكفر وترك دينهم.

فيقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾: أي إنهم إذا ماتوا ولم يتوبوا من هذا الذنب والجرم الذي ارتكبوه فلهم عذابان، **أحدهما:** عذاب جهنم، **والثاني:** عذاب الحريق، فيزيدهم الله عذابًا فوق العذاب، عذابًا لكفرهم وإفسادهم في الأرض وصدهم عن الإيمان، وعذابًا آخر لتحريقهم المؤمنين والمؤمنات.

كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: 88].

فهنا عذابان: عذاب للكفر، وعذاب للصد عن سبيل الله.

وكما قال سبحانه في الآية الأخرى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [العنكبوت: 12، 13].

وهكذا، فكل كافرٍ مفسدٍ، صادٍّ عن سبيل الله له عذابان، عذاب لكفره، وعذاب لصرف الناس عن دينهم، ألا فليحذر الآباء الذين يقودون أولادهم إلى الشرك، وليحذر الآباء الذين يَصدُّون أبناءهم عن الدين وعن الصلاة، ولتحذر الأمهات اللواتي يجبرن بناتهن على التبرج والسفور، ولتحذر الأمهات اللواتي يصرفن بناتهن عن طاعة الله ورسوله.

هذا، ومن أهل العلم من ذكر أن هؤلاء – أصحاب الأخدود – قد احترقوا في الدنيا، فذكر قائل هذا القول أنهم بعد أن عذَّبوا المؤمنين والمؤمنات تطاير إليهم شررٌ من النار فأحرقهم، ويُدَّخَر لهم في الآخرة عذاب جهنم، والله أعلم.

ولنا وقفة مع قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾: فهذا القول يدل على أنهم لو تابوا لخرجوا من هذا الوعيد، هذا مما يدل على سعة رحمة الله – عز وجل – وقبوله التوبة من عباده، وكما نُقل عن الحسن البصري رحمه الله: انظروا إلى هذا الكرم والجود، قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة.

قلت: فسبحانك ربنا ما أحلمك وما أرحمك، قوم عذَّبوا أولياءك، وخدوا لهم الأخاديد، وأشعلوا فيها النيران، وجلسوا حولها ينظرون ويشاهدون أهل الإيمان وهم يحترقون، ويشاهدون الطفل ينزع من بين ثدي أمه ويقذف أمام عينيها في النار، ثم يؤتي بها هي الأُخرى فتقذف في النار، يشاهدون ذلك ويستمتعون بهذا التعذيب والنكال الذي يُصاب به أهل الإيمان، وليس لأهل الإيمان جرم ارتكبوه حتى يعذبوا هذا العذاب، ومع ذلك تفتح لهم يا ربنا باب التوبة بقولك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟﴾.

فإن تابوا يا رب قبلت منهم توبتهم وعفوت عن جريمتهم؟!!

حقًّا ربنا إنك رب رحيم، إنك عفو حليمٌ، إذ فتحت باب التوبة للتائبين ولم تغلقه.

أقررنا لك ربنا أنك أنت أرحم الراحمين، إذ قلت وقولك الحق: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ **[النساء: 110]**.

شكرًا لك يا إلهنا ويا خالقنا ويا مولانا على ما مننت به في قولك ووعدك: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ **[الزمر: 53]**.

سبحانك يا إلهنا فأنت تعلم ضعفنا وتعلم جهلنا وتعلم تقصيرنا وخطأنا وعمدنا، تعلم أن كل ذلك عندنا ففتحت باب التوبة للمذنبين وباب الرجوع للخاطئين، فتحت باب التوبة لمن أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات كي يرجعوا إليك، قلت وقولك الحق: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا

﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا﴾ [مريم: 59- 61].

لم تقطع طريق الإنابة والرجوع على من قطع طريق العباد وسفك دماؤهم وأكل أموالهم وحاربوك وحاربوا رسلك وسَعَوْا في الأرض بالفساد.

فقلت وقولك الحق: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المائدة: 33، 34].

وكذلك من زلت قدمه واساء إلى والديه ثم أراد الرجوعَ إليك – يا رب – والإصلاحَ لم ترده، قلت يا ربنا: ﴿إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا﴾ [الإسراء: 25].

سبحانك ربنا ما أحلمك وما أرحمك إذ لم تغلق باب التوبة في وجه رجل قتل مائة نفس، بل وجعلت مآله إلى الجنان.

وحديث قاتل التسعة والتسعين نفسًا(1) فيه: **«.. كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فَدُلَّ على راهب، فأتاه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا فهل له من توبة؟ فقال: لا. فقتله فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فَدُلَّ على رجلٍ عالم فقال إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا..»** الحديث، وفيه: **«فغفر له»**.

حتى أهل الشرك إذا تابوا، والقتلة والزناة؛ كل هؤلاء فتحت لهم أبواب التوبة إذا تابوا، فلك الحمد، قلت وقولك الحق: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ

---

(1) أخرجه البخاري (3470) ومسلم (2766) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعًا.

ٱلْقِيَـٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان:68- 70].

سبحانك ربي لم تغفر لهم فحسب، بل وبدَّلت سيئاتهم حسنات!!! فلك الحمد.

عَلِمْنَا يا ربنا أنك تأخذ بالذنب وتعاقب به، ولكنا عَلِمْنَا أيضًا أن رحمتك سبقت غضبك، فعدُنا بعفوك من عقوبتك وعُذنا بك منك.

أخرج البخاري ومسلم(1) من حديث أبي هريرة ڤ قال: سمعت النبي ﷺ قال: **«إن عبدًا أصاب ذنبًا – وربما قال: أذنب ذنبًا – فقال: ربِّ أذنبت ذنبًا – وربما قال: أصبت – فاغفره، فقال ربُّه: أعلمَ عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به؟(2) غفرت لعبدي، ثم مكث ما شاء الله، ثم أصاب ذنبًا أو أذنب ذنبًا فقال: رب أذنبت – أو: أصبت – آخر فاغفره فقال: أعلم عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي، ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنبًا – وربما قال: أصاب ذنبًا – فقال: رب أصبت – أو: أذنبت – آخر فاغفره لي، فقال: أعلم عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي – ثلاثًا – فيعمل ما شاء»(3)**.

أقسمتَ ربنا بعزتك وجلالك أن تغفر لعبادك إذا استغفروك، فنستغفرك ونتوب إليك، ولك الحمد.

أخرج الإمام أحمد بسند صحيح(4) من حديث أبي سعيد الخدري ڤ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن إبليس قال لربه: بعزتك وجلالك لا أبرح أغوي بني آدم ما دامت الأرواح فيهم، فقال الله: فبعزتي وجلالي لا أبرح أغفر لهم ما**

---

(1) البخاري (7507)، ومسلم (2758).

(2) يأخذ به: أي: يعاقب به.

(3) قال الحافظ في «الفتح» (13/ 472): معناه ما دمت تذنب فتتوب غفرت لك.

قلت: وليس هذا فيمن يجاهر ربه بالمعاصي ويقول: سيغفر لي، بل في حق التائب الوجل الخائف من ربه.

(4) «المسند» (3/ 29).

استغفروني».

فرحت يا ربنا بتوبتنا ورجوعنا إليك فلك الثناء والمجد.

بسطتَ يدك بالليل ليتوب مسيء النهار، وبسطتها بالنهار ليتوب مسيء الليل، فلك الحمد، قال نبيك ﷺ: **«إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»**(1).

فرحت بتوبتنا ورجوعنا إليك فلك الثناء والمجد.

أخرج البخاري ومسلم(2) من حديث أنس بن مالك ڤ قال: قال رسول الله ﷺ: **«الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة».**

وفي لفظ لمسلم: «لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته، فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك. أخطأ من شدة الفرح».

تنزل ربنا من السماء في الثلث الأخير فتسأل عبادك، أنت سبحانك تحثهم، أنت سبحانك لا أحد سواك تقول: هل من مستغفرٍ فأغفر له؟! فسبحانك ربي يا حليم يا رحيم يا عفو يا كريم، أخبرنا نبيك ﷺ قال: **«ينزل ربنا إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل فيقول: هل من مستغفر فأغفر له»**(3).

هذا هو ربكم يا عباد الله، هذا هو إلهكم ومليككم، ربٌّ رحيم حليم عفو كريم.

فإلى الذين أشركوا وظلموا.

---

(1) أخرجه مسلم (2759) من حديث أبي موسى ڤ مرفوعًا.

(2) أخرجه البخاري (6309) ومسلم (2747).

(3) أخرجه البخاري ومسلم وسيأتي.

إلى الذين طَغَوْا وبَغَوْا وظلموا العباد.

إلى الذين أسرفوا على أنفسهم.

إلى الذين ارتكبوا الذنوب، والآثام، وقطعوا الأرحام، ها هي أبواب التوبة مفتوحة أمامكم، ربكم يناديكم، هل من مستغفر فأغفر له؟! ربكم ينـاديكم: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: 53].

ربكم يستحثكم ويحذركم: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: 54].

ألا فتوبوا إلى الله جميعًا لعلكم تفلحون!!

ألا فالحقوا بركب الأبرار ومسيرة الأخيار، ألا فادخلوا في زمرة الصالحين.

إن أبواب التوبة مفتوحة فلا تقنطوا من رحمة الله:

﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: 56].

ألا فلا تيأسوا من روح الله:

﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: 87].

ووقفه أُخرى مع المقنّطين: الذين يُقنّطون الناس من رحمة ربهم.

ألا فلا تفعلوا، لا تقنطوا الناس من رحمة الله، استجيشوا الناس بما تعلمون فيهم من خير.

ألـــم تقـــرؤوا: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: 40].

إن إسرائيل هو النبي الكريم يعقوب ﷺ فيذكرهم الله بأبيهم الصالح إسرائيل ويستجيش عواطفهم بذكره.

ألم تقرؤوا قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟

وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة: 104].

فيستجيش الله عواطفكم بذكر اللإيمان الذي وقر في قلوبكم!

ألا ترون الله قال: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾ [الإسراء: 3].

أي: يا ذرية القوم الصالحين المحمولين مع نوح في الفلك، فإنه ما حُمل مع نوح إلا صالح، كونوا صالحين كآبائهم المحمولين في الفلك.

قولوا لمن أسرف على نفسه وكان في أبيه صلاح: يا ابن الصالحين كن من الصالحين، قولوا لابن المحسنين: يا ابن المحسنين تصدق، قولوا لابن الشجعان: يا ابن الشجعان بارز الأبطال، قولوا لابن العالِم، يا ابن العلماء، أقبل على تعلُّم ما يقربك من الله.

اعلموا يا من تُقنِّطون الناس من رحمة ربهم أن عملكم عليكم وبال، وأنه نارٌ وشنارٌ.

في **«سنن أبي داود»** بإسناد حسن(1) من حديث أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين، فكان أحدهما يذنب والآخر مجتهد في العبادة، فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول: أقصر، فوجده يومًا على ذنب فقال له: أقصر، فقال: خلِّني وربي، أبعثت عليَّ رقيبًا؟! فقال: والله لا يغفر الله لك، أو: لا يدخلك الله الجنة، فقبض أرواحهما فاجتمعا عند ربِّ العالمين فقال لهذا المجتهد أكنت بي عالمًا؟! أو كنت على ما في يدي قادرًا؟ وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار»**.

وفي **«صحيح مسلم»**(2) من حدث جندب أن رسول الله ﷺ حدَّث **«أن رجلًا**

---

(1) أبو داود (4901).

(2) مسلم (2621).

قال: والله لا يغفر الله لفلان، وإن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألّى[1] عليَّ أن لا أغفر لفلان؟! فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك» أو كما قال.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ﴾: ها هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات وهذا جزاؤهم، فجزاء الإحسان الإحسان، وعاقبة الصبر الرضوان وفسيح الجنان، جنات تجري من تحتها الأنهار، ذلك الفوز الكبير، حقًّا إنه هو الفوز الكبير، وهو الفوز بالمطلوب ألا وهي الجنان والرضوان.

ووقفة ثالثة مع الغافلين والمستهزئين، مع اللاعبين بحدود الله:

ارجعوا إلى ربكم فـ: ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾: انتقامه عزَّ وجل شديد ممن عصاه وخالف أمره، فكما أن ربكم غفور رحيم، فإنه شديد العقاب.

﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المائدة: 98].

وكما أنه غافر الذنب، فهو عزيز ذو انتقام.

﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ﴾ [غافر: 3].

﴿۞نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ﴾ [الحجر: 49، 50].

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾ [هود: 102].

اعلموا: ﴿﴾ يبدأ الخلق ثم يعيده، يخلق الخلق في الدنيا ويميتهم ثم يعيدهم أحياءً يوم القيامة، كما قال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ﴾ [الروم: 27].

اعلموا أيضًا أن الله يبدأ العذاب ثم يعيده على أهل الكفر والعصيان، يعذبهم في الدنيا وفي الآخرة، كذلك ويكرر عليهم العذاب في الآخرة أيضًا، قال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ﴾ [النساء: 56].

---

(1) يتألَّى: أي يحلف.

وقال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ **[الحج: 22]**.

ثم يحث الله عز وجل عباده على التوبة والإنابة، فيقول سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ﴾: أي كثير المغفرة لذنوب عباده، (وَدُودٌ) أي: محب للطائعين منهم والتائبين.

كما قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ **[البقرة: 222]**.

ثم وصف سبحانه نفسه بأنه: ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ١٥ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾.

أما ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾ فصاحب العرش، أما ﴿ٱلۡمَجِيدُ﴾ فمن العلماء من فسرها بالكريم، وهل المجيد صفة للعرش أم صفة لله – سبحانه وتعالى؟!! المجيد صفة الله، وصفة لعرشه أيضًا.

قال تعالى: ﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ﴾ **[هود: 73]**.

وقال سبحانه: ﴿وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ﴾ **[النمل: 23]**.

فوصف العرش – عرش امرأة في الدنيا – بأنه عظيم، وقد ذكرت قول من فسر (المجيد) بالكريم.

ثم يُسلي الله نبيه محمدًا ﷺ ويُصَبِّرُه، فيذكر له أقوامًا مكذبين، كذبوا رسلهم كما كذب هؤلاء الكفار من قريش، ويذكر له ماذا حل بهؤلاء المكذبين، وكيف أن العاقبة كانت للمتقين.

فيقول سبحانه: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ١٧ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ﴾: هل بلغك خبر هؤلاء الذين تجندوا وتحزبوا لحزب الله ورسله؛ جند فرعون وثمود؟ قد أتاك خبرهم، وقومك كذلك قد علموا الخبر، فلا يظن ظان أن خبرهم لم يبلغ قريشًا، بل قد بلغك، وقد علمت قريش ما حل بهؤلاء الجنود وتلك الجموع قد علموا ما حل بآل فرعون، وما حل بعادٍ وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة وقوم تُبَّع، أتتتهم أخبار هؤلاء المكذبين.

﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾ **[ص: 14]** فقد كان القرشيون يمرون على

كثير من ديار هؤلاء المعذبين صباحًا ومساءً وفي أسفارهم، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الصافات: 137، 138].

وكما قال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر: 79] أي: بطريق واضح وبيّن ولكن لم ينتفع الكفار بالمواعظ والذكرى.

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾: أي: في تكذيب مستمر وعنادٍ دائم، فهذا شأنهم وذلك دينهم.

﴿وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ﴾: قادر عليهم فإنهم لا يفوتونه ولا يُعجزونه، محيط بأعمالهم ومحصٍ لها لا يخفى عليه منها شيء وهو مجازيهم على جميعها، مهلكهم ربي ومعذبهم ومُنزل بأسه بهم، ولا يظن ظان أن هذا القرآن مِنْ فِعْل الشياطين وأنها تنزلت به، فما تنزلت به الشياطين.

قال تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء: 210- 212].

وكما قال تعالى في وصف كتابه:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: 41- 42].

فما هو بقول شيطان رجيم: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾: محفوظ عند الله ومحفوظ من الزيادة والنقصان.

* * *

سورة الطارق

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني ومفردات السورة الكريمة

1- ﴿وَٱلطَّارِقِ﴾: النجم.

3- ﴿ٱلثَّاقِبُ﴾: المضيء.

4- ﴿لَمَّا عَلَيْهَا﴾: إلا وعليها.

6- ﴿دَافِقٍ﴾: متدفق في الرحم.

7- ﴿ٱلصُّلْبِ﴾: صلب الرجل فقرات ظهره.

7- ﴿وَٱلتَّرَآئِبِ﴾: صدر المرأة.

9- ﴿تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾: تظهر الأمور الخفية.

11- ﴿ٱلرَّجْعِ﴾: السحاب يرجع بالمطر.

12- ﴿ٱلصَّدْعِ﴾: التشقق (بالنبات).

13- ﴿فَصْلٌ﴾: حق.

14- ﴿بِٱلْهَزْلِ﴾: اللعب واللهو والباطل.

15- ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾: يمكرون مكرًا.

17- ﴿أَمْهِلْهُمْ﴾: اصبر عليهم (فسترى ما يحل بهم).

17- ﴿رُوَيْدًا﴾: قليلا.

* * *

تفسير سُورة الطارق

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾: يُقْسم الله سبحانه وتعالى بالسماء والطارق، وهو النجم المضيء الذي يظهر في السماء ليلًا فيثقب الظلام بضوئه، يُقْسم الله بذلك على أنه ما من نفسٍ إلا وعليها حافظ يحفظها ويحصي أعمالها ويسجلها عليها.

كما قال سبحانه: ﴿إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ﴾ وهذا الحافظ – على رأي كثير من أهل العلم – ملك من الملائكة، فهناك – كما أشرنا – ملك يحفظ العبد من الشيء الذي لم يُقدِّره الله عز وجل عليه، فإذا أراد أحدٌ العبدَ بسوء، ولم يكن الله قدر عليه هذا السوء حفظت الملائكة العبد مما لم يقدره الله عليه، كما قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: 11]. أما إذا كان الشيء مقدرًا تنحّت الملائكة حتى ينفذ قضاء الله في العبد، وهناك ملائكة آخرون يحفظون على العبد أقواله وأفعاله ويسجلونه عليه، كما قال سبحانه: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾ [ق: 18].

ثم يوجه الله نظر الإنسان الكافر – بل وعموم الإنسان – إلى النظر في أصل خلقته حتى يعتبر ويوقن أن الله قادر على بعثه وإحيائه يوم القيامة، فيقول سبحانه: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾: أما الماء فهو المني، وقوله: ﴿دَافِقٖ﴾: أي: مدفوق، ومدفوق معناها مصبوب متدفق، أي: متدفق مصبوب في رحم المرأة، أما الصلب: فهو صلب الرجل وهو فقرات الظهر، وأما الترائب: فهي ترائب المرأة وهي صدرها وما بين ثدييها، وهي المواطن التي توضع عليها القلادة من المرأة.

﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ﴾: أي: إن الله سبحانه وتعالى الذي خلق الإنسان من هذا المني المتدفق الآتي من صلب الرجل والخارج من إحليله والمتدفق في رحم المرأة المختلط بمائها الآتي من الترائب، إن الذي فعل هذا وخلق هذا الإنسان قادر

على إعادته حيًّا يوم القيامة كما بدأ خلقه، وقادر أيضًا على إعادة المني إلى ذكر الرجل وإلى موضعه الذي جاء منه، الله قادر على إعادة العبد حيًّا بعد مماته وسيحييه، ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾: أي:يوم أن تظهر الأمور التي كان صاحبها يُسرها في الدنيا ويكتمها عن الخلق فستظهر هذه الأمور واضحة جلية، وستظهر آثارها على الوجوه زينا أو شينًا، سيُعلن السرُّ ويشتهر المكنون، ويستر الله على أهل الإيمان بستره الجميل وحينئذٍ: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾: ليست للعبد في نفسه قوة، فهو نفسه ضعيف، وليس له ناصر ينصره كذلك.

ثم يقسم الله عز وجل قسمًا آخر فيقول سبحانه: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾: يقسم الله بالسماء ﴿ذَاتِ ٱلرَّجْعِ﴾ أي: التي ترجع كل عام على الناس بالأمطار بإذن الله، ويُقْسم سبحانه بـ ﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾ أي: ذات التشقق، فتشقق الأرض فيدخل فيها الماء ويخرج منها النبات وقد يكون هناك وجهٌ من الشبه بين قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾: أي: بين مضمون الآية وهو خروج النبات، فالسماء تأتي بالمطر يدخل في الأرض فتنبيت بإذ الله، وبين خلق الإنسان؛ إذ المني يخرج من الذكر فيدخل في الفرج فيحدث الحمل وتلد المرأة بإذن الله، يقسم الله بالسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع على أن هذا القرآن قول فصل.

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾: أي: حق.

﴿وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ﴾: أي: وما هو باللهو ولا بالعبث ولا بالباطل.

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾: أي: أن هؤلاء الكافرين يمكرون مكرًا ويدبّرون تدبيرًا.

﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾: أي: أنظرهم واصبر عليهم تأنَّ بهم.

﴿رُوَيْدًا﴾: أي: قليلًا، فالله سينتقم منهم كما انتقم ممن كان قبلهم.

* * *

سورة الأعلى

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني مفردات السورة الكريمة

1- ﴿سَبِّحِ﴾: نزّه – عظِّم – مجِّد.

2- ﴿فَسَوَّىٰ﴾: سوى الخلق وعدله.

4- ﴿ٱلْمَرْعَىٰ﴾: النبات والعشب.

5- ﴿غُثَآءً﴾: يابسًا جافًا.

5- ﴿أَحْوَىٰ﴾: أسود بعد الاخضرار.

8- ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾: نسهلك لعمل الخير.

10- ﴿سَيَذَّكَّرُ﴾: سيتعظ ويعتبر.

14- ﴿أَفْلَحَ﴾: فاز ونجح.

14- ﴿تَزَكَّىٰ﴾: تطهر من الكفر والمعاصي.

16- ﴿تُؤْثِرُونَ﴾: تقدمون – تفضلون.

* * *

تفسير سورة الأعلى

كان النبي ﷺ يكثر من قراءة هذه السورة في صلاته، فقد كان يقرا بها في الجُمَع والعيدين:

ففي **«صحيح مسلم»**(1) من حديث النعمان بن بشير ڤ قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيدين وفي الجمعة بـ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، و﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾: قال: وإذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد يقرأ بهما أيضًا في الصلاتين.

وفي **«الصحيحين»**(2) أن النبي ﷺ قال لمعاذ بن جبل ڤ لما صلى معاذ

---

(1) مسلم (878).

(2) أخرجه البخاري (705)، ومسلم (465) من حديث جابر ڤ مرفوعًا.

بالناس صلاة العشاء وأطال فيها – واللفظ لمسلم -: **«أتريد أن تكون فتانًا يا معاذ، إذا أممت الناس فاقرا بالشمس وضحاها، وسبح اسم ربك الأعلى، والليل إذا يغشى»**.

وقد كان النبي ﷺ يقرأ بها في الوتر أيضًا.

ففي مسند الإمام أحمد من حديث عبد الرحمن بن أبزي عن أبيه عن النبي ﷺ، انه كان يقرأ في الوتر بسبح اسم ربك الأعلى، وقل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد.... وسنده صحيح(1).

قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾: لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: **«اجعلوها في سجودكم»**.

وكان عبد الله بن عمر ﷺ إذا قرأ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ قال: سبحان ربي الأعلى، كما عند الطبري بإسناد صحيح.

وقوله تعالى: ﴿سَبِّحِ﴾: معناه مجِّد وعظِّم ونزِّه.

وقوله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾: هل المراد: نزِّه اسم ربك الأعلى؟ أم المراد: نَزِّه ربَّك الأعلى؟ الظاهر أن كلاهما مراد، فأمرنا الله سبحانه أن ننزه اسمه فالآية الكريمة فيها : **﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾:** أي إنَّ الذي يُسبَّح هو (اسم ربنا) في هذه الآية الكريمة، والمعنى: نزِّه اسم ربك يا محمد عن أن تسمى به شيئًا من الأشياء سواه، ولا تفعل كما يفعل أهل الشرك إذ يشتقون لأسمائهم أسماءً من أسماء الله سبحانه وتعالى، فيقولون: اللات، ويقولون: العزى، وكما يقول كذاب اليمامة مسيلِمةُ عن نفسه إنه رحمن اليمامة، ويلحق بذلك تنزيه اسم الله عن اللهو والباطل كمن يعبث بأسماء الله ويلهو بها، أو كمن ينقش أسماء الله على نعال أو على ثيبا ممتهنة، أو يلقي الأوراق التي فيها ذكر الله على الأرض تُوطأ بالأقدام ونحو ذلك.

---

(1) أحمد (3/ 406).

وتسبيح الاسم كما في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: 96].

ونمن العلماء من قال: إن (اسم) صلة: كبيت الشعر المنسوب للبيد:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبْك حولًا كاملًا فقد اعتذر (1)

*** والمعنى عند بعض العلماء:** إلى الحول ثم السلام عليكما.

المعنى على هذا التأويل: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾: أي عظِّم ربك الأعلى الذي لا رب أعلى منه ولا أعظم، وقد ورد الأمر بتسبيح الله في قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الإنسان: 26]، وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ﴾ [البقرة: 116].

وكما قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: 30، 31]. وتنزيهه عن الشريك، كما قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: 22].

وكما قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: 67].

ومن العلماء من قال: إن معنى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ هو قل: سبحان ربي الأعلى، وعزاه ابن الجوزي في: «زاد المسير» إلى الجمهور، ويُستدل لهذا القول بأن النبي ﷺ لما نزلت هذه الآية قال: **«اجعلوها في سجودكم»**، وبأن عددًا من الصحابة كانوا يقولون إذا قرؤوا ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾: سبحان ربي الأعلى.

ومن العلماء من قال: سبح اسم ربك الأعلى أي: صلِّ وأنت له ذاكرٌ.

ومنهم من قال: كذلك له واخشع له عند ذكره.

---

(1) انظر كلامنا على هذا البيت في سورة الفاتحة.

ومنهم من قال: سبح اسم ربك الأعلى أي: اذكره بالتسبيح كما تذكره بالحمد والتكبير والتهليل ونحو ذلك، وكل ذلك محتمل والعلم عند الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾: أي: الذي خلق الخلق فسوّاهم وعدلهم، فقد خلق الله كل مخلوق على أحسن ما يتناسب مع ما خُلق له.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ أي: قدر المقادير ثم هدى الخلائق إليها.

فقدَّر سبحانه وتعالى الشقاوة على أقوام والسعادة لأقوام ثم هدى أهل السعادة إلى عمل السعداء، وأهل الشقاوة إلى عمل الأشقياء، فهدى المؤمنين للإيمان والرشاد، وهدى الكافرين إلى الكفر والضلال.

وقدَّر سبحانه وتعالى أرزاقًا للعباد ثم هدى العباد إلى التماس أسباب هذه الأرزاق ويسَّر لهم سبيل الحصول عليها.

وقدَّر على أقوام أن يموتوا – مثلًا – في مكان من الأمكنة ثم جعل لهم حاجة في تلك الأمكنة حتى يذهبوا إليها ويموتوا.

وقدَّر العباد ذكرانًا وإناثًا ثم هدى الذكور إلى إتيان الإناث وعلَّمهم ذلك.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾: أما المرعى: فهو النبات الذي تأكله الأنعام.

وقوله: ﴿غُثَآءً﴾: فالغثاء هو النبات اليابس الجاف الذي تتطاير به الريح.

وقوله: ﴿أَحْوَىٰ﴾: أي أسود بعد البياض وبعد الاخضرار، وذلك من شدة اليبس الذي اعتراه.

أما قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي: سنقرئك يا محمد هذا القرآن ونعلِّمك إياه ونجمعه لك في قلبك فتحفظه ولا تنساه إلا إذا شاء الله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ **[القيامة: 17-19].**

وفي هذا معجزة من المعجزات التي أيَّد الله بها نبيه ﷺ، فقد كان عليه

الصلاة والسلام أميًّا لا يقرأ ولا يكتب، ومع ذلك فقد حفظ القرآن كله كاملًا – صلوات الله وسلامه عليه – بدون معلم من البشر.

ويجدر بنا هنا أن نذكر بعض الوسائل المعينة على حفظ القرآن وتثبيته وعدم نسيانه بإذن الله، ومن هذه الأسباب ما يلي:

* تعاهد القرآن ومداومة قراءته ومراجعته، قال النبي ﷺ: **«إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعلقة إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت»**(1).

وقال عليه الصلاة والسلام:

«تعاهدوا القرآن، فو الذي نفسي بيده لهو أشد تفصيًا من الإبل في عقلها»(2).

* **ومن ذلك:** التخفف من الذنوب والمعاصي، فإن الذنوب والمعاصي تزيل النعم، وحفظ كتاب الله من أعظم النعم، وضياعه وذهابه مصيبة من المصائب الكبرى وقد قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورى: 30].

* **ومن ذلك أيضًا:** التخفيف من الهموم والأحزان والتعوذ منها، فإن الهموم والأحزان تذهب بالذاكرة، ورب العزة سبحانه وتعالى يقول: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ﴾ [الأحزاب: 4].

* ومن ذلك شكر الله عز وجلّ على هذه النعمة، فإن الشكر يزيد النعم، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ﴾ [إبراهيم: 7].

* **ومن ذلك:** طلب الثبات من الله، فهو سبحانه قادر على إذهابه بعد حفظه،

---

(1) أخرجه البخاري (مع الفتح 9/ 79)، ومسلم (مع النووي 6/ 75) من حديث ابن عمر ڤ مرفوعًا، وفي رواية لمسلم: «وإذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره وإذا لم يقم به نسيه».

(2) أخرجه البخاري (9/ 79)، ومسلم (6/ 78) من حديث أبي موسى ڤ مرفوعًا.

قال تعالى: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾ [الإسراء: 86].

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾: يُفيد أن السرَّ والعلن عند الله سواء فسواء، أسر الشخص أموره أو أظهرها، فالله يعلمها: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الملك: 13].

وكما قال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ [الأنبياء: 110].

وكما قال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [القصص: 69].

أما قوله تعالى: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ فتأويله: ونسهّلك لعمل الخير المؤدي إلى الجنة، ومن ذلك حفظ القرآن، أي سنسهّل عليك حفظ القرآن وسنوفقك للطريقة السهلة الميسرة لتحصيله.

ومن المعاني أيضًا سنوفقك لشريعة السمحة السهلة، فنشرع لك شرعًا سمحًا مستقيمًا عدلًا لا اعوجاج فيه ولا حرج.

أما قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾: فمدار تأويله على معنى ﴿إِن﴾ في قوله: ﴿ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ ولأهل العلم في ذلك وفي تفسير الآية أقوالٌ:

أحدها: أن ﴿إِن﴾ بمعنى (حيث) وهذا اختيار ابن كثير رحمه الله فإنه قال: وقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾: أي ذكِّر حيث تنفع التذكرة، ومن ههنا يؤخذ الأدب في نشر العلم، فلا يضعه عند غير أهله، كما قال ابن مسعود ﷺ: «ما أنت بمحدثٍ قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»(1).

وقال علي ﷺ: «حدِّثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يُكَذَّب الله ورسوله»(2).

قلت: فعلى هذا القول ينبغي أن ينظر المُذكر إلى الحالة التي أمامه، هل

---

(1) أخرجه مسلم في المقدمة (ص 11)، وفي إسناده انقطاع.

(2) أخرجه البخاري (127) من طريق معروف بن خربوذ عن أبي الطفيل عن عليّ بذلك.

يُرجى من وراء تذكيرها انتفاع أو لا يرجى؟ وهل التذكير سيأتي بمفسده أعظم أم أن وجه الانتفاع أرجى وأظهر ومن ثَمَّ يقرر هل يُقدم على التذكير أو لا يُقدم.

ويشهد لهذا القول العمومات الواردة في اختيار أخف الضررين والمفاسد والمصالح ونحو ذلك.

الثاني: هو أن ﴿إن﴾ بمعنى قد، فالمعنى فذكِّر فقد تنفع الذكرى.

الثالث: أن في الآية محذوف دل عليه السياق، فالمعنى (فذكر إن نفعت الذكرى وإن لم تنفع)، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: 81] أي: وتقيكم البرد كذلك، ولكن حذف البرد لدلالة السياق عليه، فذكر سبحانه أشرف الحالين وهو الانتفاع بالتذكرة ونبَّه على الأخرى.

ونقل القرطبي عن الجرجاني قوله: التذكير واجب وإن لم ينفع.

ونقل الشوكاني في «فتح القدير» عن الواحدي قوله: «إن نفعت وإن لم تنفع؛ لأن النبي ﷺ بُعث مبلغًا للإعذار والإنذار، فعليه التذكير في كل حال، نفع أو لم ينفع».

واختار الشوكاني هذا القول الذي ذهب إليه الواحدي والجرجاني وقال: وقد سبقهما إلى القول به الفراء والنحاس.

قلت: ويتأيد هذا بقوله تعالى: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: 43، 44].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: 164].

وقول قوم نوح لنوح عليه السلام: ﴿قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾ [هود: 32].

وقول نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [نوح: 5- 9].

وقال بعض أهل العلم ما حاصله: إن تخلف قوله إن نفعت الذكرى لا تأثير له في التذكير، فالمعنى (فذكر).

أما قوله: ﴿إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾: فهو كقوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ [النور: 33].

ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [النساء: 101] فإن القصر جائز (1) وإن لم يوجد الخوف.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ [البقرة: 283].

والرهن جائز مع الكتابة.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ [البقرة: 230]

والمراجعة جائزة بدون هذا الظن.

وقوله تعالى: ﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: 172].

ومن العلماء من فَصَّلَ في مسألة النُّصح فقال: إن المدعوين من الناس على أقسام:

القسم الأول: قسم يترجح لدى الناصح أنهم ينتفعون بالذكرى وهم أهل الإيمان، فهؤلاء يُذكرون، كما قال الله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: 55].

وما قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: 45].

القسم الثاني: قسم مقطوع بعدم نفعه كمن يُبيّن له مرارًا وتكرارًا فما وُجد منه إلا السخرية والاستهزاء من الدين ومحاربة أهله محاربة الواعظين، فهذا لا

---

(1) وقد أوجبه بعض العلماء.

نفع في تذكيره(1).

القسم الثالث: قسم يظن أنه قد يتعظ وقد لا يتعظ، فهذا أيضًا يذكر، والله تعالى أعلم.

وقوله تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾: أي سيتعظ ويعتبر مَنْ في قلبه خشية لله سبحانه وتعالى.

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾: أما الأشقى فهو الكافر الشقي المجرم، فهذا الذي سيدخل نار جهنم، تلك النار الكبرى، هذا الكافر الذي سيحرم فضل الذكرى ولن ينتفع بها ولن تؤثر فيه المواعظ، ولن تُجدي معه الآيات، هذا هو الذي سيتجنب الذكرى ويبتعد عنها وينفر منها.

أما قوله: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ فالمراد منه بيان حال الكافر في النار، وكما قال تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: 17].

وكما قال سبحانه: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ﴾ [فاطر: 36].

وقال النبي ﷺ: «وأما أهل النار الذين هم أهلها لا يموتون ولا يحيون».

وكما قال بعض العلماء: إن نفس الكفار تقف في حلقة (في النار) فلا تخرج فتفارقه فيموت، ولا ترجع إلى موضعها من الجسم فيحيا.

ثم يبين الله سبحانه وتعالى أنه قد أفلح، ونجح وفاز وأدرك مطلبه ونجا من المخاطر من تزكى.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾: أي من تطهر من الكفر والشرك والمعاصي، ووحَّد الله وعمل بشرائعه، وتكثَّر من التقوى وطهَّر نفسه من الأخراق الرذيلة وأدى زكاة أمواله.

---

(1) وقد قال موسى ﷺ: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾.

﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾: أي ذكر ربَّه فخافه فعبده ووحَّدَه ودعاه وصلى له الفرض والنفل وذكره في صلاته.

وقوله: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝١٦ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾: معناه أنكم لا تُقبلو على التزكي وذِكر اسم ربكم والصلاة، ولكنكم تفضّلون وتقدمون الحياة الدنيا وتؤثرون لذَّاتها الفانية، مع أن الآخرة خير لكم وأبقى، فالدنيا فانية زائلة أما الآخرة فهي الباقية كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: 64].

وكما قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ [القيامة: 20، 21].

أما المخاطب بالآية الكريمة، فلأهل العلم فيه قولان:

أحدهما: أن المراد بالآية الكفرة، والمراد بإيثار الحياة الدنيا الرضا بها والاطمئنان إليها والإعراض عن الآخرة وترك العمل لها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ۝٧ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: 7، 8].

الثاني: أن المراد جميع الناس مؤمنهم وكافرهم، والمراد بإيثارهم الحياة الدنيا أعم مما ذكر، فيدخل فيه التوجه إلى الدنيا وتحصيل منافعها والاهتمام بها اهتمامًا زائدًا أكثر من الاهتمام بالطاعات، كالظاهر من حال كثير من الناس، ترى الرجل يهتم بعمله الدنيوي، ويحرص على الاستيقاظ مبكرًا له أكثر من حرصه على الصلاة المكتوبة، وآخر يحرص على جميع المال أكثر من حرصه على جمع الحسنات.... وهكذا، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾: أي أن هذا المذكور في هذه السورة من إيثار الحياة الدنيا وترك الإقبال على الآخرة، وعموم ما ذُكر في هذه السورة، كل ذلك مذكور في الصحف الأولى التي نزلت على إبراهيم ونزلت على موسى عليهما السلام.

* * *

سورة الغاشية

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني مفردات السورة الكريمة

1- ﴿ٱلْغَٰشِيَةِ﴾: القيامة.

2- ﴿خَٰشِعَةٌ﴾: ذليلة.

3- ﴿عَامِلَةٌ﴾:يعني أنها تعمل.

3- ﴿نَّاصِبَةٌ﴾: متعبة ومرهقة.

4- ﴿تَصْلَىٰ﴾: تدخل – تذوق.

5- ﴿ءَانِيَةٍ﴾: بلغ حرُّها أعلاه.

6- ﴿ضَرِيعٍ﴾: نبات ذو شوك وسموم.

8- ﴿نَّاعِمَةٌ﴾: حسنة نضرة متنعمة.

9- ﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾: راضية عن عملها.

11- ﴿لَٰغِيَةً﴾: كلمة لغو – نفسًا لاغية.

15- ﴿وَنَمَارِقُ﴾: وسائد ومرافق.

15- ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾: متجاورة.

16- ﴿وَزَرَابِيُّ﴾: السجاجيد والبُسط.

16- ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾: منتشرة – متفرقة.

20- ﴿سُطِحَتْ﴾: بسطت.

25- ﴿إِيَابَهُمْ﴾: رجوعهم.

* * *

تفسير سورة الغاشية

هذه السورة أيضًا كان النبي ﷺ يقرأ بها في الجُمع والأعياد، كما تقدم في سورة الأعلى.

يقول الله سبحانه: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾ هل وصل إلى علمك، ونما إليه الحديث عن يوم القيامة وعن النار؟!! والغرض من الاستفهام التنبيه على عظم يوم القيامة وعِظم ما فيه، والنار وشدتها.

عن لم يكن الحديث عن الغاشية قد وصلك، فها هو الحديث عنها وها هي أخبارها، ومن العلماء من يقول: إن ﴿هَلْ﴾ هنا بمعنى (قد) فالمعنى قد أتاك حديث الغاشية وها هو، وها هي مشاهده.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴾: وجوه الكفار والعصاة والمجرمين في هذا اليوم ذليلة مُهانة، فالغاشية قد غشيتهم بالأهوال وأنواع الكروب والبلاء، وأيضًا نار تغشى وجوه الكفار باللفح في الوجوه والشواظ. كما قال تعالى: ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [إبراهيم: 50].

وكما قال: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ﴾ [الأعراف: 41].

آثار المعاصي والذنوب والشرك والجرائم قد غشيت الوجوه وغطتها وكذلك غشيت تلك الوجوه النار، هذه الوجوه التي لم تخشع لله في الدنيا تُذَلُّ وتنكسر يوم القيامة.

وقوله تعالى: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ مفاده أن أصحاب هذه الوجوه الذليلة الحقيرة الخاشعة يعملون ويتعبون يوم القيامة، ويظهر على وجوههم أثر التعب والنصب والإرهاق، فإن قيل: فما هو العمل الذي يعمله أهل النار وقد دخلوا النار؟.

فالإجابة: إن العذاب الذي هم فيه أشد وأشق من أي عمل، ثم إنهم أيضًا يعملون فدعاؤهم على أنفسهم بالهلاك عمل، ولعنهم لبعضهم البعض عمل،

والصعود الذي يصعدونه في النار عملٌ وإرهاق، كما قال تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ [المدثر: 17].

﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾: هذه الوجوه تدخل وتذوق وتَرِدُ نارًا حامية قد أحميت وأُججت، هذا هو مأواهم، مأواهم النار الحامية.

﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾: أما شرابهم، شراب أصحاب هذه الوجوه الذليلة الحقيرة، فمن عين ساخنة، سُخِّنت لأعلى درجات الحرارة، أما طعامهم فهو من ضريع، ليس لهم إلا هذا الضريع.

﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾: أما الضريع فهو نبات ذو شوك يُقال له: الشّبرق، وهو سم من السموم، وهو طعام من شر أنواع الطعام وأخبث أنواع الطعام، فإذا يبس يقال له: الضريع، وتتنوع أطعمة الكفار في النار، فمنهم من يأكل الضريع ليس له طعام إلا هو، ومنهم من يأكل الغسلين ليس له طعام إلا هو، كما قال تعالى: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة: 36].

يقال أيضًا: إنهم يمكثون مدة ليس لهم طعام إلا من الضري، ومدة أخرى ليس لهم طعام إلا من الغسلين، وهل ترى أن هذا الطعام يسمن أو يُغني من جوع؟!!.

كلا إنه ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ أما أهل الإيمان فهذا حالهم وهذه وجوههم: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾: إنها وجوه ذات حُسنٍ وبهجة ونضارة، إنها وجوه ناعمة، إنها وجوه قد ظهر عليها أثر النعيم: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [المطففين: 24].

إن أصحاب هذه الوجوه قد رضوا عن سعيهم الذي سعوه في الدنيا، وحمدوا هذا السعي، إنهم راضون عن أعمالهم الصالحة وأقوالهم الطيبة، إنهم راضون عن الإيمان الذي كانوا فيه في الدنيا، وراضون بالإسلام الذي اعتقدوه وتدينوا به لله رب العالمين، راضون بهذا لما رأوا العواقب الحميدة بسببه،

وفازوا بالمراتب العالية من أجله فقد ڤ وأرضاهم وأجزل لهم المثوبة والعطاء على عملهم الصالح.

أما مستقر هؤلاء فهم ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾: إنه الجنان العالية، عالية المكان والقدر والمنزلة، تلكم الجنان:

﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾ لا تسمع في هذه الجنان كلمة لغوٍ ولا باطل، لا تسمع فيها سبابٌ ولا شتائم! لا تسمع فيها إثم ولا زور.

قال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝٢٥ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ **[الواقعة: 25، 26]**.

وقال سبحانه: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ **[مريم: 62]**.

فيهذه الجنان العالية عيون جارية.

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾: إنها عيون ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ **[الإنسان: 18]**.

وعينًا تسمى التسنيم. كما قال تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ۝٢٧ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ **[المطففين: 27، 28]**، وأيضًا: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ **[الرحمن: 50]** وكذلك: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ **[الرحمن: 66]**.

هذه الجنان ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ إنها سررٌ مرتفعة ليرى المؤمن إذا جلس عليها جميع ما خوَّله ربُّه من النعيم والملك والكرامة، إنها مرتفعة ليرى المؤمن فيها – أحيانًا أهل النار وهم يعذبون فيزداد حمدًا وشكرًا له كما قال تعالى: ﴿فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ۝٥٥ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ۝٥٦ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ۝٥٧﴾ **[الصافات: 55- 57]**.

وفي هذه الجنان ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ إنها أكواب جاهزة معدة حاضرة، قد وضعت على حافة العين الجارية كلما أرادوا الشرب وجدوها ملأى من الشراب.

وفيها أيضًا: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾: والنمارق هي الوسائد والمرافق التي يُرتفق عليها، أي يُتكأ عليهان وهذه الوسائد مصفوفة أي متجاورة بعضها إلى جانب بعض.

﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾: أما الزرابي فهي الطنافس، وهي البُسط (جمع بساط)، والسجاجيد والفُرش التي لها خملٌ رقيقن ويطلق عليها أيضًا عبقري حسان، وهذه الزرابي مبثوثة أي منتشرة متفرقة وموزعة هنا وهناك ومبسوطة.

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾: أفلا ينظر هؤلاء المنكرون للبعث والحساب إلى آيات الله عز وجل في هذه الأشياء المحيطة بهم، أفلا ينظرون إلى عِظم خلق هذه الإبل وكبير جثتها ومزيد قوتها وبديع أوصافها؟!!

وإلى السماء في ارتفاع وعلوها وتلاصقها وتماسكها، ما لها من فروج وما فيها من شقوق، أفلا ينظرون إلى الجبال الرواسي الثابتة الراسخة في الأرض كيف نصبها الله وأقامها، تلكم الأوتاد التي ثبَّتَ الله بها الأرض كيف نصبها الله وأقامها، تلكم الأوتاد التي ثبَّتَ الله بها الأرض حتى لا تميد بنا، كما قال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ [الأنبياء: 31].

أفلا ينظر هؤلاء إلى الأرض كيف سطحت أي جُعلت مسطحة ممهدة، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا﴾ [النبأ: 6].

أفلا ينظرون إلى الفجاج والطرق التي جعلها الله في الأرض حتى يسلكها العباد ويصلون إلى مصالحهم ويحصلون على منافعهم.

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ فذكِّر هؤلاء يا محمد، ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ إن مهمتك هي التذكير، وليس لك تسلط على القلوب، فأمر القلوب موكول إلى الله سبحانه، أما أنت ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ أي ليس لك سيطرة على القلوب، ولن تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين.

﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ [ق: 45].

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: 100].

وقوله: ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾: معناه: لكن من تولى وانصرف عنك وكفر بالله فيعذبه الله العذاب الأكبر، ألا وهو عذاب جهنم.

﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾: أي رجوعهم إلينا يوم القيامة.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾: أي ثم إننا سنحاسبهم يوم القيامة، فحسابهم علينا، ليس على غيرنا.

* * *

سورة الفجر

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني مفردات السورة الكريمة

4- ﴿يَسْرِ﴾: يذهب ويمضي.

5- ﴿لِّذِى حِجْرٍ﴾:لصاحب عقل.

6- ﴿أَلَمْ تَرَ﴾:ألم تعلم.

7- ﴿إِرَمَ﴾:بلدة – قبيلة.

7- ﴿ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾:ذات الطول.

9- ﴿جَابُوا۟﴾:خرقوا – قطَّعوا.

10- ﴿ٱلْأَوْتَادِ﴾:جمع وتد (يعذب عليه الناس).

15- ﴿ٱبْتَلَىٰهُ﴾:اختبره.

16- ﴿فَقَدَرَ﴾:ضيَّق.

18- ﴿تَحَٰٓضُّونَ﴾: يحث بعضكم بعضًا.

19- ﴿ٱلتُّرَاثَ﴾:الميراث.

19- ﴿لَّمًّا﴾: شديدًا.

20- ﴿جَمًّا﴾: كثيرًا.

21- ﴿دَكًّا دَكًّا﴾: رجًّا رجًّا.

22- ﴿وَٱلْمَلَكُ﴾: الملائكة.

27- ﴿ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾: المصدقة والراضية والمطمئنة بذكر الله.

* * *

تفسير سورة الفجر

قال الله سبحانه: ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٍ ۝٢ وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤ هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ﴾: يقسم الله سبحانه وتعالى لعباده بهذه الأشياء المذكورة ألا وهي: الفجر، والليالي العشر، والشفع، والوتر، والليل عند ذهابه ومُضيّه، ثم يقول سبحانه لعباده: هل في هذا الذي أقسمت به قَسَمٌ كافٍ، ومُقنع، ويُقنع العقلاء الذين يعقلون عن الله سبحانه وتعالى ويفهمون أمره وما يريده منهم؟!!

يقسم سبحانه بهذه الأشياء على أنه سبحانه وتعالى بالمرصاد، يرصد الكافرين والظالمين ويُحصي أعمالهم ويكتبها عليهم، وعلى أنه سيبعث الناس يوم القيامة ويُجازي أهل الإحسان على إحسانهم، وينتقم من أهل الشرك والإجرام لشركهم وإجرامهم.

أما الفجر الذي يُقسم الله به فالمراد به وقت الفجر، والمراد به أيضًا صلاة الفجر، ومن العلماء من قال: إنه فجر ليلة العاشر من ذي الحجة، ذلكم الفجر الذي يصليه الحجيج بمزدلفة بعد رجوعهم من عرفات ومبيتهم في مزدلفة.

أما المراد بالليالي العشر فهي: ليالي العشر الأول من شهر ذي الحجة، وقد ورد في فضل الأيام العشر من ذي الحجة حديثٌ أخرجه البخاري من حديث ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: **«ما العمل في أيام العشر أفضل من العمل في هذه»** قالوا ولا الجهاد؟ قال: **«ولا الجهاد، إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء»**[1].

ولفظ أبي داود[2] بإسناد صحيح من حديث ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام»**. يعني أيام العشر، قالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟! قال: **«ولا الجهاد في**

---

(1) أخرجه البخاري (969).

(2) أخرجه أبو داود (2438).

سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء».

أما الشفع والوتر فهما: كل شفع وكل وتر، فالله سبحانه وتر، كما قال رسول الله ﷺ: **«إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا من أحصالها دخل الجنة إنه وتر يحب الوتر»**(1).

والخلق كلهم شفع كما قال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: 49]، والشفع أيضًا: العدد الزوجي، والوتر: العدد الفردي، والشفع أيضًا: يوم النحر؛ لأنه يوم العاشر، والوتر: يوم عرفة؛ لأنه يوم التاسع، والصلوات منها شفعٌ ومنها وتر.

أما قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾: فقد قدَّمنا معناه.

وقوله: ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾.

أما قوله: ﴿لِّذِي حِجْرٍ﴾ أي لصاحب عقل.

وقوله: ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ﴾ أي هل في ذلك قسمٌ كافٍ ومقنع لرجل عاقل.

ثم ذكر الله سبحانه وتعالى أمثلةً لأهل البغي والظلم والطغيان وذكر سبحانه ما حلَّ بهم ونزل لما كفروا بنعم الله عليهم، فذكر عادًا وثمود وفرعون ذا الأوتاد، فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَادِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِي ٱلْبِلَادِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾.

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾: ألم تعلم يا محمد، ألم يبلغك يا محمد كيف فعل ربك بقبيلة عاد إرم؟ وإرم اسم لقبيلة على قول بعض العلماء، تلك القبيلة الظالمة العاتية التي أمدها الله بالصحة والعافية، ورزقها طولًا في الأجسام، وقوةً في الأبدان، كما وصفهم نبيهم في قوله: ﴿وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾ [الأعراف: 69].

---

(1) اللفظ لمسلم (2063).

ولكن يا ترى كيف قابلوا هذه النعم؟ هل شكروها أم جحدوا بها؟ بل جحدوها واستطالوا على الخلق والخالق، وقالوا من أشد منا قوة.

وقوله تعالى: ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ تلك القبيلة ذات العماد كانوا يحملون معهم العُمدُ الطويلة (جمع عمود) ينصبون عليها خيامهم أثناء ترحالهم، ألم تر كيف فعل الله بهم؟ قال تعالى: ﴿فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: 5- 7].

وهؤلاء ثمود أيضًا: ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ الذي قطَّعوا الصخور وخرقوها ونحتوها واتخذوها بيوتًا كما قال تعالى: ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾ [الحجر: 82] ألم تعلم ما حلَّ بهم؟!!.

﴿وَفِرْعَوْنَ ذُو الْأَوْتَادِ﴾: هذا الظالم الطاغي الباغي، ألم تر كيف فعل ربك به، وماذا حل عليه من العذاب؟!! هذا الطاغي كانت له أوتاد يصلب عليها الرجال، وكانت له أوتاد يبني عليها الخيام ويلعب تحتها، وكانت له أوتاد (أعمدة وأساسات) يبني عليها البنيان، ومن أهل العلم المعاصرين من أشار إلى أنه لا يمتنع أن تحمل الأوتاد على الأهرامات فهي شبيهة بالجبال، وقد قال الله في شأن الجبال: ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: 7].

هؤلاء الظلمة جميعًا (عاد وثمود وفرعون) هم ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾: أنزل الله بهم نقمته وأحل عليهم عذابه كما قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ۝٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: 4- 6].

وكما قال سبحانه في شأن فرعون: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ [النازعات: 25].

ثم بيَّن الله عز وجل حال الإنسان عند اختباره وإياه، فالله سبحانه يبتلي الإنسان بالخير والشر، والغني والفقر، كما قال سبحانه: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: 35].

يبتلي الله الإنسان فإذا ابتلاه بالنعم واختبره بها وتفضَّل عليه بالمال، ووسَّع عليه، فيظن الإنسان أن الله سبحانه أكرمه بهذه الكرامة، وأنه جدير بها، وأن الله عز وجل يحبه لما أكرمه بهذه الكرامة.

كما قال سبحانه: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾ أي إذا ضيَّق عليه ربُّه في الأرزاق يظن أن هذا التضييق إهانة من الله سبحانه وتعالى له، وينسى هذا الإنسان أن الله عزَّ وجل يُنزِّل بقدر ما يشاء، كما قال سبحانه: ﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾ **[الشورى: 27]**. هذا هو ظن الإنسان وهذا تفكيره.

فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿كَلَّآ﴾ أي: ليس الأمر كما يظن هذا الإنسان من أن الغنى إكرام، والفقر إهانة، وإنما أُكرِم من أكرمت بطاعتي، وأهين من أهنت بمعصيتي، فالكرامة كل الكرامة في طاعة الله، والإهانة في معصية الله سبحانه وتعالى، فلا يظن ظان أن المال خير للعبد في كل الأحوال ولا يظن أن الفقر شرٌّ في كل الأحوال.

قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ **[المؤمنون: 55، 56]**.

وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ **[الزمر: 49]**.

فلا يظن الإنسان أبدًا أن الكرامة والإهانة بالمال، إنني إذا أهنت شخصًا فإنما أهينه لكونه يعصيني، لكونه لا يكرم اليتيم ولا يحضُّ الناس ولا يحثهم على طعام المسكين، كما قال تعالى: ﴿بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾: أي: وتأكلون ميراث الضعفاء من النساء والصبيان والضعفة ﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾ أي: شديدًا، وتحبون المال ﴿حُبًّا جَمًّا﴾ أي: كثيرًا.

﴿كَلَّآ﴾: فليس هذا هو التصرف الصحيح الذي تصرفونه، ليس تصرفًا صحيحًا ما صنعتموه؛ من أكل مال اليتيم، ولا من ترك الحض على إطعام المساكين، ليس تصرفًا صحيحًا حبُّ المال بهذه الدرجة الكبيرة، ليس تصرفًا صحيحًا أن تأكلوا ميراث غيركم.

﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾: فإذا رجت الأرض رجًّا، وزلزلت زلزلةً، وجُعل عاليها سافلها، والدك الكسر والدق.

وجاء ربك والملائكة صفوفًا صفوفًا، كما قال سبحانه في الآية الأخرى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [البقرة: 210].

﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ۚ﴾: **«يؤتي بها ولها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»** كما ورد ذلك في صحيح مسلم(1) عن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ، وقد رُوي هذا الحديث موقوفًا على ابن مسعود من قوله ولكنه لا يُقال من قبيل الرأي.

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ أي: يوم القيامة يتذكر الإنسان ويتعظ ويعتبر، ولكن من أي وجه يحدث له الانتفاع بهذه التذكرة وبهذا الاتعاظ والاعتبار؟ فلا وجه حينئذ للانتفاع بالمواعظ، فقد قُضي الأمر ولا ينفع الظالمين يومئذ معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار.

﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾: يا ليتني قدمت لحياتي الأبدية – التي هي الآخرة التي لا موت بعدها – من الأعمال الصالحة ما ينفعني وينجيني من غضب الله ويورثني رضوانه.

وقوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾: فمعناه فيومئذ لا يعذب

---

(1) مسلم (2842).

كعذاب الله أحدٌ، ولا يوثق كوثاقه أحد، فعذاب الله يوم القيامة لمن أراد له العذاب ليس كعذاب بعضكم لبعضٍ في الدنيا، ووثاق الله – عز وجل – يوم القيامة ليس كوثاق بعضكم لبعض في الدنيا

ومن العلماء من قال: لا يُعذَّب كعذاب هذا الكافر المعين أحد، ولا يوثق بالسلاسل والأغلال كوثاقه أحد؛ لتناهيه في الكفر والفساد، وقيل المعنى: لا يعذب مكانه أحد، ولا يوثق مكانه أحد، فلا تؤخذ منه فدية، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ **[الإسراء: 15]**.

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ إلى وعد الله الذي وعد به أهل الإيمان في الدنيا من أنه سيكرمهم في الآخرة، يا أيتها النفس المصدقة بأن الله ربها، يا أيتها النفس المطمئنة بذكر الله الراضية بقضائه وقدره. أمَّا متى هذا القول؟

قال بعض العلماء: إنه عند الموت والخروج من الدنيا.

وقال آخرون: هذا عند البعث.

وقال غيرهم: إنه عند دخول الجنة.

﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾**:** ارجعي أيتها النفس إلى الله عز وجل وقال آخرون: ارجعي إلى جسد العبد.

﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ ادخلي أيتها النفس المطمئنة في زمرة عبادي الصالحين وجملتهم، وفيما أعددته لهم، وانضمي إليهم وانتظمي في سلكهم.

ادخلي أيتها النفس المطمئنة في جسد عبدي.

* * *

سورة البلد

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني مفردات السورة الكريمة

2- ﴿حِلٌّ﴾: في حل – لست بآثم.

4- ﴿كَبَدٍ﴾:مشقة وعناء وتعب.

10- ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾:وضَّحنا له طريق الخير وطريق الشَّرِّ.

11- ﴿ٱلْعَقَبَةَ﴾: عقبة في جهنم، قيل: جبل، وقيل: الصراط.

13- ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾: عتق عبدٍ أو أمة.

14- ﴿مَسْغَبَةٍ﴾: مجاعة.

15- ﴿ذَا مَقْرَبَةٍ﴾: ذا قرابة.

16- ﴿ذَا مَتْرَبَةٍ﴾: ذا فقرٍ شديد.

17- ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾: أوصى بعضهم بعضًا برحمة الناس.

18- ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾: أصحاب اليمين.

19- ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾:أصحاب الشمال.

20- ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾: مغلقة مطبقة.

* * *

تفسير سورة البلد

يقـــول ســـبحانه: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾: **أما قوله:** ﴿لَآ﴾فقد تقدم الكلام عليه بما حاصله أن م أهل العلم من قال: إن ﴿لَآ﴾ زائدة كما في قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ﴾ **[الأعراف: 12] وقال الآخرون:** إنها لنفي شيء متقدم، فكأنهم أنكروا البعث. **فقيل لهم:** لا تنكروا البعث، ثم أقسم..

ومن العلماء من قال: إن ﴿لَآ﴾ هنا على بابها، فالمعنى: لا أقسم بهذا البلد أثناء تواجدك فيه وهو حلالٌ لك.

وعلى كلٍ فقوله تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾**:** على رأي الجمهور معناه: أُقسم بهذا البلد، فيقسم الله سبحانه وتعالى بمكة البلد الحرام، في الوقت الذي أحلها لنبيه ﷺ يصنع فيها ما يشاء من غير مؤاخذة، فقد كانت مكة بلدًا حرامًا لا يحل لأحد أن يحمل فيها سلاحًا ولا يسفك بها دمًا، كما في الصحيحين(1) من حديث ابن عباس ڤ أن النبي ﷺ قال يوم فتح مكة: **«إن هذا البلد حرَّمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة لله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضد شوكه، ولا يُنفر صيده، ولا يلتقط لقطته إلا من عرَّفها ولا يختلي خلاها»**.

فقال العباس: يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لقينهم ولبيوتهم فقال: **«إلا الإذخر»**.

ففي هذا الحديث أن مكة أُحلت لرسول الله ﷺ ساعةً من نهار، يصنع فيها ما يشاء، ويقتل من يشاء، ويستحيي من يشاء، فأقسم الله سبحانه وتعالى بالبلد (وهي مكة) أثناء إحلالها الرسول الله ﷺ، فالمعنى: أقسم بهذا البلد أثناء تواجدك فيها وإحلالها لك.

---

(1)

أما قوله: ﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾: فمعناه: وأنت بريء من الإثم والحرج، ولا تؤاخذ بما يؤاخذ به غيرك إذا حملت فيها السلاح أو قتلت من تشاء من الكفار.

فقوله: ﴿وَأَنتَ حِلٌّ﴾: أي وأنت في حِلٍّ، أي لست بآثمٍ.

أما قوله: ﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ﴾: فيقسم الله بكل والدٍ وولده، فيدخل في هذا آدم وذريته، وإبراهيم وذريته.

يقسم الله سبحانه وتعالى بهذا على أنه خلق الإنسان ﴿فِي كَبَدٍ﴾ أي: في تعب ومشقة.

هذا الكبد كما قدمنا هو العناء والمشقة والجهد، وقد لخص القرطبي ذلك فقال: قال علماؤنا: أول ما يكابد قطع سرَّته، ثم إذا قُمِطَ قِمَاطًا، وشدَّ رباطًا، يكابد الضيق والتعب، ثم يكابد الارتضاع، ولو فاته لضاع، ثم يكابد نبت أسنانه، وتحرك لسانه، ثم يكابد الفطام، الذي هو أشد من اللطام، ثم يكابد الختان، والأوجاع والأحزان، ثم يكابد المعلم وصولته، والمؤدب وسياسته، والأستاذ وهيبته، ثم يكابد شغل التزويج والتعجيل فيه، ثم يكابد شغل الأولاد، والخدم والأجناد، ثم يكابد شغل الدور، وبناء القصور، ثم الكبر والهرم، وضعف الركبة والقدم، في مصائب يكثر تعدادها، ونوائب يطول إيرادها، من صداع الرأس، ووجع الأضراس، ورمد العين، وغم الدَّيْن، ووجع السن، وألم الأذن، ويكابد مِحَنًا في المال والنفس، مثل الضرب والحبس، ولا يمضي عليه يوم إلا يقاسي فيه شدة، ولا يكابد إلا مشقة، ثم الموت بعد ذلك كله، ثم مساءلة الملك، وضغطه القبر وظلمته، ثم البعث والعرض على الله، إلى أن يستقر به القرار، إما في الجنة وإما في النار.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾: فلو كان الأمر إليه لما اختار هذه الشدائد، ودَلَّ هذا على أن له خالقًا دَبَّره، وقضى عليه بهذه الأحوال، فليمتثل أمره.

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾: أيظن هذا الإنسان بعد أن خلقناه في هذا الكبد الذي لا يستطيع دفعه عن نفسه أن لن يغلبه ولن يقهره أحدٌ، إنه إن نظر في نفسه وجد أن أقدار الله سبحانه وتعالى من صحة ومرض وفقرٍ وغني وَكِبْرٍ وهرم، ومصائب وأحداث، كل ذلك يجري عليه رغم أنفه، ومع ذلك لا يتَّعِظُ بل يظن أنه لن يُغلب، ولن يُقهر ولن يُعاقب، ولن تتغير أحواله من القوة إلى الضعف ومن الصحة إلى المرض، ومن الاغترار بالأهل والعشيرة إلى الوحدة والانفراد والبعد عن الخلان والإخوان.

﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾ يقول الكافر إنني أنفقت مالًا ﴿لُّبَدًا﴾ أي: كثيرًا في عداوة محمد وفي حرب الإسلام، ويقول المنافق: أنفقت مالًا كثيرًا لنصرة هذا الدين.

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ أيظن هذا الكافر ويظن المنافق أن أمره يَخْفَى وليس هناك من يطَّلع عليه ويراقبه؟!!.

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ إذا كان هذا الكافر يظن أن أحدًا لم يره فقد أخطأ الظن، فقد جعلنا له عينين ولسانًا وشفتين، وكل ذلك يشهد عليه يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢١ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٢٢ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [فصلت: 21- 23].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النور: 24].

فالأيدي تشهد يوم القيامة، وكذلك الأرجل، وكذلك الألسن، كل ذلك يشهد على ابن آدم بما قدَّم وصنع، ألا فليحذر الغافلون!!

ألا فليدرك هذا المنافق أيضًا، الذي يظن أنه أنفق أموالًا طائلة لنصرة الدين، ليدرك أن نِعَمَ الله عليه أعظم وأوسع وأكثر مما أنفقه، فقد جعلنا له عينين ولسانًا وشفتين.

وقوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾: من نِعَمِ الله على العبد أيضًا، فقد أوضح الله له الطريقين، طريق الخير وطريق الشر.

كما قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: 3].

وقوله: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾: ولكن مع إنعامنا عليه بهذه النِّعم وتفضُّلنا عليه بهذه الأفضال، لم يعمل أعمالًا صالحة تجعله يتخطى العقبة التي في النار (ومن العلماء من قال: إنها جبل في النار، ومنهم من قال هي الصراط) ويمر بها مرورًا سريعًا ويتجاوزها وينجو منها.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾ إنها عقبة خطيرة، إنها عقبة كبيرة.

﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ هذه هي الأعمال التي تجعل صاحبها يتخطى العقبة ويقتحمها ويتجاوزها، هذه هي الأعمال التي لم يعملها هذا الكافر والمنافق، ومن ثمَّ سيسقط في الجحيم هذه هي الأعمال المنجية هي:

﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾: أي: عتق العبيد وتحرير الرقاب، فلم يفك الكافر رقبة عبدٍ، ولم يساهم في ذلك ولو باليسير، لم يدفع شيئًا من ماله لشراء عبدٍ أو أَمَةٍ ولتحريرهما من الرِّق وذلك العبودية للبشر.

﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ لم يطعم هذا الكافر أقاربه الأيتام ولا المساكين الفقراء شديدي الفقر في أيام المجاعات، فالأعمال التي تنجي من العقبة: إطعام الأيتام والمساكين والفقراء الذين ألصقهم الفقر بالتراب.

وقوله: ﴿ذِي مَسْغَبَةٍ﴾: أي: ذي مجاعة أي في أيام المجاعات.

وقوله: ﴿ذَا مَقْرَبَةٍ﴾: أي: قريبًا له.

وقوله: ﴿ذَا مَتْرَبَةٍ﴾: أي: لا يملك إلا التراب.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ إن الكافر لم يحرص على أن يكون من المؤمنين الذين يتواصون فيما بينهم بالصبر على المحن والشدائد

والبلايا والمصائب، لم يكن من الذين يتواصون أيضًا بالصبر على الطاعات، ولم يكن كذلك من الذين يتواصون فيما بينهم برحمة الناس والإحسان إليهم والرفق بهم، إن الكافر والمنافق لم يحرص على هذه الأعمال التي تجعله يقتحم العقبة ويمر بها وينجو منها.

أما أهل الإيمان أصحاب اليمين ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾: فهم الذين سعوا في تحرير الرقاب وفكها، هم الذين أطعموا الطعام في أيام المجاعات، يبتغون بذلك وجه ربهم ويخافون يومًا عبوسًا قمطريرًا إنهم الذين أطعموا أقاربهم الأيتام، وسائر المساكين وأهل الاحتياج، إنهم الذين كانوا يتواصون فيما بينهم بالصبر، ويحض بعضهم بعضًا عليه، ويحض بعضهم بعضًا على رحمه الناس والرفق بهم، والعفو عنهم، حقًّا إنهم أهل إيمان، إنهم أصحاب اليمين الذين يتلقون كتبهم بأيمانهم: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ١٩ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ﴾: لكن الذين كفروا بآيات الله وجحدوا بها، والذين لم يقدموا أعمالًا صالحة تُيسر لهم اقتحام العقبة فلم يطعموا اليتيم ولا المسكين، ولم يتواصوا بالصبر ولم يتواصوا برحمة الناس والرفق بهم هم أصحاب المشأمة أصحاب الشمال الذين يتلقون كتبهم بشمالهم من وراء ظهورهم.

﴿عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ﴾: أي: مطبقة مغلقة عليهم.

* * *

سورة الشمس

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني مفردات السورة الكريمة

2- ﴿تَلَىٰهَا﴾: تَبِعها.

3- ﴿جَلَّىٰهَا﴾: أظهرها – أضاءها.

4- ﴿يَغْشَىٰهَا﴾: يغطيها حتى تغيب.

6- ﴿طَحَىٰهَا﴾: بسطها.

7- ﴿سَوَّىٰهَا﴾: عدَّل خلقها.

8- ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾: بيَّن لها – جعل فيها.

9- ﴿زَكَّىٰهَا﴾: طهّرها من الكفر والمعاصي.

10- ﴿دَسَّىٰهَا﴾: أخفاها وأبعدها عن الخير.

11- ﴿بِطَغْوَىٰهَآ﴾: بسبب طغيانها.

12- ﴿ٱنۢبَعَثَ﴾: نهض – خرج.

14- ﴿فَدَمْدَمَ﴾: دمّر – أهلك.

* * *

تفسير سورة الشمس

يقول سبحانه: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾: يُقسم الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات الكريمة بالشمس وضحاها، وهو ضوؤها المنتشر، وبالقمر إذا تلاها، أي تبعها، وبالنهار إذا جلَّاها، أي: أوضح الأرض وجلَّى الظلمة عنها، أي: أذهب عنها الظلام، وجلَّى الشمس كذلك، أي أوضحها وأظهرها.

ويُقْسم ربنا كذلك بالليل إذا يغشاها، أي غطاها بظلامه، أي غطى الأرض والشمس بظلامه، ويقسم كذلك سبحانه وتعالى بالسماء.

﴿وَمَا بَنَىٰهَا﴾ أي والذي بناها، أي خلقها وجعلها سقفًا للأرض.

ويُقْسم سبحانه كذلك بـ ﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾: أي يُقْسم بالأرض وبالذي بسطها يمينًا وشمالًا وم كل جانب، ويقسم كذلك بـ ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ أي والذي عدل خَلْقَها وخَلَقها في أحسن تقويم.

﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ أي: بيَّن لها ووضَّح لها ما تكون به شقية فاجرة وما تكون به تقية صالحة، وكذلك جعل فيها الفجور أو التقوى.

يُقْسم الله – سبحانه – بهذه الأشياء على أنه قد (أفلح) أي فاز بالمطلوب وهو الجنة، ونجا من المرهوب، وهو النار مِنْ زكا نفسه، أي: طهرها من الكفر والمعاصي والذنوب والآثام، وأصلحها بالأعمال الصالحة وبطاعة الله عز وجل..

﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ أي: وقد خسر من أخفى نفسه عن الخير، وأبعدها عن الصلاح وصدَّها عن الهدى حتى وقع في المعاصي وترك طاعة الله عز وجل.

ثم ذكر الله – سبحانه وتعالى – تلك القبيلة الطاغية قبيلة ثمود التي كانت تسكن في الحجر قريبًا من بلاد تبوك، تلك القبيلة التي طغت طغيانًا كبيرًا حملها هذا الطغيان على تكذيب المرسلين والكفر برب العالمين والتكذيب بالبعث وبالقارعة، كما قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ﴾ [الحاقة: 4].

وحملها هذا الطغيان على عقر الناقة التي أخرجها الله سبحانه وتعالى لهم، دالة على صدق نبيهم صالح عليه السلام.

كما قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾ فخرج أشقى رجل في هذه القبيلة كما جاء في **«الصحيحين»**(1) وغيرهما عن رسول الله ﷺ، أنه قال:

---

(1) البخاري (4942) ومسلم (2855) من حديث عبد الله بن زمعة مرفوعًا.

﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا﴾ انبعث لها رجل عارمٌ عزيزٌ منيع في رهطه كأبي زمعة. انبعث هذا الرجل أي نهض وخرج لقتل الناقة فحذرهم نبيهم ﷺ من قتلها وذكَّرهم بحقها وحق الله عز وجل فيها وأنها ناقة الله.

﴿فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا﴾ أي: قال لهم نبيهم صالح – عليه السلام: يا قوم هذه ناقة الله(1) فاحذورها ولا تعتدوا عليها ولا تمسوها بسوء.

واحذروا أيضًا ﴿وَسُقۡيَٰهَا﴾: أي: الماء الذي تشرب منه، فلا تشربوا من البئر في اليوم المخصص للناقة أن تشرب منه، كما في الآية الأخرى: ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ١٥٥ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ **[الشعراء: 155- 156].**

واستمر نبيهم في التحذير والإنذار، ولكنهم كذَّبوه واجتمعت كلمتهم على قتلها وندبوا لها هذا الرجل الشقي أشقى القبيلة ورشحوه لقتلها، فعقرها وقتلها، كما قال سبحانه ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾.

فنسب العقر إليهم جميعًا لما تواطئوا على قتلها ووافقوا على ذلك، فمن المعلوم أن الشخص إذا ارتكب معصية، وأقرَّه قومه حملوا معه قسطًا من الإثم، ونزلت عليهم جميعًا العقوبة.

ومن الأدلة على ذلك، قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾.

نسب العقر إليهم جميعًا مع أن الذي عقرها واحد، لكن لما أقَرُّوه على فعله، ولم يمنعوه منه كانوا مشاركين له في الفعل، ونُسب العقر إليهم جميعًا.

ومن الأدلة أيضًا قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ﴾ [الأنفال: 25].

وقوله عليه الصلاة والسلام: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم

---

(1) وخُصَّت هذه الناقة بأنها ناقة الله مع أن كل النوق لله، وكل شيء لله لتشريفها، كما شرفت المساجد في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ مع أن الأرض كلها لله.

استهموا على سفينة...»الحديث[1].

وقوله عليه الصلاة والسلام:

«إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقابه»[2].

﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾: فدَمَّر الله عليهم بلادهم وأرسل عليهم رجفةً فأهلكتهم بسبب هذا الذنب العظيم، ألا وهو الكفر بالله وتكذيب المرسلين وعقر ناقة الله عز وجل، فدُمرت عليهم منازلهم وهدمت البيوت وسُوّيت بالأرض.

أما قوله تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾: فجمهور المفسرين على أن المراد أن الله سبحانه وتعالى لا يخاف عاقبة الذي صنعه بقبيلة ثمود من إنزاله العذاب عليهم.

ومن العلماء من قال: إن المراد أن صالحًا عليه السلام لا يخاف من أحد عاقبة ما أحله الله بثمود.

والقول الثالث: أن أشقي ثمود وهو الذي عقر الناقة عقرها وهو لا يخشى الله ولا يخاف العقوبة من قتلها.

* * *

---

(1) أخرجه البخاري (2493) من حديث النعمان بن بشير ﷺ عن النبي ﷺ قال: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا!! فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا».

(2) أخرجه أحمد في المسند (1/ 2، 5، 7، 9)، وأبو داود في الملاحم (4338)، وابن ماجه (4005)، والترمذي مع تحفة الأحوذي (6/ 388)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (بتحقيقي رقم 1) بإسناد صحيح من حديث أبي بكر ﷺ عن النبي ﷺ. وقد روي الحديث موقوفًا ومرفوعًا، ولمزيد من الكلام عليه انظر تعليقي على حديث رقم (1) من المنتخب لعبد بن حميد.

سورة الليل

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني مفردات السورة الكريمة

1- ﴿يَغْشَىٰ﴾: يغطي.

2- ﴿تَجَلَّىٰ﴾:أضاء وأنار.

4- ﴿سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾:عملكم لمختلف.

7- ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾:نهيئه لعمل الخير.

11- ﴿تَرَدَّىٰ﴾:سقط (في جهنم).

14- ﴿تَلَظَّىٰ﴾:تتوهج.

18- ﴿يُؤْتِى﴾:يعطي.

18- ﴿يَتَزَكَّىٰ﴾:يتطهر.

* * *

تفسير سورة الليل

يقول سبحانه: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾.

يُقْسم الله سبحانه وتعالى ببعض آياته الكونية وهي الليل والنهار، فالليل والنهار آيتان من آيات الله، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [فصلت: 37].

وكما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ [الإسراء: 12] يُقْسم الله بالليل عند دخوله وتغطيته للنهار بظلمته وتغطيته للأرض والأشياء فقوله ﴿يَغْشَىٰ﴾ معناه يُغطي، ويقسم – سبحانه – بالنهار إذا تجلى، أي: إذا أضاء وأنار وظهر للأبصار، ويقسم سبحانه بنفسه فيقول: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ أي: والذي خلق الذكر والأنثى، وهو سبحانه الذي خلق الذكر والأنثى، يقسم الله بذلك كله على ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ

﴿لَشَتَّىٰ﴾ أي إن عملكم لمتنوع ومختلف، فمنكم من يعمل الصالحات ويعمل بعمل أهل السعادة، ومنكم من يقترف المحرمات ويعمل بعمل أهل الشقاوة.

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ أي: وأما من أعطى المال وأنفقه في سبيل الله واتقى الله واجتنب المحرمات.

﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾: أي وصدق بالجنة، وبأن وعد الله حق، وأن الله يخلف على المنفق، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ **[سبأ: 39]**، ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ أي: سنهيئه لعمل الخير وعمل السعداء، فمن بدأ في الخير وسعى فيه فتح الله له أبوابًا أُخر من أبواب الخير وسهلها عليه وجعلها خفيفةً على قلبه سهلةً على بدنه.

كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ **[محمد: 17]**.

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾: أي: بَخِلَ بما آتاه الله من فضله، ولم ينفقه في سبيله الله ولم يؤد حق الله فيه من زكوات مفروضه وحقوقٍ للعباد واستغنى عن ربّه –عز وجل – وظن أنه لا حاجة له في ربّه.

﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ أي: وكذَّب بالجنان وما فيها من النعيم المقيم والثواب للمتصدقين المحسنين، وكذَّب بوعد الله بالخلف على المنفق، فهذا قد قال الله فيه، ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾.

أي: سنهيئه لعمل الشر وعمل أهل الشقاوة وسنسهل عليه أعمال الشقاوة، تلكم الأعمال التي تؤدي بصاحبها إلى النار، فمن سعى في الشر فُتحت له أبوابه، كما قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ **[الأنعام: 110]**.

وكما قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ **[الصف: 5]**.

وكما قال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا﴾ **[النساء: 88]**.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ﴾ أي: إن هذا المال الذي بخل به صاحبه الكافر ولم ينفقه في أبواب الخير لن يغني عنه عند سقوطه في جنهم، ودخوله النار، فبمجرد موته يذهب عنه هذا المال كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾ **[الأنعام: 94]**.

وكما قال النبي ﷺ فيما أخرجه مسلم من حديث أنس ﷺ: **«يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد، يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله»**(1).

ثم يبين الله سبحانه وتعالى أن أمر الهداية موكول إليه سبحانه وتعالى، فلن يهتدي أحد إلا إذا هداه الله.

فيقول سبحانه: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾: وكذلك فإن الله يضل الظالمين ويفعل ما يشاء.

وهذا كما قال الله تعالى:

﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ **[الأعراف: 178]**.

وكما قال تعالى: ﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ **[الأعراف: 186]**، وكما قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ﴾ **[يونس: 100]**.

وكما قال سبحانه: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ **[السجدة: 13]**.

فالهداية من عند الله سبحانه، والمهتدي من هداه الله ألا ترى أن نوحًا عليه السلام لم يستطع مع ولده شيئًا.

وإبراهيم كذلك لم يستطيع هداية أبيه.

وكذلك امرأة نوحٍ وامرأة لوط كانتا تحت عَبْدَيْن صالحين من عباد الله فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئًا، وقيل: ادخلا النار مع الداخلين، ونبينا محمد ﷺ ألحَّ على عمه أبي طالب كي يُسلم فلم ينتفع أبو طالب بذلك ونزل فيه

---

(1) أخرجه مسلم (2960) من حديث أنس ﷺ مرفوعًا.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: 56] فأمر الهداية موكول إلى الله سبحانه وتعالى كما بَيّنا، فجدير بالعبد أن يطلبها من الله سبحانه وتعالى ويسلك الأسباب التي ينال بها هداية الله، ومن ذلك إنفاق المال في سبل الخير، واتقاء المحرمات والتصديق بالحسنى، فإن هذه أسباب تُهيئه لعمل السعداء، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾.

وقوله: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾: يُفيد أن الأمر كله في الدنيا والآخرة لله سبحانه وتعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ويرحم من يشاء ويعذب من يشاء، إليه يرجع الأمر كله.

﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾: أما مهمة رسول الله فهي الإنذار ينذر ويحذر من تلك النار الكبرى التي تلظى وتتوهج، هذه النار لا يدخلها ولا يُخلَّد فيها ويصلي سعيرها إلا الأشقى، كما قال تعالى: ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ ﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾: ذلك الشقي الكافر الذي كذَّب بآيات الله وكذَّب المرسلين وكذَّب باليوم الآخر ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾: أي وأعرض عن كتاب الله وعن رسول الله ﷺ، وليس معنى قوله: ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ أن الكافر هو الذي يدخل النار فقط، بل قد دخلها مسلمون كذلك من المسرفين على أنفسهم اذين ظلموا العباد، وسفكوا الدماء، وأكلوا أموال الناس بالباطل، كما ورد في حديث المفلس وغيره من الأحاديث.

لكن المراد بقوله: ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ أي: لا يدخلها مخلدًا فيها إلا الأشقى وهو الكافر، أما عصاه المسلمين فإنهم وإن عُذِّب بعضهم إلا أن مآلهم إلى الخروج منها ودخول الجنان.

وقوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۝١٧ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ﴾ أي: وسيُبْعد عن هذه النار الكبرى التقي المؤمن الذي ينفق ماله في سبيل الله وفي أوجه الخير، ويطهر ماله من الحرام الذي يُدنِّسه، ويتطهر هو أيضًا من الذنوب والمعاصي: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ ۝١٩ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ﴾ أي: إن هذا المؤمن التقي لا ينتظر مجازاة

من أحد من الخلق على المعروف الذي يصنعه، والمال الذي ينفقه، لكنه يريد فقط وجه الله بهذه الأعمال، كما قال سبحانه: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: 8، 9].

وهكذا ينبغي دائمًا أن تكون الأعمال كل الأعمال خالصة لوجه الله سبحانه وتعالى ويطلب بها العبد ثواب الله، وعظيم جزائه لا يطلب شيئًا من أحدٍ سواه. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [الرعد: 22]، فإذا صبر العبد على أي شيء فليكن صبره لله، لا ليُقال عنه إنه صابر ولا يصبر خوفًا على صحته من المرض، ولا يصبر تجلدًا إن صبره الذي يُثاب عليه ابتغاء وجه ربه.

وفي الإنفاق قال تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ ۖ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم: 39].

فلابد حتى يثبت الثواب ويكمل من ابتغاء ثواب الله وإرادة وجهه عز وجل.

وفي الإصلاح يقول سبحانه:

﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 114].

فلابد من ابتغاء مرضاة الله في الإصلاح، فكم من مُصْلحٍ لا أجر له، وهو المصلح الذي يُصلح ليقال عنه مُصلح أما المصلح الذي يُثاب ويؤجر فهو المصلح بين الناس ابتغاء مرضات الله.

وهكذا سائر الأمور والأعمال، فمن فعل ذلك ابتغاء وجه الله فسيرضيه الله، كما قال سبحانه: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ أي: إن الله عز وجل سيرضي هذا التقي المؤمن ويُجازيه على إحسانه أحسن الجزاء وأجمل الجزاء وأكمل الجزاء.

* * *

سورة الضحى

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني مفردات السورة الكريمة

1- ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾: وقت الضحى.

2- ﴿سَجَىٰ﴾: غطى – أقبل بظلامه.

3- ﴿وَدَّعَكَ﴾: تركك.

3- ﴿قَلَىٰ﴾: أبغض.

6- ﴿فَـَٔاوَىٰ﴾: جعل لك مأوى.

8- ﴿عَآئِلٗا﴾: فقيرًا – تعول غيرك.

9- ﴿تَقۡهَرۡ﴾: تسيء المعاملة.

* * *

تفسير سورة الضحى

يقول سبحانه: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ يُقسم الله سبحانه وتعالى بالضحى وهو أول النهار وصدره، ومن العلماء من قال: إنه النهار كله، ويُقْسم سبحانه بالليل إذا سجى، أي إذا أقبل بظلامه وغطى الأشياء، يُقْسم الله سبحانه لنبيه ﷺ فيقول له: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾: أي ما تركك ربك، ولا أبغضك ربك منذ أحبك، وسبب ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث جندب بن سفيان ﷺ[(1)] قال: اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثًا فجاءت امرأةٌ فقالت: يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثًا. فأنزل الله عز وجل: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾.

ثم أخبر الله نبيه ﷺ أن الدار الآخرة وما أُعد له فيها من الجنان والنعيم المقيم خيرٌ له من الحياة الدنيا، فقال سبحانه: ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ وكذلك حاله بعد مرضه وشكواه خيرٌ له من حاله قبل الشكوى والمرض.

---

(1) أخرجه البخاري (10/ 339)، ومسلم (12/ 156).

ثم قال سبحانه: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾: فأخبر الله سبحانه نبيه ﷺ أنه سيعطيه أنواعًا من الخير وسائر أنواع العطاء حتى يرضى صلوات الله وسلامه عليه، ومن هذا العطاء ما أخرجه البخاري من حديث جابر بن عبد الله ڤ أن النبي ﷺ قال: **«أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي، نُصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأُحلَّت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»**(1).

ومن ذلك القرآن والسبع المثاني(2)، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: 87].

ومن ذلك نهر الكوثر، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: 1].

ومن ذلك شهادة الرسول على أمته، وشهادة أمته على سائر الأمم، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143].

ومن ذلك كونه ﷺ جُعل سيد ولد آدم، ومن ذلك المقام المحمود والحوض المورود، ثم ذكَّر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بصنوفٍ من النعم التي أنعم بها عليه، فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾: فمن هذه النِّعم أنه وجده يتيمًا فجعل له مأوى ومسكنًا يسكن فيه وحبَّب في الخلق الذين قاموا بكفالته ورعايته، ومن هذه الأنعم أنه وجده ضالًّا فهداه، فقد كان ضالًّا عن أحكام الشريعة لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: 52].

وكما قال سبحانه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن

---

(1) أخرجه البخاري (355)، ومسلم (521).

(2) وهي فاتحة الكتاب.

﴿كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [يوسف: 3].

وقد ذكر بعض أهل العلم أنه ﷺ ضلَّ في بعض شعاب مكة فردَّه الله سبحانه وتعالى إلى أهله.

ومن هذه النعم: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ أي: إنه سبحانه وجدك فقيراً فأغناك، وفتح عليك أنواعًا من الفتوحات وزَوَّجك بخديج ڤ تلك الزوجة الصالحة الرشيدة العاقلة، وكانت ذات مال فنفعك الله بمالها.

﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ أي: وكما كنت يتيمًا فآواك الله، وضالًّا فهداك الله، وعائلًا فأغناك الله، فلا تقهر اليتيم، ولا تسيء معاملته، واذكر نعمة الله عليك ولا تنهر السائل.

﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ سواء السائل المحتج إلى المال، أو السائل الذي يسأل عن دينه، أو السائل الذي يسأل عن الطريق، أي سائل كان يسأل عن شيء ينفعه ويصلحه فلا تنهره، ولا تدفعه ولا تغلظ له في القول، ولا تشتد عليه في العُتب، اللهم إلا إذا كان هناك ما يستدعى ذلك.

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ أي: لا تكتم نِعَم الله عليك بل حدِّث بها واذكرها واشكر الله عليها، وقد قال النبي ﷺ: **«إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»**(1).

أثرها عليه في هيئته وزينته وسمته ولسانه وعمله، ألا فلا تنس نصيبك من الدنيا، وأيضًا فكن من الشاكرين، وأحسن كما أحسن الله إلك، حَدِّث بنعمة الله عليك إلا إذا خشيت حسد الحاسدين فحينئذ اكتم النعمة عنهم، فهم يتمنون لك زوال النِّعم، كما قال يعقوب ليوسف عليهما السلام: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف: 5].

وكما قال النبي ﷺ: «إذا رأى أحدكم ما يحب فلا يُحدِّث به إلا من يُحب»(2).

---

(1) حسن لشواهده: أخرجه الترمذي (2819)، وأحمد (2/ 182)، (2/ 311).

(2) أخرجه البخاري (7024)، ومسلم (ص 1772) من حديث أبي قتادة ڤ.

* * *

سورة الشرح

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني مفردات السورة الكريمة

1- ﴿نَشۡرَحۡ﴾: نوسع لقبول الإسلام والارتياح له – نشق.

2- ﴿وِزۡرَكَ﴾: ذنبك – حملك.

3- ﴿أَنقَضَ﴾: اتعب – أرهق.

5- ﴿ٱلۡعُسۡرِ﴾: الضيق والشدة والكرب.

5- ﴿يُسۡرًا﴾: سعةً وغنًى ومخرجًا.

7- ﴿فَٱنصَبۡ﴾: اجتهد في العبادة.

8- ﴿فَٱرۡغَب﴾: الجأ واتجه.

* * *

تفسير سورة الشرح

يقـول الله سـبحانه وتعـالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾: يُذكِّر الله عز وجل نبيه ﷺ ببعض نعمه ومِنَنَـه عليـه، فمـن ذلـك أنـه شـرح لـه صـدره أي: جعلـه فسـيحًا رحبًـا يقبـل تعـاليم الـدين ويسـتلذ بالطاعات، وَسَّع له صدره ونَوَّره فتدخل كل التكـاليف وكـل الأوامـر والنـواهي إلى صدره، وهو مرتاح لها متسعٌ لقبولهـا، كمـا قـال تعـالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: 125].

فبداية طريق الهداية يكون بشرح الصدر، ومن ثمَّ دعا موسى ﷺ ربه – لما كلفـه الله بالـذهاب إلـى فرعـون – فقـال: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ۝٢٥ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى﴾ [طـه: 25، 26].

وشرح الله لنبينا صدره أيضًا ليلة الإسراء، وشرح الله له صدره أيضًا وهـو صغير عند مرضعته، وقد ثبتت بذلك الأحاديـث وصـحت، ثبـت فيهـا أن صـدر رسول الله ﷺ شُرِحَ مرتين:

الأولى منـها: وهو صغير يلعب مع الغلمان: كما في **«صحيح مسلم»**(1) من حديث أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام وهـو يلعـب مـع الغلمـان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه، فاستخرج القلب فاستخرج منـه علقـة، فقـال: هـذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طسـت مـن ذهـب بمـاء زمـزم ثـم لأَمَـهُ(2) ثـم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسـعون إلـى أمـه (يعنـي ظئـره) (3) فقـالوا: إن

---

(1) أخرجه مسلم (162).

(2) لأَمَه: ضمة وجمع بعضه إلى بعض.

(3) ظئره: مرضعته.

محمدًا قد قُتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون(1) قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره.

والثانية: ليلة المعراج، كما في صحيح البخاري وصحيح مسلم من حديث أبي ذر ة أن رسول الله ﷺ قال: **«فُرج عن سقف بيتي ممتلىء حكمة وإيمانًا فأفرغه في صدري ثم أطبقه...»** الحديث(2).

ويُخبر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أنه وضع عنه وزره، أي حطَّ عنه ذنوبه التي أثقلت ظهره وأتعبته، كما قال تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ **[الفتح: 2]**.

تلك الذنوب التي حمل همومها حتى كادت تكسر فقار ظهره حتى يُسمع له نقيض، وأيضًا فقد كان النبي يحمل هموم الدعوة إلى الله، وهموم عدم إسلام قومه، فخفف الله عنه ذلك ويسَّره، كما قال سبحانه: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾.

ويمتن الله عز وجل على نبيه ﷺ بأنه سبحانه رفع له ذكره، وقد رفع الله سبحانه وتعالى ذكر النبي محمد ﷺ بأمور منها ما يلي:

إيتاؤه القرآن وإنزاله عليه وبعثه لخير أمة أخرجت للناس، فقد قال تعالى عن القرآن: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ **[الزخرف: 44]** أي: شرف لك ولقومك. وأخذ الله الميثاق على النبيين أن يؤمنوا به إذا بُعث وهم أحياء، قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ **[آل عمران: 81، 82]**.

ولا ينعقد لأحدٍ إسلام إلا بالاعتراف برسالته ﷺ والإقرار بها بقوله أشهد أن

---

(1) منتقع اللون: أي متغير اللون.

(2) أخرجه البخاري (349) ومسلم (163).

لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فجاء ذكر النبي ﷺ، والشهادة برسالته من أركان الإسلام.

ويُدوّي هذا الاسم الكريم اسم محمد خمس مرات في اليوم والليلة في الأذان، وكذلك عند إقامة الصلاة.

ورب العزة سبحانه وملائكته يصلون على هذا النبي الكريم محمد ﷺ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56].

وكرر اسمه في القرآن في عدة مواطن ﷺ، بل وجعلت في القرآن سورة باسمه ﷺ وكما أسلفنا فالقرآن كله نزل عليه، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ﴾ [الحجر: 87].

وأُعطي الشفاعة العظمى صلوات الله وسلامه عليه، وجُعل سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام.

ويأتي شهيدًا على أمته يوم القيامة، وعلى سائر الأمم، وكذلك أمته تشهد على سائر الأمم ﷺ.

وهو صاحب الحوض والكوثر ﷺ.

وبَشَّرت به الكتب المنزلة على الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.

واسمه يُذكر في كل خطبة، وفي خطبة النكاح، والتشهد في الصلاة كذلك، وأمر الله بطاعته وتوقيره وتعظيمه، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر: 7].

وقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة: 62].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ﴾ [آل عمران: 31].

وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [المائدة: 92].

وقال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: 157].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: 1- 3].

فانظر إلى الذي يجهر لرسول الله ﷺ بالقول ويرفع صوته فوق صوته وكيف أن عمله يحبط وهو لا يشعر؟!!

وانظر إلى المتخلق بالخُلُقِ الحسن مع رسول الله ﷺ وكيف تغفر له ذنوبه ويثبت له الأجر العظيم؟!!

وبالجملة فقد ملأ ذكره الجميل السموات والأراضين، وجعل الله له لسان صدق في الأولين والآخرين، وجعلت أمته كما أسلفنا خير الأمم أكثر أهل الجنة، فصلوات ربي وسلامه عليه آناء الليل وأطراف النهار في الدنيا وفي الآخرة عليه أفضل صلاة وأتم تسليم وأزكاه، وما أجمل وأحسن هذه الأبيات المنسوبة إلى حسان ڤ حيث قال في وصف النبي ﷺ والثناء عليه:

أغـــرُّ عليـــه للنبـــوة خـــاتم مـــن الله مشـــهود يلـــوح ويشـــهد

وضـم الإلـه اسـم النبـي إلـى اسـمه إذا قـال فـي الخمـس المـؤذن أشـهد

وشـــق لـــه مـــن اســـمه ليجلـــه فـذو العـرش محمـود وهـذا محمـد

فهذه بعض نعمنا عليك شرحنا لك صدرك، ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك، ورفعنا لك ذكرك، فإن كان قد حلَّ بك عسرٌ فاعلم أن مع العُسْرِ يسرًا ن وأن مع الضيق والشدة والكرب سعةً وغنًي ومخرجًا وفَرجًا فتأكد من

ذلك غاية التأكيد، ولذلك كُرر قوله: إن مع العسر يسرًا، فدائمًا العُسر يتبعه يسر.

قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾:

قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ [يوسف: 110].

وكما قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: 214]، ولكي يُدفع هذا العُسر ويأتي اليُسر، ولكي تؤدي شكر هذه النعم التي أنعمنا بها عليك ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾: إذا فَرغْتَ من أعمال الدنيا فاجتهد في العبادة واجتهد في الطاعات، واجتهد في الدعاء، واجتهد في تبليغ الرسالة والحمد والاستغفار والتسبيح، وكذلك إذا فرغت من الصلاة فاجتهد في الدعاء.

﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ أي الجأ واتجه إليه، واجعل رغبتك فيه دون من سواه واجعل ملتجأك إليه وعملك خالصًا لوجهه رغبة فيما عنده سبحانه وتعالى.

* * *

سورة التين

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني مفردات السورة الكريمة

2- ﴿وَطُورِ﴾: الطور كل جبلٍ ينبت.

2- ﴿سِينِينَ﴾: مبارك حسن – سيناء.

3- ﴿الْأَمِينِ﴾: الآمن.

4- ﴿أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾: أحسن صورة وقوام.

5- ﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾: أرذل العمل (الشيخوخة).

6- ﴿مَمْنُونٍ﴾: مقطوع – منقوص.

7- ﴿بِٱلدِّينِ﴾: الجزاء – الحساب.

8- ﴿بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾: أتقن الحاكمين صنعًا.

* * *

تفسير سورة التين

يُقسم الله سبحانه وتعالى في هذه السورة بالتِّينِ، وهو الفاكهة المعروفة لدى الناس، ويُقسِم كذلك بالزيتون وهو الزيتون الذي يُعصر.

(ومن العلماء من قال: إن الله أقسم بمنابت التِّينِ والزيتون، أي: الأماكن التي ينبت فيها التين والزيتون، وهي بلاد الشام التي كان بها عيسى عليه السلام).

ويُقْسِم سبحانه أيضًا بطورسينين، وهو طور سيناء، ذلكم الجبل المبارك الحسن الذي كلَّم الله عنده موسى ﷺ، ويُقْسم بالبلد الأمينن وهي مكة، والأمين أي: الآمن الذي حرَّمه الله وحرَّمه الناس، فلا يُعتدي على أحدٍ فيه ولا يُنفر صيده، ولا يعضد شوكه ولا يقطع شجره.

أقسم الله بهذه المواطن، والأمكنة المعظَّمة الثلاثة التي ظهر فيها نوره وهُداه، وهبط فيها وحيه ونزلت فيها كتبه، وهي الشام التي كان بها عيسى عليه السلام، وطور سينين الذي كلَّم الله عنده موسى عليه السلام، والبلد الأمين وهي مكة التي نزل فيها الوحي على رسول الله ﷺ.

أقسم الله بهذه الأماكن المشَرَّفَة الثلاثة على أنه سبحانه خلق الإنسان في أحسن تقويم، أي: في أعدل خلقٍ وأحسن صورةٍ، وقوام واستواء وأتم عقل، وقوة ذاكرة ثم رددناه بعد هذا الحُسن، والاعتدال إلى أرذل العمر، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ وكما قال تعالى: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [يس: 68] وكما قال سبحانه: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ

شَيْـًٔا﴾ [الحج: 5].

وكما قال سبحانه: ﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ [الروم: 54].

فقوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ أي: رددناه إلى أرذل العمر، ومن العلماء من قال: إن المعنى رددناه إلى النار على وجهه في أقبح صورة بعد أن كان في أحسن تقويم، وذلك بسبب كفره، وهل المراد بالإنسان عموم الإنسان أم الإنسان الكافر؟ فعلى القول الثاني المراد بالإنسان الكافر.

أما القول الأول: فقوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ﴾ المراد به عموم الإنسان ويتأتى للآية والتي بعدها تفسيران:

فعلى القول الأول: فالمراد برددناه عموم الإنسان، فالمعنى: لقد خلقنا الإنسان في أحسن صورة وأعدل قوام، وأتم عقل وقوة ذاكرة، وصلنا به إلى ذلك بعد أن كان ضعيفًا في صغره، وبعد أن وصل إلى هذه الحال من الاعتدال وحسن القوام رجع كرة أخرى يُنكس في الخلق كما قال تعالى: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [يس: 68]، فبدأ في الضعف والخور وذهاب العقل شيئًا فشيئًا، وترك العمل شيئًا فشيئًا فينقطع أجره إذ لا عمل صالح يعلمه: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، في حال صحتهم وقوتهم فهم وإن ردوا كسائر الخلق إلى أرذل العمر وانقطعوا عن كثير من العمل الصالح لضعفهم وقلة حيلتهم فأجرهم مازال يكتب لهم غير مقطوع ولا منقوص.

كما قال النبي ﷺ: «إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا»[1].

---

(1) أخرجه البخاري (2996) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ وانظر «المنتخب» لعبد بن حميد (بتحقيقي 533).

فعلى ذلك، فالاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ استثناء منقطع، فالمعنى لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وإن رُدُّوا إلى أرذل العمر لم ينقطع ثواب عملهم.

وعلى القول الثاني: فالمراد بالإنسان الإنسان الكافر، والمعنى ثم رددنا الكافر أسفل سافلين في جهنم، والله أعلم.

أما قوله تعالى: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ﴾: فالمخاطب بالآية لأهل العلم فيه قولان:

أحدهما: أن المخاطب هو الكافر(1)، والمعنى إذا عرفت أيها الإنسان أن الله خلقك في أحسن تقويم، وأنه يردك إلى أرذل العمر وينقلك من حال إلى حال، فما يحملك على التكذيب بالبعث والجزاء، وقد أخبرك به محمد ﷺ بما أوحي إليه.

الثاني: أن المخاطب هو رسول الله ﷺ والمعنى: فمن يقدر يا محمد على تكذيبك بالبعث والجزاء والثواب والعقاب بعد ما بينا قدرتنا في خلقه وتقلبه في الأطوار من طور إلى طور.

وقوله: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ أي: أتقن الحاكمين صُنعًا في كل ما خلق، قاله القرطبي وقال ابن كثير رحمه الله: أما هو أحكم الحاكمين الذي لا يجور ولا يظلم أحدًا.

قلت (مصطفى): وقد ورد حديث أبي هريرة مرفوعًا: **«فإذا قرأ أحدكم والتين والزيتون فأتى على آخرها، فليقل: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين»**(2).

* * *

---

(1) أخرج الطبري بإسناد صحيح عن منصور قال: قلت لمجاهد: (فما يكذبك بعد بالدين) أعني به النبي ﷺ؟ قال معاذ الله: عني به الإنسان.

(2) أسانيده فيها كلام: ففي غسناده رجل مبهم، وقد ورد نحوه عن قتادة مرسلًا، وورد نحوه عن ابن عباس موقوفًا عند الطبراني، وفي إسناده مقال.

سورة العلق

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني مفردات السورة الكريمة

2- ﴿عَلَقٍ﴾: قطعة من دم متماسك.

6- ﴿لَيَطْغَىٰٓ﴾: يتجاوز الحد في الظلم.

7- ﴿أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾: إن رأى نفسه مستغنيًا.

8- ﴿ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾: المرجع والمآب.

15- ﴿لَنَسْفَعًۢا﴾: نجذبنّه بشدة.

15- ﴿بِٱلنَّاصِيَةِ﴾: شعر مقدم الرأس.

17- ﴿نَادِيَهُۥ﴾: أهل مجلسة وأنصاره.

18- ﴿ٱلزَّبَانِيَةَ﴾: ملائكة العذاب.

* * *

تفسير سورة العلق

مطلع هذه السورة الكريمة أول ما نزل من القرآن.

ففي الصحيحين(1) من حديث أم المؤمنين عائشة ڤ قالت: أول ما بُديء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبِّب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنَّث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ فقال: **«ما أنا بقاريء، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ فقلت: ما أنا بقاريء، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني**

---

(1) أخرجه البخاري (3)، ومسلم (160).

الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ فقلت: ما أنا بقاريء فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني» فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ (1).

فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده....

يقول الله سبحانه: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ أي اقرأ القرآن مُفتتحًا باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق وهو جمع علقة، وهي قطعة من الدم المتماسك، سميت بذلك؛ لأنها تعلق – لرطوبتها – بما تمر عليه.

﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ الذي يُعطي بدون مقابل ولا انتظار مقابل.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ يمتن الله عز وجل على الإنسان إذ علَّمه بالقلم، علَّمه كل ما يحتاج إليه، علَّمه أشياء لم يكن يعلمها، فقد أخرجه الله من بطن أمه لا يعلم شيئًا.

كما قال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ **[النحل: 78]**.

ثم إن الله منَّ عليه بتعليمه كل ما يحتاج إليه، ثم بين الله عزَّ وجل حال الإنسان وأنه إذا أنعم عليه وغمره بالنعم أعرض عن طريق الله سبحانه وتعالى (2).

---

(1) في رواية البخاري (4953)، ومسلم (160): ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾

(2) هذا في الغالب، وإلا فهناك من أهل الصلاح قوم أغناهم الله وازدادوا تواضعًا له سبحانه؛ كسليمان ﷺ فقد قال لما رأى عرشه ملكة سبأ مستقرًّا عنده: ﴿هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ وقال لما أفهمه الله لغة النمل: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾.

وقال سبحانه في شأن بعض أهل الصلاح:

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

= وكان من الثلاثة الذين ابتلاهم الله بالمال بعد الفقر رجل أعمى شاكرًا لأنعم الله عليه معترفًا بفضل الله له.

كما قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾: أي إن رأى نفسه مستغنيًا عن الناس بدأ في الطغيان وتجاوز الحد في ظلم العباد، ويدل على ذلك جملة أدلة، فمن ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ **[فصلت: 51]**.

وقوله تعالى: ﴿۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ﴾ **[الشورى: 27]**.

وقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾.

وقوله تعالى: ﴿۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرٞ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةٗ مِّنۡهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ **[الزمر: 8]**.

وقال تعالى: ﴿۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ﴾ **[القصص: 76]**.

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرٞ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلۡنَٰهُ نِعۡمَةٗ مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمِۭۚ بَلۡ هِيَ فِتۡنَةٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ **[الزمر: 49]**.

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ﴾ يبين الله سبحانه وتعالى أن المرجع والمآب إليه سبحانه وتعالى، فلا يغتر هؤلاء المغترون بما آتاهم الله سبحانه وتعالى فإنهم راجعون إليه سبحانه وموقوفون بين يديه.

أما قوله تعالى: ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ۝٩ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ فهذه الآية تحمل معنى التعجب من هذا الظالم المكَذّب المعرض الذي ينهي العبد عن صلاته، مع العلم بأن هذا العبد الذي يُصلي رجل مهتد آمرٌ بالتقوى، فالمعنى: اعجبوا من أمر هذا المفسد المكذِّب المتولي المعرض الذي ينهي المصلين عن صلاتهم، وهذا الذي ينهي

وفرعون لما أغناه الله وملّكه مصر قال: ﴿يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۖ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾.

وقارون لما أنعم الله عليه قال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾.

والأبرص والأقرع لما آتاهم الله مالًا جحدًا نعم الله عليهما.

المصلين عن صلاتهم هو أبو جهل، والآية تعم كل ناهٍ، والمنهي هو محمد ﷺ، والآية تعم كل منهي.

وقد أخرج البخاري(1) من حديث ابن عباس ڤ قال: قال أبو جهل: لئن رأيت محمدًا يُصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه فبلغ النبي ﷺ فقال: **«لو فعل لأخذته الملائكة»**.

وأخرج مسلم(2) من حديث أبي هريرة ڤ قال:

قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجه بين أظهركم؟

قال: فقيل نعم، فقالك واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، ولأعفرن وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي زعم ليطا على رقبته، قال فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه، قال فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقًا من نار وهولًا وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ: **«لو دنا لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا»**، قال فأنزل الله عز وجل لا ندري(3) في حديث أبي هريرة أو شيء بلغه: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ يعني أبا جهل - ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩﴾.

أما قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ﴾: فمعناه والله أعلم أرأيت عبدًا مستقيمًا على استقامةٍ وسدادٍ وهدى من ربَّه عز وجل يأمر الناس بتقوى الله ويأتيه آخر فينهاه عن الصلاة وينهاه عن الاستقامة والسداد، وهذا العبد المهتدي هو محمد ﷺ، أما الذي ينهاه فهو أبو جهل.

---

(1) أخرجه البخاري (4958).

(2) مسلم مع النووي (17/ 139).

(3) لهذا التردد أعلّ بعض أهل العلم هذا الحديث، وصححه فريق منهم لشواهده.

﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ ألم يعلم هذا المجرم الأثيم الذي ينهي العبد المهتدي الآمر بالتقوى والخوف من الله، المحافظ على الصلاة أن الله يراه فينزجر عن نهيه لهذا العبد عن الصلاة وينكف عن أذاه؟!!

﴿كَلَّا﴾ أي: ليس هذا العبد الأثيم على حقٍّ بل هو مبطل.

﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾: لئن لم ينته هذا الأثيم المجرم عن إجرامه، وعن صَدِّه الناس عن الخير وعن نهي العباد عن الصلاة وتهديهم إذا صلوا لنذلنه ولنُهيننه ولنجذبن ناصيته جذبًا شديدًا، تلك الناصية الكاذبة الكاذبة الخاطئة، ناصية الكاذب الخاطيء، لنجذبنها ولنلقينها في النار، كما قال تعالى ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: 41].

فإن كان هذا الفاجر الأثيم صادقًا في ادعائه وأن له أنصارًا فليدع أنصاره وأهل ناديه يدفعون عنه ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ ولكنا نحن ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾: سندع له ملائكة العذاب، وقد أخرج الطبري بإسناد صحيح عن ابن عباس ڤ قال: كان رسول الله ﷺ يُصلي عند المقام فمرَّ به أبو جهل بن هشام فقال: يا محمد ألم أنهك عن هذا؟ وتوعَّده فأغلظ له رسول الله ﷺ وانتهره. فقال: يا محمد أي شيء تهددني أما والله إني لأكثر هذا الوادي ناديًا فأنزل الله: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۝١٧ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾.

قال ابن عباس: لو دعا ناديه أخذته زبانية العذاب من ساعته.

﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩﴾ لا تطع هذا الكافر ولا تُبالِ به، لا تلتفت إلى قوله ولا تبالِ بتهديده، وأقبل إلى ربك فاسجد له واقترب منه، اسجد لربك فأقرب ما يكون العبد من ربِّه وهو ساجد[1]، صلِّ لربك وتقرب إليه بأنواع الطاعات والقربات.

هذا وقد ثبت أن الرسول ﷺ قد سجد في هذه السورة، فقد أخرج مسلم في

---

(1) قال النبي ﷺ: **«أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء»** أخرجه مسلم (4/ 200).

صحيحه من حديث أبي هريرة ﷺ قال: سجدنا مع النبي ﷺ في: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ [الإنشقاق: 1] و ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ (1).

* * *

سورة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني مفرادت السورة الكريمة

1- ﴿ٱلْقَدْرِ﴾: الحُكم والتقدير – الشرف.

4- ﴿تَنَزَّلُ﴾: تهبط من السماء.

4- ﴿وَٱلرُّوحُ﴾: جبريل.

* * *

تفسير سورة القدر

يُخبر الله سبحانه وتعالى أنه أنزل هذا الكتاب العزيز والقرآن المجيد في تلك الليلة المباركة ذات القدر الكبير، والشرف العظيمن ألا وهي ليلة القدر، وقد وصفها الله سبحانه وتعالى بأنها ليلة مباركة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان: 3].

وتلكم الليلة – ليلة القدر – هي التي تقدر فيها وقائع السنة وأمور العامة من الأرزاق والآجال وغير ذلك، كما قال تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: 4].

وقد أُنزل هذا القرآن الكريم من عند الله سبحانه وتعالى إلى السماء الدنيا في هذه الليلة، كما قال ابن عباس ﷺ (2)، في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾: قال: أُنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا فكان بموقع

---

(1) أخرجه مسلم (ص 406) وأبو داود (1407).

(2) أخرجه الطبري بإسناد صحيح عن ابن عباس ﷺ.

النجوم، فكان الله ينزل على رسوله بعضه في إثر بعض، ثم قرأ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾ [الفرقان: 32].

وفي لفظ آخر بإسناد صحيح(1) أيضًا عن ابن عباس قال: نزل القرآن كله جملةً واحدةً في ليلة القدر في رمضان إلى السماء الدنيا، فكان الله إذا أراد أن يحدث في الأرض شيئًا أنزله منه حتى جمعه.

أما متى ليلة القدر؟

فابتداءً فهي في رمضان؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ وقوله تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ [البقرة: 185].

وجمهور العلماء على ذلك، والجمهور أيضًا على أنها في العشر الأواخر من رمضان، وذلك لحديث أبي سعيد الخدري في الصحيحين(2) عن رسول الله ﷺ، فذكر الحديث وفيه: **«... فابتغوها في العشر الأواخر»**.

والجمهور أيضًا على أنها في الوتر من العشر الأواخر؛ لقول النبي ﷺ: **«وابتغوها في كل وتر»**(3)، ولحديث عائشة ڤ أن النبي ﷺ قال: **«تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر»**(4).

والأكثرون(5) أيضًا على أنها في ليلة السابع والعشرين من رمضان؛ لحديث أُبَيّ ابن كعب في صحيح مسلم بذلك، لكنه لم يحصل إجماع على تحديد ليلة القدر بالضبط، أي ليلة هي؟ قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري(6): **«وقد اختلف العلماء في ليلة القدر اختلافًا كثيرًا، وتحصل لنا من مذاهبهم في ذلك**

---

(1) هو عند الطبري كذلك.

(2) أخرجه البخاري (2018)، ومسلم (1167).

(3) أخرجه البخاري (2018)، ومسلم (1167) من حديث أبي سعيد الخدري أيضًا.

(4) أخرجه البخاري (2017).

(5) نقله عنهم عدد من العلماء منهم القرطبي رحمه الله تعالى.

(6) الفتح (4/ 309).

أكثر من أربعين قولًا، كما وقع لنا نظير ذلك في ساعة الجمعة، وقد اشتركتا في إخفاء كل منهما ليقع الجد في طلبهما».

ثم ذكر الحافظ رحمه الله تعالى أقوال أهل العلم في ذلك وأدلتهم على ما ذهبوا إليه، فليرجع إليه من شاء.

ويستحب أن يدعو الشخص في ليلة القدر فيقول:

«اللهم إنك عفوٌّ تحب العفو فاعف عني».

وذلك لما صح عن أم المؤمنين عائشة ڤ[1] أنها قالت: يا رسول الله أرأيت إذا وافقت ليلة القدر ما أدعو؟ قال: **«تقولين: اللهم إنك عفوٌّ تحب العفو فاعف عني».**

هذا وقد ذكرت لهذه الليلة الكريمة في هذه السورة جملة فضائل فمن ذلك ما يلي:

الفضيلة الأولى: أن الله سبحانه وتعالى أنزل هذه السورة باسم هذه الليلة تفخيمًا وتعظيمًا لشأنها، ثم عظَّم شأنها أيضًا بقوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾ وصفها في آية أخرى بأنها ليلة مباركة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ﴾.

الفضيلة الثانية: أن العبادة فيها خيرٌ من العبادة في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر.

الفضيلة الثالثة: أن الملائكة ومعهم جبريل يتنزلون في هذه الليلة.

الفضيلة الرابعة: أن الأمن والسلام يحل في هذه الليلة على أهل الإيمان، وتسليم الملائكة يتوالى عليهم فيها.

الفضيلة الخامسة: أن من قام هذه الليلة إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من

---

(1) أخرجه أحمد (6/ 171، 172)، والترمذي (9/ 495 مع التحفة) وقال: حسن صحيح، والنسائي(عمل اليوم والليلة حديث 873)، وابن ماجه (3850) وإسناده صحيح، وقد قال بعض العلماء: عن ابن بريدة لم يسمع من عائشة.

ذنبه، كما صح ذلك عن النبي ﷺ، ففي الصحيح(1) من حديث أبي هريرة ڤ عن النبي ﷺ قال: **«من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه»**.

وقوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾: فيفيد أن نزول الملائكة من السماء إلى الأرض في هذه الليلة – بل وفي كل ليلة – يكون بإذن ربهم عز وجل.

أما الروح فلأهل العلم في تأويله أقوال، أصحها – والله أعلم – أنه جبريل، وذلك لقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشعراء: 193].

أما قوله تعالى: ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ فله معنيان:

أحدهما: أن معنى الآية الكريمة مرتبط بما قبله، فالمعنى تنزل الملائكة والروح في هذه الليلة بإذن ربهم بكل أمر قضاه الله وقدَّره في هذه السنة، كما قال تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: 4].

فقوله: ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ معناه: بكل أمر، فـ (من) بمعنى (الباء).

الثاني: أن معنى الآية مرتبط بما بعده، والمعنى من كل أمر وشر هي سالمة، أي: إن ليلة القدر آمنة من كل شرٍّ وكل مكروه، ففيها تتنزل الرحمات، وتحل البركات، وتغشى السكينات، فهي خير كلها على المؤمنين، تتنزل الملائكة تسلم عليهم حتى مطلع الفجر. والله أعلم.

أما قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾: فله معنيان:

أحدهما: أن الآية مرتبطة في تفسيرها بما قبلها، فقوله: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ معناه أن الملائكة تتنزل بالسلام ومنه التحية والتسليم، ومنه الأمن والسلامة، ثم بيَّن وقت انتهائها بقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾: **وقال آخرون:** إن قوله: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ مرتبط ببعضه، فالمعنى إنها سالمة آمنة من أولها حتى مطلع الفجر.

---

(1) أخرجه البخاري (2014).

وقوله: ﴿مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ أي: طلوع الفجر.

* * *

سورة البينة

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني مفردات السورة الكريمة

1- ﴿مُنفَكِّينَ﴾: منتهين عن ما هم فيه.

1- ﴿ٱلْبَيِّنَةُ﴾: القرآن وقيل محمد ﷺ.

3- ﴿قَيِّمَةٌ﴾: عادلة مستقيمة.

5- ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: مفردين له الطاعة.

5- ﴿حُنَفَآءَ﴾: مائلين عن الشرك إلى التوحيد.

5- ﴿دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾: دين الملة القيمة.

7- ﴿ٱلْبَرِيَّةِ﴾: الخلق.

* * *

تفسير سورة البينة

يسوق المفسرون عند تفسير هذه السورة الكريمة منقبة وفضيلة للصحابي الجليل أُبيَّ بن كعب ﷺ، فقد أمر الله نبيه ﷺ أن يقرأ هذه السورة الكريمة على هذا الصحابي الجليل، ففي الصحيحين(1) من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لأُبي بن كعب: **«إن الله أمرني أن أقرأ عليك** ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

قال: وسمَّاني؟ قال: «نعم» فبكى.

يقول الله سبحانه: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾:

---

(1) أخرجه البخاري (حديث 3809) ومسلم (799).

معنى الآية الكريمة، والله أعلم: لم يكن هؤلاء الكفار من أهل الكتاب الذين هم اليهود والنصارى، فاليهود أهل كتاب وهو التوراة والنصارى أهل كتابٍ وهو الإنجيل، لم يكن هؤلاء الكفار من اليهود والنصارى، والمشركين الذين هم عبدة الأوثان بتاركي ما هم عليه من الكفر، وبمنتهين عنه حتى يأتيهم كتاب من عند الله.

وقول آخر: لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب – وهم المشركون – منفين أي تاركين صفة محمد ﷺ التي في كتابهم حتى بعث فلما بعث تفرقوا، فالمعنى – على هذا التأويل – أنهم كانوا متمسكين بصفة محمد ﷺ الموجودة عندهم في التوراة والإنجيل فلما بُعث وفيه هذه الصفة تفرقوا.

وبصياغة ثانية: لم يكن الذين كفروا من اليهود والنصارى الذين هم أهل شرك مفترقين ولا مختلفين في صفة محمد ﷺ حتى تأتيهم البينة، وهي إرسال الله سبحانه وتعالى محمدًا رسولًا.

ومعنى ثالث: لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين متروكين هَمْلًا وسُدى بدون إرسال رسول إليهم بل لابد لهم من رسول، والآية على هذا التأويل كقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ **[القيامة: 36]**.

أي هملًا لا يُؤمر ولا يُنهى.

وكقوله تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ **[الزخرف: 4]**.

أي هل نترك إنزال الذكر لأجل إسرافكم ونعرض عن إرسال الرسل لذلك؟! فالمشركون هم عبدة الأوثان، وأهل الكتاب هم اليهود والنصارى، والكتاب هو التوراة والإنجيل، ومنفكين أي: تاركين ومنتهين عما هم فيه أو متروكين.

والبينة هي رسول الله ﷺ، أما الصحف المطهرة فهي القرآن، وهي صحف

مطهرة من اللغو والباطل، وهذه الصحفة المطهرة فيها كتبٌ قيمة، أي عادلة مستقيمة ليس فيها خطأ.

أما قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾: فيفيد أن أهل الكتاب كانوا متفقين على صفة محمد ﷺ ونعته لم يختلفوا في ذلك حتى بُعث رسول الله ﷺ، فلما بُعث عليه الصلاة والسلام كذَّبوه، وكفروا به وجحدوا نبوته عليه الصلاة والسلام.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾: يُفيد أن أهل الكتاب هؤلاء الذين هم اليهود والنصارى ما أمروا في الكتب التي أُنزلت إليهم (وهي التوراة والإنجيل)، بشركٍ ولا بكفرٍ، إنما أمروا أن يعبدوا الله مقرّين له بالطاعة دون من سواه لا يخلطون طاعة ربهم بشرك، أُمروا أن يعبدوا الله حنفاء، أي: مائلين عن الشرك إلى التوحيدن وهذا التوحيد هو دين الملة القيّمَة العادلة المستقيمة، ثم بَيَّنَ الله سبحانه وتعالى أن الذين كفروا من أهل الكتاب هم شر الخلق، وأن مأواهم النار، فقال سبحانه:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾.

وكما قال سبحانه: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ **[الأنفال: 55]**.

أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم خير خلق الله ومأواهم الجنان.

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾: فقد صدقوا لطاعتهم له، ولا متثالهم أمره، وتوحيدهم وعبادتهم له وحده لا شريك له، وقد رضوا هم الآخرون بما أعطاهم الله من الثواب وجميل الجزاء والعطاء على ما صنعوا في الدنيا.

* * *

سورة الزلزلة

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني مفردات السورة الكريمة

2- ﴿أَثْقَالَهَا﴾: كنوزها – الموتى.

6- ﴿يَصْدُرُ﴾: يرجع.

6- ﴿أَشْتَاتًا﴾: متفرقين.

7- ﴿ذَرَّةٍ﴾: ذرة التراب.نملة صغيرة حمراء.

* * *

تفسير سورة الزلزلة

تقَدم أن ذكر البعث والحساب والجزاء يُكرر في كتاب الله عز وجل ويُؤكد بأساليب متنوعة وأن الله سبحانه يصرف الآيات للناس في هذا القرآن لتأكيد حقيقة البعث كما سلف وأوردنا القول عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: 1- 14].

وفي قوله: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار: 1- 5].

إلى غير ذلك من الآيات.

وفي هذه الآيات التي بين أيدينا يُؤكد نفس المعنى، ألا وهو إثبات البعث والجزاء والحساب فيقول سبحانه: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ

ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: 1- 8].

أما الزلزلة فهي معروفة وهي الحركة الشديدة السريعة للأرض.

أما متى هذه الزلزلة المذكورة في هذه السورة؟ فمن العلماء من ذهب إلى أن هذه الزلزلة في الدنيا وهي من أشراط الساعة، واستدل لهذا القول بما أخرجه مسلم(1) في صحيحة من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول: في هذا قُتلت ويجيء القاطع فيقول: في هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول: في هذا قطعت يدي، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئًا»**.

ومن أهل العلم من قال: إن هذه الزلزلة زلزلة يوم القيامة.

وذلك لقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾.

وعلى هذا القول الأخير يمكن توجيه قوله عليه الصلاة والسلام: **«تقيء الأرض أفلاذ كبدها»**.

بأن ذلك قريب الساعة، فمن أشراط الساعة كثرة الزلازل، ولا يستلزم أن يقع مع زلزلة الساعة، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ أي: ما فيها من الكنوز والمعادن، وما فيها من الأموات.

﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا﴾: أي: قال الإنسان متعجبًا من أحوالها مالها؟ أي: ماذا حدث للأرض؟!! وماذا جرى لها؟!! فحينئذ تجيب الأرض بلسان الحال قائلة: إن الذي حدث لها من الزلزلة وإخراج الأثقال قد حدث لها بأمر الله عز وجل وبوحيه، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾.

وتجيب بلسان المقال كذلك، فإذا سأل الإنسان سؤاله (مالها؟) أجابته قائلة: إن الله أمرني بهذا وأوحى إليَّ به وأذن لي فيه، وتُخبر أن أمر الدنيا قد انتهى،

---

(1)

وتخبر الأرض أيضًا بما جرى عليها من خير أو شر وفي هذه الأثناء:

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ أي: يرجعون من قبورهم متفرقين ليروا أعمالهم التي عملوها في الدنيا ويحاسبون عليها ويُجازون بها، ويرجعون من موضع الحساب إلى الجنة أو إلى النار، يرجعون وبعضهم آمن وبعضهم خائف، بعضهم قد تلقى كتابه بيمنه يقول:

﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَـٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَـٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: 19، 20].

وبعضهم تلقى الكتاب بشماله يقول: ﴿يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَـٰنِيَهْ﴾ [الحاقة: 25- 29].

يرجعون من موقف الحساب بعضهم أبيض الوجه وبعضهم أسود، بعضهم ينصرف إلى جهة اليمين وبعضهم سار في درب أصحاب الشمال إلى غير ذلك من أنواع الفرقة بين أهل اليمين وأهل الشمال، كما قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الروم: 43، 44].

وكما قال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ [الروم: 14].

وقوله تعالى: ﴿﴾ أي: ليروا جزاء أعمالهم من ثواب أو عقاب.

الثاني: أن الناس يصدرون من قبورهم إلى موقف الحساب ليروا أعمالهم التي عملوها في دنياهم ويحاسبون عليها، والله أعلم.

﴿لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ فيرى الإنسان حينئذ الأعمال التي عملها في الدنيا صغيرها وكبيرها كما قال الله تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: 49].

حتى مثاقيل الذرَّات من الخير والشر يراها الإنسان، أما الكافر فهل يرى مثاقيل الذارت من الخير الذي عمله؟! وهل يرى المؤمنون مثاقيل ذرات الشر

التي عملوها في الدنيا؟

فمن أهل العلم من قال بذلك، فقال: إن الكافر يرى أعمل الخير التي عملها في الدنيا، لكنها تحبط ويذهب ثوابها ويغطي عليها شركهم وكفرهم بالله عز وجل كما قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: 23].

وكما قال سبحانه: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾ [إبراهيم: 18]، وكما قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الزمر: 65].

والمؤمن كذلك يرى مثاقيل ذرات الشر التي عملها، لكن يغفرها الله سبحانه وتعالى له – إذا أراد – كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ ﴾ [النساء: 116].

وثمَّ قول آخر، ألا وهو: أن الكافر ينال جزاء حسناته في الدنيا، فإذا جاء يوم القيامة لم يكن له حسنات، والمؤمن يُكفر عنه من سيئاته بما يصيبه من بلاء في الدنيا، وفي الآخرة يستره الله سبحانه وتعالى، وإذا أراد الله سبحانه للمؤمن عذابًا في الآخرة لكبائر اقترافها عذَّبه ربُّه ثم أخرجه من النار إلى الجنة، كما وردت الأحاديث بذلك.

* * *

سورة العاديات

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني مفردات السورة الكريمة

1- ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾: الخيل تعدو نحو العدو.

1- ﴿ضَبْحًا﴾: الضبح صوت النفس – حمحمة.

2- ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾: الخيل توري (توقد) النار بحوافرها عند الجري مستخرجةً الشرر والنار.

3- ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ﴾: الخيل المغيرة على العدو.

3- ﴿صُبْحًا﴾: صباحًا.

4- ﴿فَأَثَرْنَ﴾: رفعن.

4- ﴿نَقْعًا﴾: ترابًا وغبارًا.

5- ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ﴾: توسطن براكبهن.

5- ﴿جَمْعًا﴾: جموع العدو.

6- ﴿لَكَنُودٌ﴾: كفور – جحود للنعم.

8- ﴿ٱلْخَيْرِ﴾: المال.

9- ﴿بُعْثِرَ﴾: أُثير واستخرج.

10- ﴿وَحُصِّلَ﴾: مُيِّز وبُيِّن.

* * *

تفسير سورة العاديات

قوله سبحانه: ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا﴾ الواو واو القسم، فيُقْسم الله سبحانه وتعالى بالعاديات وهي الخيول التي تعدو (أي تجري بسرعة) نحو العدو في المعارك والغزوات حتى تضبح أي تتنفس بشدة حتى يُسمع لأنفاسها صوت عند جريها وحتى تُسمع حمحمتها.

أما قوله تعالى: ﴿فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا﴾ فهي الخيول التي تجري وتُوري النار (أي توقد النار) بحوافرها عند الجري إذا أصابت بحوافرها الحجارة فيخرج منها الشرر، فالقدح هو الاستخراج، والمراد به استخراج النيران من الأحجار عند احتكاك حوافر الخيل بها.

أما قوله: ﴿فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا﴾ فهي الخيل التي تعدو على العدو صباحًا.

وقوله: ﴿فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا﴾ أي: إن الخيول أثارت براكبها الذي عليها النقع وهو الغبار.

وقوله: ﴿فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا﴾ أي: إن الخيل توسطت براكبها جموع العدو، فيُقْسم الله بالخيول أثناء جريها السريع حتى تُسمع لها حمحمة، وحتى يخرج منها النَّفَس بشدة، وتوقد النار بحوافرها عند جريها، وتُغير على العدو صباحًا وتثير الغبار، وتتوسط براكبها جموع العدو، يقسم بهذه العاديات على: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ﴾ أي: لكفور جحود لنِعَم الله عليه، يذكر المصائب وينسى النعم فتصرفه، وقوله وفعله يشهد عليه أنه كفور لنعم الله، فهو لا يشكر الله ولا يعبده حق عبادته، ولا يرد الفضل إليه سبحانه وتعالى، ولا يقابل الإحسان بالطاعات والمعروف، وهذا كما قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ﴾ [التوبة: 17].

فعدم عمارتهم لمساجد الله شهادة منهم على أنفسهم بالكفر.

فقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ﴾ أي: إن لسان حال العبد وتصرفه يشهد عليه

وعلى كفرانه، وأيضًا ربُّه شهيدٌ عليه وعلى كفرانه للنِّعم.

وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ يفيد أن هذا الإنسان شديد المحبة للمال، كما قال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: 20].

﴿۞ أَفَلَا يَعْلَمُ﴾ هذا الإنسان الكفور الجحود لنعم الله عليه أن الله به وبأعماله خبير وسينبئه بعمله يوم القيامة: ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾ أي: استُخرج ما فيها من الموتى: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ أي مُيِّز وبُيِّن وجمع وظهر ما في الصدور.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ أي: يوم القيامة وسينبئهم بما عملوا.

* * *

سورة القارعة

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني مفردات السورة الكريمة

1- ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾: القيامة – الساعة.

4- ﴿ٱلْمَبْثُوثِ﴾: المتفرق المنتشر.

5- ﴿كَٱلْعِهْنِ﴾: الصوف – الصوف الملون.

5- ﴿ٱلْمَنفُوشِ﴾: المنتفش بعضه عن بعض.

7- ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾: عيشة رضيها صاحبها.

* * *

تفسير سورة القارعة

يُذكِّر الله عز وجل عباده بيوم القيامة وببعض الأمور العظيمة التي تحدث فيه، فيقول سبحانه: ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾ أي: القيامة والساعة التي تقرع قلوب الناس وهولها ويُفزع الناس كربها، تلك القارعة ذات الصوت الشديد الهائل المزعج، فعندها تنشق السماء وتنفطر، وتنكدر النجوم وتتناثر، وتزلزل الأرض وتُرج، وتُسير الجبال وتُدرك، وتُفجر البحار وتُسجر.

﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ﴾ ومن الذي أدراك عن القارعة، إن شأنها لعظيم وإن هولها لفظيع، وإن كربها لشديد: ﴿ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ﴾ المتفرق المنتشر لانتشارهم وتفرقهم وحيرتهم.

﴿وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ﴾ أي: كالصوف الملون المنتفش، فالجبال الآن كما قال الله سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ﴾ [فاطر: 27].

ثم إن الله سبحانه وتعالى يفرّق أجزاءها ويزيل التآلف والتماسك الذي كان بينها، فيصير ذلك مشابهًا للصوف الملون بالألوان المختلفة إذا جعل منفوشًا.

فحينئذ تنصب الموازين ويؤتي بالأعمال خيرها وشرها، كما قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ [الأنبياء: 47].

فتوضع الحسنات في كفة والسيئات في الكفة الأخرى.

﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ﴾ أي: من ثقلت كفة حسناته فهو في عيشة راضية أي: عيشة مرضية قد رضيها صاحبها في الجنة.

﴿وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ﴾ أي: ومن خفَّت موازين حسناته وزادت عليها كفة السيئات.

﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ﴾ أي: فمسكنه النار يهوى بأم رأسه فيها.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ﴾ أي: وما أدراك عن هذه الهاوية وعن شأنها إنها نارٌ حامية.

وقد وردت أحاديث تدل على عظمتها وشدتها وخطورتها، فمن ذلك: ما أخرجه البخاري ومسلم(1)، ومن حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«اشتكت النار إلى ربها فقالت: رب أكل بعضي بعضًا فأذن لها بنفسين، نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون من الحر وأشد ما تجدون من**

(1) البخاري (3260)، ومسلم (617) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا.

الزمهرير».

ومن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم(1) أيضًا من حديث أبي هريرة ڤ أن رسول الله ﷺ: **«ناركم جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم»**، قيل: يا رسول الله إن كانت لكافية، قال: **«فُضِّلَت عليها بتسعة وستين جزءًا كلهن مثلُ حرِّها».**

وأخرج مسلم(2) من حديث أبي هريرة ڤ قال: كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبةً(3) فقال النبي ﷺ: **«تدرون ما هذا؟»** قال: قلنا الله ورسوله أعلم.

قال: **«هذا حجر رُمي به في النار منذ سبعين خريفًا فهو يهوى في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها».**

وقد تقدم حديث ابن مسعود عند مسلم(4).

قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتي بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها».

* * *

---

(1) أخرجه البخاري (3265)، ومسلم (2843).

(2) أخرجه مسلم (2844).

(3) وجبه: أي سقطة.

(4) أخرجه مسلم (2842)، وتقدم الكلام عليه في سورة الفجر.

سورة التكاثر

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني مفردات السورة الكريمة

1- ﴿أَلۡهَىٰكُمُ﴾: شغلكم – صرفكم.

1- ﴿ٱلتَّكَاثُرُ﴾: المكاثرة بالمال والولد.

5- ﴿عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ﴾: علمًا يقينيًّا.

7- ﴿عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ﴾: يقينًا بأعينكم.

* * *

تفسير سورة التكاثر

يُحذر الله سبحانه وتعالى عباده من التكالب على هذه الحياة الدنيا والتباهي بزخرفها وبما فيها، فيقول سبحانه: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ﴾ أي شغلكم وصرفكم وحملكم على التباهي.

﴿ٱلتَّكَاثُرُ﴾: أي المكاثرة بالمال والولد والجاه والأنصار والخَدَم والعبيد وأنواع الطعام، وسائر الشهوات الفانية، وكذلك قولكم نحن أكثر من بني فلان وبني فلان مالًا وجاهًا، شغلكم هذا التكاثر وصرفكم وألهاكم عن عبادة ربكم، وعن تعلم ما ينفعكم في أُخراكم، وعن العمل للآخرة، واستمر بكم هذا الانشغال.

وقد روى مسلم (1) من حديث عبد الله بن الشخير ﷺ قال: أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ قال: **«يقول ابن آدم: ما لي مالي، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؟!»**.

استمر بكم هذا التباهي والانشغال بالتكاثر حتى جاءكم الأجل ووافاكم الموت وحُملتم إلى القبور ودُفنتم فيها، تمادى بكم التباهي أيضًا بالأشخاص

---

(1) مسلم (2958).

الذين ماتوا حتى عددتم من مات منكم وقلت: مات منا فلان ومات منا فلان، وذهبتم إلى القبور تتباهون بكثرة الأموات، وعبَّرَ عن الموت بقوله: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ لأن الأموات في القبور كالزائرين لها ثم يرجعون بعد ذلك إلى منازلهم في الجنان أو النيران، فليست القبور لهم بدار استقرار ولابقاء، إنما هم فيها زوَّار، ثم يتجهون إلى دار القرار من جنةٍ أو نارٍ.

﴿كَلَّا﴾ أي: ما كان ينبغي أن تنشغلوا عن أُخراكم، وما كان ينبغي أن تتباهوا بحطام الدنيا الفاني، وما كان ينبغي أن تُقبلوا على الدنيا وتتركوا الآخرة:

﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أي: سوف تعلمون نتيجة عملكم ونتيجة تكاثركم في الدنيا وتباهيكم فيها وإقبالكم عليها وإعراضكم عن الآخرة.

﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ لتأكيد ما سبق، أي: ستعلمون ما ذكرناه لكم وستتأكدون من ذلك، ستعلمون ذلك عند نزول الموت بكم وستعلمون ذلك في قبوركم وعند قيامكم يوم القيامة كذلك، ﴿كَلَّا﴾ أي: ليس الأمر كما تزعمون من أنكم ستتركون هملًا بلا بعثٍ ولا حساب ولا ثواب ولا عقاب.

﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ أي: لو تعلمون علمًا يقينيًّا ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾ اعلموا أنكم سترون النار.

﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ أي ستشاهدونها بأعينكم.

فمراتب العلم ثلاثة:

عِلْمَ اليَقِينِ، وعَيْنَ اليَقِينِ، وحق اليقين.

أما علم اليقين: فأن تعلم علمًا يقينيًّا أن هناك نار ويتأتى هذا العلم بالأدلة.

أما عَيْنَ اليَقِينِ: فأن ترى هذه النار بعينيك ويتأتي هذا العلم بالمشاهدة.

وأما حق اليقين: فأن تحسها وتدخلها، ويتأتى هذا العلم بالملابسة والمخالطة.

وكما ضُرب لذلك مثل آخر، فتأتي الأدلة والنقولات على أن هناك كعبة،

فالعلم بالكعبة وجهتها على يقين، فإذا رآها الشخص فهو عين اليقين، فإذا دخلها الشخص وكان في جوفها فهو حق اليقين.

لترون جميعًا أيها الناس الجحيم، لكنها للمؤمن ممرٌّ وللكافرين مقر، كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: 71، 72].

ومن العلماء من قال إن الذين يرونها هم الذين ألهاهم التكاثر وهم الكفار.

وقوله: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ فهؤلاء الذين ألهاهم التكاثر سيسألون يوم القيامة عما متعهم الله به من الأموال والبنين والخدم والحشم والجاه والعبيد، وعموم الخلق أيضًا سيسألون عن النعيم بدليل ما أخرجه مسلم(1) من حديث أبي هريرة ڤ، وفيه أن النبي ﷺ قال لأبي بكر وعمر: **«والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة»**.

أما النعيم الذي سيسأل عنه العبد فهو عموم النعم التي أنعم الله بها عليه. فَيُسأل عن نعمة الطعام والشراب، كما ورد في حديث رسول الله ﷺ مع أبي بكر وعمر.

ويُسأل عن الصحة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾

---

(1) مسلم (2038) من حديث أبي هريرة ڤ قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة، فإذا هو بأبي بكر وعمر فقال: **«ما أخرجما من بيوتكما هذه الساعة»**، قالا: الجوع يا رسول الله. قال: **«وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما، قوموا»** فقاموا معه فأتي رجلًا من الأنصار، فإذا هو ليس في بيته، فلما رأته المرأة قالت: مرحبًا وأهلًا، فقال لها رسول الله ﷺ: **«أين فلان»**، قالت: ذهب يستعذب لنا من الماء، إذ جاء الأنصاري، فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه ثم قال: الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافًا منّي، قال: فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسرٌ وتمرٌ ورطب فقال: كلوا من هذه وأخذ المُدية فقال له رسول الله ﷺ: **«إياك والحلوب»** فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا، فلما أن شبعوا ورووا، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: **«والذي نفسي بيده لتُسألن عن هذا النعيم يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم»**.

[الإسراء: 36].

وكما قال عليه الصلاة والسلام:

«نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ»(1).

ويُسأل عن نعمة الأمن، كما قال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: 3- 4].

وكما قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ [المائدة: 11].

ويُسأل عن نعمة المال والجاه والسلطان والزوجات والولدان والعمران.

ويُسأل عن سائر النعم، كنعمة العلم ونعمة العقل وعموم النعم، وقد ذكر القرطبي عشرة أقوال في هذا الباب، واختار القول بأن المسؤول عنه عموم النعم، قال: لأن اللفظ يعم، والله أعلم.

* * *

(1) البخاري (6049) [* المدية: السكين].

سورة العصر

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني مفردات السورة الكريمة

1- ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾: الدهر – وقت العصر.

2- ﴿خُسۡرٍ﴾: هلكة ونقصان.

* * *

تفسير سورة العصر

يُقسم الله سبحانه وتعالى بالعصر، وهو الدهر والزمان الذي تقع فيه حركات بني آدم، هذا العصر وما يحصل فيه من الأعاجيب من السراء والضراء والصحة والمرض والفقر والغنى واليسر والشدة وغير ذلك.

ومن العلماء من قال:

إنه وقت العصر المعروف، أي: وقت صلاة العصر، فأقسم الله بالعصر كما أقسم بالضحى وكما أقسم بالليل.

يُقسم الله سبحانه على:

﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾

أي: في هلكة ونقصان وخسار وذلك في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا كل يوم يمر عليه يقربه من أَجَلِهِ ويَقُرِّبه من الكبر والهرم، ومن ثمّ فحاله كما قال تعالى: ﴿وَمَن نُّعَمِّرۡهُ نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِۚ﴾ [يس: 68].

أما في الآخرة: فلا شك أن هذا الإنسان في ضياع وهلاك وخسار وعذاب، عموم الإنسان في هذا الخسار والنقص: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾.

فالنجاة من هذه الخسارة متعلقة بأمور أربعة: الإيمان (بكل أركانه)، وعمل

الصالحات، والتواصي بالحق (أي: وصية بعضهم بعضًا باتباع الحق والثبات عليه)، والتواصي بالصبر، فهي أربعة إذن:

إيمان، وعمل صالح، وتواصي بالحق، وتواصي بالصبر، هذا ولما كان الإيمان بالله وعمل الصالحات ونشر الخير والتواصي بالحق يعقبه ابتلاء، والابتلاء يلزمه صبرٌ، جاء الحث على التواصي بالصبر، في قوله تعالى:

﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ أي: إن هؤلاء الذين آمنوا بالله وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق، أوصى بعضهم بعضًا أيضًا بالصبر على ما يصيبهم من بلاء في سبيل ما اعتقدوه وما عملوه من عمل صالح، وأوصى بعضهم بعضًا أيضًا بالصبر على أقدار الله عز وجل، ونحو ذلك قول لقمان لابنه:

﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ **[لقمان: 13]**.

﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ **[لقمان: 17]**.

فغالبًا اتباع الحق يتبعه بلاء فمن ثمَّ يلزم الصبر، والله أعلم.

* * *

سورة الهمزة

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني مفردات السورة الكريمة

1- ﴿هُمَزَةٍ﴾: عيابٍ بلسانه.

1- ﴿لُّمَزَةٍ﴾: عياب الناس بفعله.

3- ﴿أَخۡلَدَهُۥٓ﴾: جعله يخلد في الدنيا.

4- ﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾: ليُقذن – ليُطرحن.

7- ﴿تَطَّلِعُ﴾: تصعد – يطلع ألمها.

7- ﴿ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ﴾: القلوب.

9- ﴿عَمَدٖ﴾:أوتاد الأطباق التي تطبق على أهل النار (كالمفصلات).

* * *

تفسير سورة الهمزة

قوله تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾ يُخبر الله عزَّ وجل عما أعدَّه من الويل، وهو العذاب الشديد والهلاك لهذا الهمَّاز اللمَّاز الذي يهمز الناس ويعيبهم وينتقصهم بلسانه،ويلمزهم ويعيبهم بأفعاله وإشاراته، وهذا الإخبار يحمل معنى الوعيد الشديد والتهديد الأكيد لهذا الهماز واللماز.

﴿ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ﴾ أي: هذا الهمَّاز اللمَّاز الذي انشغل بجمع المال وأضاع وقته في إحصائه وتعداده، وتلذذ بإحصائه وتعداده ولم ينفعه في سبيل الله، هذا الهمَّاز اللمَّاز الذي حمله ماله وغناه على السخرية من الناس وازدرائهم كما هو حال أكثر الناس الذين ابتعدوا عن طريق الله سبحانه وتعالى، تحملهم ثرواتهم وغناهم على السخرية من الناس واحتقارهم، كما قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾ [العلق: 6، 7] كما قال سبحانه: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ [فصلت: 51].

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾ أيحسب هذا الهمَّاز اللمَّاز أن ماله الذي جمعه وبخل بإنفاقه سيجعله يخلد في الدنيا ويعيش بلا موت؟!

﴿كَلَّاۖ﴾ أي ليس الأمر كما يظن هذا الهمَّاز اللمَّاز من أن ماله سيكون سببًا في خلوده في الدنيا، ﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلْحُطَمَةِ﴾ أي لَيُطرحن صاحب هذا المال في (الحطمة) وهي النار، ولينبذن ماله أيضًا معه في النار، كما قال تعالى: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ﴾ [آل عمران: 180].

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾ وهل تدري ما الحطمة، وما قدر عظمها وشدة هولها؟ إنها ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ يطلع ويرتفع ألمها ووهجها ولهيبها وحرها ﴿عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ أي: على القلوب، فقد احترقت الأبدان بهذه النيران، ثم اتجهت هذه النيران إلى القلوب كذلك فأحرقتها، قال بعض العلماء: وخصَّ الأفئدة بالذكر مع كونها تغشي جميع أبدانهم؛ لأنها محل العقائد الزائغة والنيات الخبيثة ومنشأ الأعمال السيئة، وقيل: المعنى أنها تعلم بمقدار ما يستحقه كل واحدٍ من العذاب، وذلك بأمارات عرفها الله بها.

ثم إن هذه النار مغلقة على أهلها كما قال سبحانه: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ فهي مغلقة على أهلها مطبقة عليهم.

أما قوله تعالى: ﴿عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ فمن العلماء من قال: إن ﴿فِي﴾ هنا بمعنى الباء فالمعنى بعمد ممدة، والعمد جمع عمود، والممدد هو الطويل، فالمعنى: إنها (أي النار) على أهلها مؤصدة (أي: مغلقة مطبقة) بأعمدة طويلة.

أو أن النار أغلقت عليهم وأطبقت ثم أُحكم قفلها بأعمدة طويلة ونحو هذا يفعله أصحاب بعض المحلات في دنياهم، فبعد أن يغلقوا الأبواب بالمفاتيح يحكمون الغلق بأعمدة حديدية مستعرضة لحماية الأبواب من اللصوص.

وقال ابن الجوزي في «زاد المسير» قال المفسرون: وهي أوتاد الأطباق التي تطبق على أهل النار، و(في) بمعنى الباء، والمعنى مطبقة بعمد.

وقول آخر: إن أهل الكفر موضوعون في أعمدة ممددة، أي: داخل أعمدة طويلة داخل النار.

ومن العلماء من قال: إنهم موضوعون في أعمدة طويلة وقد مُدَّت هذه الأعمدة حتى سُدت بها أبواب النار، والعياذ بالله.

ومنهم من قال: إن النار عليهم مغلقة، ومع كونها مغلقة عليهم فَهُم مربطون (موثَّقُون) في أعمدة داخل النار، ولتقريب الفهم: فقد يكون الرجل سجينًا في الدنيا داخل غرفة فالغرفة مغلقة عليه من الخارج، وهو بداخلها أيضًا مقيد في أوتاد وفي أعمدة، فهي قيود من بعد قيود وسجون داخل سجون، أجارنا الله منها.

* * *

سورة الفيل

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني مفردات السورة الكريمة

2- ﴿كَيْدَهُمْ﴾: مكرهم – تدبيرهم.

2- ﴿تَضْلِيلٍ﴾: تضييع وهلاك وإبطال.

2- ﴿أَبَابِيلَ﴾: جماعات – فرق متتابعة.

2- ﴿سِجِّيلٍ﴾: طين متحجر.

2- ﴿كَعَصْفٍ﴾: تبن.

2- ﴿مَّأْكُولٍ﴾: أُكل منه وأصبح روثًا.

* * *

تفسير سورة الفيل

يبين الله سبحانه وتعالى عقوبة الظلم والظالمين، ويلفت نظر العباد إليها حتى يحذروا الظلم وعاقبته، ويبين سبحانه قدرته على الانتقام ممن خالف أمره واستطال على عباده وحاول انتهاك حرمة بيته، فيقول سبحانه.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أي ألم تعلم، وألم يأتك خبر ما حدث لأصحاب الفيل؟!!

هؤلاء الظلمة الذين أتوا بالفيل من بلادهم كي يدمروا الكعبة، ويخربوا بيت الله الحرام ويصرفوا وجوه الناس إلى بلادهم.

أما قصة هؤلاء القوم: وما حل بهم فقد نقلها كثير من المفسرين وأهل السير بأسانيد فيها ضعف، ولكنهم تلقفوها وتلقوها بالقبول، وذكرها ابن إسحاق في السيرة فقال: أن أبرهة بني كنيسة بصنعاء وكان نصرانيًّا، فسماها القُلَيْس، لم يُر مثلها في زمانها بشيء من الأرض، وكتب إلى النجاشي ملك الحبشة: إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يُبن مثلها لملك كان قبلك، ولستُ بمُنته حتى أصرف إليها حج العرب، فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك للنجاشين غضب رجل، النَّسأة – أحد بني فقيم، ثم أحد بني مالك – فخرج حتى أتى القُليس، فقعد فيها، ثم خرج فلحق بأرضه، فأخبر أبرهة بذلك، فقال: من صنع هذا؟ فقيل: صنعه رجل من أهل هذا البيت الذي تحج العرب إليه بمكة، لما سمع من قولك: أصرف إليه حاجَّ العرب، فغضب، فجاء فقعد فيها، أي: إنها ليست لذلك بأهل، فغضب عند ذلك أبرهة، وحلف ليسيرنَّ إلى البيت فيهدمه وعند أبرهة رجال من العرب قد قَدِموا عليه يلتمسون فضله، منهم محمد بن خُزَأعي بن حِزابه الذَّكواني، ثم السُّلَمي، في نفر من قومه، معه أخ له يقال له قيس بن خزاعي، فبينما هم عنده، غشيهم عبد لأبرهة، فبعث إليهم فيه بغذائه، وكان يأكل الخُصي، فلما أتى القوم بغذائه، قالوا: والله لئن أكلنا هذا لا تزال تسبُّنا به العرب ما بقينا، فقام محمد بن خزاعي، فجاء أبرهة، فقال: أيها الملك إن هذا

يوم عيد لنا لا نأكل فيه إلا الجُنوب والأيدي، فقال له أبرهة: فسنبعث إليكم ما أحببتم، فإنما أكرمتكم بغذائي لمنزلتكم عندي.

ثم إن أبرهة توَّج محمد بن خُزاعي، وأمَّره على مضر، وأمره أن يسير في الناس يدعوهم إلى حج القُليس – كنيسته التي بناها – فسار محمد بن خزاعي حتى إذا نزل ببعض ارض بني كنانة، وقد بلغ أهل تهامة أمره وما جاء له، بعثوا إليه رجلًا من هُذَيل يقال له عُروة بن حياض الملاصي، فرماه بسهم فقتله، وكان مع محمد بن خزاعي أخوه قيس بن خزاعي، فهرب حين قُتل أخوه، فلحق بأبرهة، فأخبره بقتله، فزاد ذلك أبرهة غضبًا وحنقًا، وحلف ليغزونَّ بني كنانة، وليهد منَّ البيت.

ثم إن أبرهة حين أجمع السير إلى البيت أمر الحُبْشان فتهيَّأت وتجهَّزت، وخرج معه بالفيل، وسمعت العرب بذلك، فأعظموه، وفُظِعوا به، ورأوا جهاده حقًّا عليهم، حين سمعوا أنه يريد هدم الكعبة، بيت الله الحرام، فخرج رجل كان من أشراف أهل ايمين وملوكهم يقال له ذو نَفْر، فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة، وجهاده عن بيت الله، وما يريد من هدمه وإخرابه، فأجابه من أجاب إلى ذلك، وعَرَض له وقاتله، فهُزم وتفرَّق أصحابه، وأُخِذَ له ذو نفر أسيرًا، فلما أراد قتله، قال ذو نفر: أيها الملك لا تقتلنيـ فإنه عسى أن يكون بقائي معك خيرًا لك من قتلي، فتركه من القتل وحبسه عنده في وثاق، وكان أبرهة رجلًا حليمًا.

ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له، حتى إذا كان بأرض خثعم، عرض له نُفَيل بن حبيب الخثعمي في قبيلتي خثعم: شهران، وناهس، ومن معه من قبائل العرب، فقاتله فهزمه أبرهة، وأُخِذ له أسيرًا، فأُتي به، فلما همَّ بقتله، قال له نفيل: أيها الملك لا تقتلني، فإني دليلك بأرض العرب، وهاتان يداي لك على قبيلتي خثعم: شهران، وناهس، بالسمع والطاعة، فأعفاه وخلَّي

سبيله.

وخرج به معه يدله على الطريق، حتى إذا مرَّ بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب في رجال ثقيف، فقال: أيها الملك، إنما نحن عبيدك، سامعون لك مطيعون، ليس لك عندنا خلاف، وليس بيتنا هذا بالبيت الذي تريد، - يعنون اللات – إنما تريد البيت الذي بمكة – يعنون الكعبة – ونحن نبعث معك من يدلك، فتجاوز عنهم، وبعثوا معهم أبا رغال، فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله المغمِّس، فلما أنزله به مات أبو رغال هناك، فرجمت العرب قبره، فهو القبر الذي ترجم الناس بالمغمِّس.

ولما نزل أبرهة المغمس: بعث رجلًا من الحبشة يقال له: الأسود بن مقصود على خيل له، حتى انتهى إلى مكة، فساق إليه أموال أهل مكة من قريش وغيرهم، وأصاب فيها مائتي بعير المطلب بن هشام، وهو يومئذ كبير قريش وسيِّدها، وهمَّت قريش وكنانة وهُذَيل ومن كان معهم بالحرم من سائرالناس بقتاله، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به، فتركوا ذكل، وبعث أبرهة حُناطة الحميريّ إلى مكة، وقال له: سل عن سيد هذا البلد وشريفهم، ثم قل له: إن الملك يقول لكم: إني لم آت لحربكم، إنما جئت لهدم البيت، فإن لم تعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لي بدمائكم، فإن لم يُردْ حربي فائتني به.

فلما دخل حناطة مكة، سأل عن سيد قريش وشريفها، فقيل: عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَي، فجاءه فقال له ما أمره به أبرهةن قال له عبد المطلب: والله ما نريد حربه، وما لنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم – عليه السلام- ، أو كام قال، فإن يمنعه فهو بيته وحرمه، وإن يُخْل بينه وبينه، فو الله ما عندنا له من دافع عنه، أو كما قال.

فقال له حناطة: فانطلق إلى الملك، فإنه قد أمرني أن آتيه بك، فانطلق معه عبد المطلب، ومعه بعض بنيه، حتى أتى العسكر، فسأل عن ذي نفر، وكان له

صديقًا، فدلَّ عليه، فجاءه وهو في محبسه فقال: يا ذا نفر هل عندك غناء فيما نزل بنا؟

فقال له ذو نفر، وكان له صديقًا: وما غناء رجل أسير في يدي ملك ينتظر أن يقتله غدوًّا أو عشيًّا، ما عندي غناء في شيء مما نزل بك إلا أن أنيسًا سائق الفيل لي صديق، فسأرسل إليه فأوصيه بك، وأعظم عليه حقك وأسأله أن يستأذن لك على الملك، فتكلمه بما تريد، ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك.

قال: حسبي، فبعث ذو نفر إلى أنيس، فجاء به، فقال: يا أنيس إن عبد المطلب سيّد قريش، وصاحب عير مكة، يُطعم الناس بالسهل، والوحوش في رءوس الجبال، وقد أصاب الملك له مائتي بعير، فاستأذن له عليه وانفعه عنده بما استطعت، فقال: أفعل.

فكلَّم أنيس أبرهة، فقال: أيها الملك، هذا سيّد قريش ببابك يستأذن عليك، وهو صاحب عير مكة يطعم الناس بالسهل، والوحوش في رءوس الجبال، فَأْذَن له عليك، فليكلمك بحاجته، وأحسن إليه، قال: فأذن له أبرهة، وكان عبد المطلب رجلًا عظيمًا وسميًا جسيمًا، فلما رآه أبرهة أجلَّه وأكرمه أن يجلس تحته، وكره أن تراه الحبشة يجلسه معه على سرير ملكه، فنزل أبرهة عن سريره، فجلس على بساطه، فأجلسه معه عليه إلى جنبه، ثم قال لترجمانه: قال له: ما حاجتك إلى الملك؟

فقال له ذلك الترجمان، فقال له عبد المطلب: حاجتي إلى الملك أن يرد علي مائتي بعير أصابها لي، فلما قال له ذلك، قال أبرهة لترجمانه: قل له: قد كنت أعجبتني حين رأيتك، ثم زهدت فيك حين كلمتني، أتكلمني في مائتي بعير أصابتها لك، وتترك بيتًا هو دينك ودين آبائك، قد جئت لهدمه فلا تكلمني فيه؟ قال له عبد المطلب: إني أنا ربُّ الإبل وإن للبيت ربًّا سيمنعه، قال: ما كان

ليُمنَع مني، قال: فأنت وذاك، اردد إليَّ إبلي.

وكان فيما زعم بعض أهل العلم قد ذهب مع عبد المطلب إلى أبرهة حين بعث إليه حناطة يعمر بن نفاثة بن عدي بن الديل بن بكر بن عبد مناف بن كنانة، وهو يومئذ سيد بني كنانة، وخويلد بن واثلة الهُذْلي وهو يومئذ سيد هُذَيل، فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة، على أن يرجع عنهم، ولا يهدم البيت، فأبى عليهم، والله أعلم.

وكان أبرهة، قد ردَّ على عبد المطلب الإبل التي أصاب له، فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب إلى قريش، فأخبرهم الخبر، وأمرهم بالخروج من مكة، والتحرز في شعف الجبال والشعاب تخوفًا عليهم من مَعَرَّة الجيش، ثم قام عبد المطلب، فأخذ بحلقة الباب – باب الكعبة – وقام معه نفر من قريش يدعون الله، ويستنصرونه على أبرهة وجنده، فقال عبد المطلب، وهو آخذ بحلقة باب الكعبة:

يـــا رَبِّ لا أرْجُـــو لَهُـــمْ سِـــوَاكَا ... يـــارَبِّ فـــامْنَعْ مِـــنْهُمْ حماكـــا

إنَّ عَـــدُوَّ البَيْـــتِ مَـــنْ عادَاكـــا ... امْـــنَعْهُمُ أنْ يُخَرِّبُـــوا قُرَاكـــا(1)

وقال أيضًا:

لا هُـــــمَّ إنَّ العَبْـــــدَ يَمْنَـــــعُ ... رَحْلَـــــهُ فـــــامْنَع حِلالـــــكْ

لا يغْلِـــــبَنَّ صَـــــليبُهُمْ ... ومَحِـــــالُهمْ غَـــــدْوا مَحِالـــــكْ

---

(1) هذان البيتان ينسبان على عبد المطلب جد النبي ﷺ زعموا أنه قالهما في حرب الفيلن وقد ذكرهما الثعلبي المفسر في «العرائس» المعروف بـ «قصص الأنبياء» (طبعة الحلبي 442).

فَلَـــــئِنْ فَعَلْـــــتَ فَرُبَّمَـــــا أَوْلَـــى فَـــأَمْرٌ مـــا بَـــدَا لَـــكْ

وَلـــــئِنَ فَعَلْـــــتَ فإِنَّـــــهُ أَمْـــرٌ تُـــتِمُّ بِـــهِ فِعَالَـــكْ(1)

وقال أيضًا:

وكنْـــتُ إذَا أتـــى بـــاغٍ بِسَـــلمٍ نُرَجِّـــي أن تَكُـــونَ لَنـــا كَـــذلِكْ

---

(1) بعض هذه الأبيات ينسب إلى عبد المطلب جد النبي ﷺ، كان رئيس مكة وهو القائم بأمر البيت، قالها عند قصد الحبشة لغزو مكة، وهدم الكعبة، وقد أورد ابن إسحاق منها ثلاثة أبيات، وهي:

لا هُـــمَّ إنَّ العَبْـــدَ يَمْنَـــعُ رَحْلَـــهُ فَـــامْنَع حِلالـــكْ

لايغْلِـــبَنَّ صَـــليبُهُمْ ومِحَـــالُهمْ غَـــدْوا مِحَالـــكْ

إن كنْـــت تـــاركهم وقبلتنـــا فـــأمر مـــا بـــدا لـــك

قال ابن هشام: هذا ما صح له منها وقال السهيلي في «الروض الأنف» تعليقًا على قول عبد المطلب هذا: وفي الرجز بيت ثالث لم يقع في الأصل، وهو قوله:

وانْصـــرْ علـــى آل الصَّـــليبِ وعابديـــه اليَـــوم آلَـــك

وقوله: حِلالك: هم القوم الحالون في المكان. اهـ. وقيل: إن البيت الثالث مما رواه الواقدي، ولم يروه ابن إسحاق. اهـ. من حاشية المعلق على الطبري.

فَوَلَّــوا لَــمْ يَنَــالُوا غَيْــرَ خِــزي وكــانَ الحُــينُ يُهْلِكُهُــمْ هُنَالــكْ

ولــم أســمع بــأرجس مــن رجــال أرادوا العــز فــانتهكوا حرامــك

جَــــرُّوا جُمُــــوعَ بِلادِهِــــمْ والفِيــلَ كَــيْ يَســبُوا عِيالَــكْ

ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة، وانطلق هو من معه من قريش إلى شَعَف الجبال، فتحرّزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها، فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة، وهيَّأ فيله، وعبَّأ جيشه، وكا اسم الفيل محمودًا، وأبرهة مُجمعٌ لهدم البيت، ثم الانصراف إلى اليمين، فلما وجُّهوا الفيل أقبل نفيل بن حبيب الخثعمي، حتى قام إلى جنبه، ثم أخذ بأذنه فقال: ابرك محمود، وارجع راشدًا من حيث جئت، فإنك في بلد الله الحرام، ثم أرسل أذنه، فبرك الفيل، وخرج نُفَيل بن حبيب يشتد حتى أصعد في الجبل، وضربوا الفيل ليقوم فأبى، وضربوا في رأسه بالطبرزين ليقوم فأبى، فأدخلوا محاجن لهم في مراقه، فبزغوه بها ليقوم فأبى، فوجَّهوه راجعًا إلى اليمن، فقام يهرول ووجَّهوه إلى الشام، ففعل مثل ذلك، ووجَّهوه إلى المشرق، ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى مكة فبرك، وأرسل الله عليهم طيرًا من البحر أمثال الخطاطيف، مع كل طير ثلاثة أحجار يحملها: حجر في منقاره، وحجران في رجليه مثل الحمص، والعدس، لا يصيب منهم أحدًا إلا هلك، وليس كلهم أصابت، وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي منه جاءوا، ويسألون عن نُفيل بن حبيب، ليدلهم على الطريق إلى اليمن فقال نفيل بن حبيب حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته:

أيْــنَ المَفَــرُّ والإلــهُ الطَّالِــبْ والأشــرَمُ المَغْلُــوب غَيْــرُ الغَالِــبْ

فخرجوا يتساقطون بكل طريق، ويهلكون على كل منهل، فأصيب أبرهة

في جسده، وخرجوا به معهم، فسقطت أناملـه أنملـة أنملـة، كلمـا سـقطت أنملـة اتبعتها مِدَّة تمثُّ قيحًا ودمًا، حتى قدموا به صنعاء، وهو مثل فرخ الطير، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة عن ابن إسحاق، عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة ابن الأخنس أنه حدَّث، أن أوّل ما رُؤيت الحصبة والجدري بأرض العرب ذلك العام، وأنه أول ما رُئي بها مُرار الشجر الحرملُ والحنظلُ والعُشرُ ذلك العام.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ أقبل أبرهة الأشرم من الحبشة يومًا ومن معه من عداد أهل اليمن إلى بيت الله ليهدمه، من أجل بيعة لهم أصابها العرب بأرض اليمن، فأقبلوا بفيلهم حتى إذا كانوا بالصَّفَّاح برك، فكانوا إذا وجَّهوه إلى بيت الله ألقى بجرانه على الأرض، وإذا وجَّهوه إلى بلدهم انطلق وله هرْولَة، حتى إذا كان بنخلة اليمانية بعث الله عليهم طيرًا بيضًا أبابيل، والأبابيل: الكثيرة، مع كل طير ثلاثة أحجار: حجران في رجليه، وحجر في منقاره، فجعلت ترميهم بها حتى جعلهم الله عز وجل كعصف مأكول، قال: فنجا أبو يكسوم وهو أبرهة، فجعل كلما قدم أرضًا تساقط بعض لحمه، حتى أتى قومه، فأخبرهم الخبر ثم هلك.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ أي: ألم يجعل مكرهم وتدبيرهم وخططهم ﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾ أي: في إبطال وتضييع وخسارة وهلاك؟!!

وقد كان هذا فقط هو الذي أبطل الله به مكرهم، وأحبط الله عملهم وخيَّب الله سعيهم، ورد كيدهم في نحرهم.

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ أي: جماعات جماعات وفرق كثيرة متتابعة يتبع بعضها بعضًا.

﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ أي: أن هذه الطيور أرسلها الله عزَّ وجل على

هؤلاء الظالمين ترميهم وتقذفهم ﴿بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ وهو الطين المتحجر شديد القوة.

﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ أي: إن الله سبحانه وتعالى المأكول، فقيل: إنه التبن وورق الشجر الذي أكلت منه البهائم وتبقى بعضه، وقيل أيضًا إنه التبن إذا أُكل فأخرجته البهائم روثًا ثم يبس هذا الروث فتفرقت أجزاؤه، فكذلك جعل الله أصحاب الفيل.

* * *

سورة قريش

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني مفردات السورة الكريمة

1- ﴿لِإِيلَٰفِ﴾: للتأليف بين القلوب وجمع الكلمة.

2- ﴿إِۦلَٰفِهِمْ﴾: تَعوُّدُهم.

* * *

تفسير سورة قريش

يذكر الله سبحانه وتعالى بعض نعمه التي أنعم بها على قبيلة قريش، تلك القبيلة التي اصطفاها الله سبحانه وتعالى، كما قال النبي ﷺ: **«إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»**(1).

فيقول سبحانه: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾ أما الإيلاف فمن معانيها التأليف، فالمعني للتأليف بين أفراد هذه القبيلة -قبيلة قريش- ولجمع كلمتهم ولعدم فرقتهم أنعمنا عليهم بإيلافهم – أي: بجعلهم يألفون أي: يتعودون

---

(1) أخرجه مسلم (2276).

– رحلة الشتاء (إلى اليمن) والصيف (إلى الشام) فكانوا يذهبون إلى اليمن والشام ولا يشق عليهم هذا الذهاب ولا يعترضهم أحدٌ بسوء لكونهم أهل الحرم وسكانه، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: 67].

ومعنى آخر للآيات: وهو مبني على ربط السورة بالسورة التي قبلها، ألا وهو: جعل الله أصحاب الفيل كعصفٍ مأكول لتبقى قريش مؤتلفة مجتمعة ويبقى لها ما قد ألفته وتعودته من رحلة الشتاء والصيف فيذهب أفراد هذه القبيلة صيفًا وشتاء إلى الشام واليمن وهم مهابون موقَّرون لا يعترضهم أحدٌ بسوء ولا ينالهم أحد مبكروه.

ومعنى الثالث: أعجبوا الإيلاف قريش، أي: تعوّد قريش على رحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت.

هذا ومن المعلوم أن الله سبحانه وتعالى إذا أنعم على عبدٍ نعمةً وجب على هذا العبد شكرها حتى يزيده الله سبحانه وتعالى منها كما قال سبحانه:

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: 7].

فكما أن الله أنعم على القرشيين بنعمة جمعهم وتوحيد كلمتهم وهيبة الناس لهم واحترام الناس وتقديرهم إياهم، وأنعم عليهم بنعمة السفر للتجارات وعدم تعرض أحدٍ لهم بسوء.

﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَـٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾ أي: واجب عليهم وجدير بهم أن يعبدوا رب هذا البيت الحرام فهو: ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾.

كما قال تعالى: ﴿يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾ [القصص: 57].

فهو سبحانه أطعمهم من الجوع الذي كانوا فيه، وآمنهم من الخوف الذي يعتري غيرهمن وأيضًا فقد أهلك عدوهم أبرهة صاحب الفيل وجعلهم في مأمنٍ عند حلِّهم وترحالهم؛ لكونهم أهل بيت الله الحرام.

ولكن يا ترى هل انتفع القرشيون بذلك، وهل نفعتهم مجاورتهم للبيت؟ كلا فإن كثيرًا منهم ما انتفعوا بذلك، بل وأصروا على الكفر والعناد وحرب المرسلين.

كما قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: 112].

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [النحل: 113].

فالبيت لا ينفع أهله إذا لم يكونوا مؤمنين، وكذلك القرابات والوجاهات والرياسات لا تنفع عند ذهاب الإيمان.

* * *

سورة الماعون

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني مفردات السورة الكريمة

1- ﴿بِٱلدِّينِ﴾: المعاد والجزاء.

2- ﴿يَدُعُّ﴾: يدفع – يقهر – يطرد.

3- ﴿يَحُضُّ﴾: يأمر غيره – يحث.

6- ﴿يُرَآءُونَ﴾: يعلمون رياءً وسمعةً كي يراهم الناس.

7- ﴿ٱلْمَاعُونَ﴾: الشيء المستعار كالقِدر والدلو ونحوهما.

* * *

تفسير سورة الماعون

يبين الله سبحانه وتعالى بعض الخصال السيئة والصفات الذميمة لهؤلاء المكذبين بالبعث المنكرين للحساب الجاحدين للثواب والعقاب فيقول سبحانه:

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾ أي: بيوم القيامة وما فيه من الجزاء والثواب والعقاب، فهذا الذي يكذب بالدين.

﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ أي: يطرد اليتيم عن أبوابه ويدفعه ويظلمه ويقهره، إذ هو لا ينتظر ثوابًا ولا يخشى عقابًا، فلذلك أقدم على طرد الأيتام وزجرهم وإهانتهم، فكما قدمنا أن الاعتقاد الفاسد يدفع إلى عمل فاسد، فالكافر لا يؤمن ببعث ولا بثواب ولا عقاب فما يمنعه إذن من ظلم اليتيم؟!!

أما الذي ينتظر ثواب الله ويرجو لقاءه فهو الذي يكرم اليتيم، يكرمه ابتغاء وجه الله سبحانه وتعالى وانتظارًا لثوابه عز وجل.

هذا المكذب بالدين أيضًا من صفاته:

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ أي: لا يحث غيره على إطعام المساكين ولا على إكرامهم، فحمله تكذيبه بيوم القيامة وإنكاره للثواب والعقاب على حرمان المساكين وإهمالهم وترك حث الآخرين على إكرامهم، ثم توعَّد الله قومًا آخرين بالويل، وهو العذاب الشديد والهلاك، وهؤلاء القوم الذين توعدهم الله سبحانه وتعالى، هم قوم شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ولكنهم تهاونوا في أمر الصلاة، فلا يبالون بها حتى يخرج وقتها، ولا يعيرونها كبير اهتمام هل صلوا أم لم يُصلوا؟ ويؤخرونها كذلك عن وقتها، توعَّد الله هؤلاء المتهاونين في أمر الصلاة بالويل، وهو العذاب الشديد. فقال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ وسهوهم عن الصلاة تركها بالكلية أو تركها حتى يخرج وقتها، وأيضًا عدم المبالاة بها، وقد جاء الوعيد الشديد لتارك الصلاة وجاء وصفه، بالإجرام كذلك.

كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾ [المدثر: 38- 44].

وقال تعالى: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: 59].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: 142].

وقال النبي ﷺ: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر»(1).

وقال عليه الصلاة والسلام: «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»(2).

هذا وليس المراد بالآية الكريمة السهو داخل الصلاة، فقد سها النبي ﷺ في صلاته، وإنما المراد ما قدمناه، ألا وهو تركها بالكلية أو تأخيرها عن وقتها وعدم المبالاة بها.

أما قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ فهو بيان لحال هؤلاء الساهين عن الصلاة فهم أهل رياء ونفاق وسمعة، ويجدر بنا هنا أن نسوق بحثًا سريعًا في الرياء والمرائين، وطرفًا من أقوال العلماء في تأويل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾.

قال الطبري رحمه الله: وقوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ يقول الذين هم يراؤون الناس بصلاتهم إذا صلوا لأنهم لا يصلُّون رغبة في ثواب ولا رهبة من عقاب، وإنما يُصلُّونها ليراهم المؤمنون فيظنونهم منهم فيكفون عن سفك دمائهم وسبي ذراريهم، وهم المنافقون الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ يستبطنون الكفر ويظهرون الإسلام.

---

(1) أخرجه أحمد (5/ 346) من حديث بريدة بن الحصيب الأسلمي ڤ مرفوعًا.

(2) أخرجه مسلم (82) من حديث جابر بن عبد الله ڤ مرفوعًا.

أما الوارد في ذم الرياء فمنه ما يلي:

قولـه تعـالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هـود: 15، 16].

وقولـه تعـالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: 142].

وقـال تعـالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الأنفال: 47].

وقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: 110].

وقوله تعالى في الحديث القدسي(1): «أنا أغني الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه».

---

(1) أخرجه مسلم (2985) من حديث أبي هريرة ڤ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء....» الحديث، قال النووي رحمه الله: هكذا وقع في بعض الأصول (وشركه) وفي بعضها (وشريكة) وفي بعضها (وشركته)، ومعناه: أنا غنيّ عن المشاركة وغيرها، فمن يعمل شيئًا لي ولغيري لم أقبله بل أتركه لذلك الغير، والمراد أن عمل المرائي باطل لا ثواب فيه، ويأثم به.

قلت: وفي معنى هذا الحديث ما أخرجه الترمذي (3154) وحسنه من طريق زياد بن ميناء عن أبي سعد بن أبي فضالة الأنصاري – وكان من الصحابة – قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا جمع الله الناس ليوم القيامة ليوم لا ريب فيه نادي مناد: من كان أشرك في عمل عمله لله أحدًا فليطلب ثوابه من عند غير الله؛ فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك». وزياد بن ميناء قال فيه ابن المديني: مجهول إلا أنه – أعني ابن المديني – قال عن إسناد الحديث: إسناده صالح يقبله القلب، هذا وقد وردت آيات كثيرة في الكتاب العزيز تحذر من الشرك وتبين أنه يحبط الأعمال.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

وقال تعالى – بعد أن ذكر جملة من الأنبياء في سورة الأنعام: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

وأخرج الإمام أحمد[1] رحمه الله: من حديث محمود بن لبيد ڤ أن رسول الله ﷺ قال: **«إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»**.

قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟

قال: «الرياء، يقول الله – عز وجل – لهم يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء».

وفي الصحيحين[2] من حديث جندب ڤ قال: قال النبي ﷺ: **«من سمع سمَّع الله به، ومن يُرائي يرائي الله به»**[3].

---

(1) أحمد في المسند (5/ 428) وإسناده صحيح.

(2) البخاري (6499)، ومسلم (2987).

(3) قال النووي: قال العلماء: معناه من راءي بعمله وسمعه الناس ليكلموه ويعظموه ويعتقدوا خيره سمع الله به يوم القيامة الناس وفضحه. وقيل معناه: من سمع بعيوب الناس وأذاعها أظهر الله عيوبه. وقيل: أسمعه المكروه، وقيل: أراه الله ثواب ذلك من غير أن يعطيه إياه ليكون حسرة عليه. وقيل: من أراد بعمله الناس أمعه الله الناس وكان ذلك حظه منه.

* والحديث أخرجه البخاري تحت باب (الرياء والسمعة)، وقال الحافظ ابن حجر في شرحه (مع الفتح 11/ 336): الرياء بكسر وتخفيف التحتانية والمد، وهو مشتق من الرؤية، والمراد به: إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدوا صاحبها، والسمعة – بضم المهملة وسكون الميم – مشتقة من سمع، والمراد بها نحو ما في الرياء، لكنها تتعلق بحاسة السمع والرياء بحاسة البصر.

وقال الغزالي: المعنى طلب المنزلة في قلوب الناس، بأن يريهم الخصال المحمودة، والمرائي هو العامل.

وقال ابن عبد السلام: الرياء أن يعمل لغير الله، والسمعة أن يخفي عمله لله ثم يحدث به الناس.

ثم نقل الحافظ ابن حجر عن الخطابي قوله في شرح الحديث: معناه: من عمل عملًا على غير إخلاص، وإنما يريد أن يراه الناس ويسمعوه جُوزي على ذلك بأن يشهره الله ويفضحه ويُظهر ما كان يُبطنه، وقيل: من قصد بعمله الجاه والمنزلة عند الناس ولم يرد به وجه الله فإنه الله يجعله حديثًا عند الناس الذين أراد نيل المنزلة عند الناس ولم يرد وجه الله فإن الله يجعله حديثًا عند الناس الذين أراد نيل المنزلة عندهم، ولا ثواب له في الآخرة، ومعنى يرائي: يطلعهم على

أما قوله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ فلأهل العلم فيه أقوال:

أحدها: أن المراد بالماعون الزكاة المفروضة.

الثاني: أن المراد المتاع الذي يتعاطاه الناس فيما بينهم ويستعيرونه من بعضهم، كالدلو والقدر والفأس ونحو ذلك.

الثالث: أن الماعون عام يدخل فيه كل ما ذُكر، فمانع الزكاة مانعٌ للماعون، ومانع العارية (كالدلو والقدر والشيء الذي يُستعار) مانع للماعون كذلك، وهذا هو الراجح لديَّ، والله أعلم.

* * *

أنه فعل ذلك لهم لا لوجهه، ومنه قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

* وقيل المراد: من قصد بعمله أن يسمعه الناس ويروه ليعظموه وتعلو منزلته عندهم حصل له ما قصد، وكان ذلك جزاؤه على عمله ولا يثاب عليه في الآخرة. وقيل: المعنى: من سمَّع بعيوب الناس وأذاعها أظهر الله عيوبه وسمعه المكروه، وقيل: المعنى: من نسب إلى نفسه عملًا صالحًا لم يفعله = = وادعى خيرًا لم يصنعه، فإن الله يفضحه ويظهر كذبه. وقيل: المعنى: من يرائي الناس بعمله أراه الناس ثواب ذلك العمل وحرمه إياه. وقيل: معنى سمع الله به: شهره أو ملأ أسماع الناس بسوء الثناء عليه في الدنيا أو في القيامة بما ينطوي من خبث السريرة.

قلت (الحافظ): ورد في عدة أحاديث التصريح بوقوع ذلك في الآخرة، فهو معتمد.

وقال عطية سالم في تتمته لـ «أضواء البيان»: والتسميع هو العمل ليسمع الناس به كما في حديث الوليمة «في اليوم الأول والثاني والثالث سمعه ومن سمع سُمع به» فالرياء مرجعه إلى الرؤية، والتسميع مرجعه إلى السماع.

سورة الكوثر

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني مفردات السورة الكريمة

1- ﴿ٱلْكَوْثَرَ﴾: نهر النبي ﷺ وحوضه.

2- ﴿وَٱنْحَرْ﴾: انحر الإبل - اطعن في اللبَّة.

3- ﴿شَانِئَكَ﴾: مبغضك – عدوك.

3- ﴿ٱلْأَبْتَرُ﴾: المنقطع – منقطع الذكر.

* * *

تفسير سورة الكوثر

يذكر الله سبحانه وتعالى بعض النعم التي أنعم بها على نبينا محمد ﷺ، فيقول الله سبحانه لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ أي قد منَنَّا عليك وأنعمنا عليك وأعطيناك الكوثر وهو نهر في الجنة وعده الله نبيه محمدًا ﷺ، وهو أيضًا حوضه عليه الصلاة والسلام.

ففي صحيح مسلم من حديث أنس ڤ أن النبي ﷺ قال: **«أتدرون ما الكوثر؟»**، فقلنا الله ورسوله أعلم، قال: **«فإنه نهر وعدنيه ربي – عزَّ وجل -، عليه خيرٌ كثير، وهو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم...»** (1).

هذا ولما كان عند ذوي الفطرة السليمة أن النعمة يجب أن تقابل بالشكر، كما هو مقرر في شرعنا فكما أنا أعطيناك الكوثر: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ أي: اجعل صلاتك خالصة لله دون من سواه واجعل نحرك للإبل وذبحك أيضًا خالصًا لله عز وجل، لا كما يفعل المشركون من السجود لغير الله، والذبح على غير اسمه سبحانه، بل صلِّ لله واسجد له واذبح على اسمه، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي

---

(1) أخرجه مسلم (400).

وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الأنعـــــام: 162، 163].

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ أي: مبغضك وعدوك هو الأذل المنقطع دابره، والمنقطع ذِكره بعد موته.

وقد كان القرشيون يصفون رسول الله ﷺ بأنه أبتر، أي: سينقطع ذِكره بعد موته لكونه لم يعش له ولد، فردَّ الله ذلك عليهم بما رفع النبي ﷺ من الذكر في الأولين والآخرين وفي الملأ الأعلى إلى يوم الدين، ووصف عدوه بأنه هو الأذل المنقطع دابره. والله أعلم.

* * *

سورة الكافرون

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني مفردات السورة الكريمة

2- ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾: من الأصنام.

3- ﴿مَآ أَعْبُدُ﴾: وهو الله وحده.

6- ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾: الشرك.

6- ﴿وَلِيَ دِينِ﴾: الإسلام قبل أن يؤمر بالحرب.

* * *

تفسير سورة الكافرون

كان رسول الله ﷺ كثيرًا ما يقرأ بهذه السورة فكان يقرأ بها في الركعة الأولى من ركعتي الفجر (النافلة) بعد الفاتحة، وفي الركعة الأولى من نافلة المغرب كذلك، والركعة الأولى من ركعتي الطواف، وفي الركعة الثانية من ركعات الوتر الثلاث، وفي هذه السورة إثبات البراءة من الشرك، فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ فلا تظنوا أبدًا أنني سأعبد أصنامكم وآلهتكم، إنما أنا أعبد ربي، أعبده لا أشرك به أحدًا ومن كُتب عليه الشقاء منكم فلن يعبد الله وسيموت على الكفر والشرك ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ فتأكدوا من ذلك، تأكدوا أنني لن أعبد آلهتكم لا الآن ولا مستقبلًا ألا فلينقطع رجاؤكم في عبادتي لآلهتكم ثم لينقطع ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ وأنتم كذلك لن تتحقق عبادتكم لله ما دمتم قائمين على الشرك.

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ أي: قد رضيتم بدينكم وقد رضيت بديني وستجازون على دينكم وسأجازي على ديني، فالآية سيقت على سبيل التهديد والتحذير.

قال القرطبي رحمه الله: فيه معنى التهديد، وهو كقوله تعالى: ﴿لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ﴾ [القصص: 55]. أي عن رضيتم بدينكم فقد رضينا بديننا، وكان هذا قبل الأمر بالقتال، فنسخ بآية السيف، وقيل: السورة كلها منسوخة، وقيل: ما نُسخ منها شيء لأنها خبر.

ومعنى: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ﴾ أي لكم جزاء دينكم ولي جزاء ديني، وسمى دينهم دينًا لأنهم اعتقدوه وتولوه، وقيل: المعنى لكم جزاؤكم ولي جزائي لأن الدِّين الجزاء. والله أعلم.

* * *

سورة النصر

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني مفردات السورة الكريمة

2- ﴿أَفۡوَاجٗا﴾: جماعاتٍ جماعاتٍ.

* * *

يرى العالم النبيل والصحابي الجليل حبر هذه الأمة عبد الله بن عباس ڤ أن هذه السورة آخر سورة نزلت في كتاب الله عز وجل، ففي صحيح مسلم(1) من طريق عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال، قال لي ابن عباس: تعلم – وفي رواية: تدري آخر سورة نزلت من القرآن، نزلت جميعًا، قلت: نعم ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ قال: صدقت.

ويروي أيضًا أن هذه السورة نعت إلى النبي ﷺ أجله، فأُخبر فيها أن أجله قد اقترب فعليه بالتسبيح والاستغفار، ففي صحيح البخاري من حديث ابن عباس ڤ قال: كان عمر يُدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لم تُدخل هذا الفتى معنا

---

(1) أخرجه مسلم (3024).

ولنا أبناء مثله، فقال: إنه ممن قد علمتم، فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم قال: وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني، فقال: ما تقولون في ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ حتى ختم السورة، فقال بعضهم: أُمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا الله وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري، أو لم يقل بعضهم شيئًا، فقال لي ابن عباس أكذاك تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله له إذا جاء نصر الله، والفتح: فتح مكة، فذاك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا، قال عمر: «ما أعلم منها إلا ما تعلم»(1).

يقول الله سبحانه في هذه السورة: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ يعني إذا نصرك الله عز وجل وفتح عليك مكة، ﴿وَرَأَيْتَ﴾ يا محمد الناس يدخلون في دين الله ﴿أَفْوَاجًا﴾ أي: جماعات جماعات، ورأيت الناس قد أقبلوا على الإسلام واعتنقوه ودخلوا فيه أفواجًا ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ فأكثر من التسبيح والاستغفار ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ وسل الله أن يغفر لك ذنوبك.

﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ أي يرجع على العباد بالرحمة بعد توبتهم من ذنوبهم ورجوعهم عنها، ويقبل منهم توبتهم أي رجوعهم وإنابتهم إليه.

هذا ووجه من قال: إن السورة نعت إلى رسول الله ﷺ أجله «أي أخبرته باقتراب موته وانتهاء أجله» أن الاستغفار مشروع في ختام الأعمال، ففي دبر الصلوات يشرع الاستغفار، وعند ختام المجالس يشرع الاستغفار، ففهم ابن عباس من ذلك أن أجل رسول الله ﷺ قد اقترب.

هذا وقد كان النبي ﷺ بعد نزول هذه السورة عليه يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك الله اغفر لي».

* * *

---

(1) أخرجه البخاري (4294).

سورة المسد

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني مفردات السورة الكريمة

1- ﴿تَبَّتْ﴾: هلكت – خسرت.

5- ﴿جِيدِهَا﴾: عنقها – رقبتها.

5- ﴿مَّسَدٍ﴾: نار – ليف – حديد.

* * *

تفسير سورة المسد

نزلت هذه السورة في شأن أبي لهب عم رسول الله ﷺ، واسمه عبد العزى بن عبد المطلب، واسم امرأته العوراء أم جميل.

نزلت لما دعا هذا المجرم الأثيم على رسول الله ﷺ وقال له: تَبًّا لك يا محمد.

ففي الصحيحين من حديث ابن عباس ڤ قال: لما نزلت:

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: 214]، صعد النبي ﷺ على الصفا، فجعل ينادي **«يا بني عدي»** -لبطون قريش – حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولًا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش فقال: **«أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلًا بالوادي تريد أن تُغير عليكم أكنتم مصدقي»؟**

قالوا: نعم ما جربنا عليك إلا صدقًا. قال: **«فإني نذيرٌ لكم بني يدي عذاب شديد»** فقال أبو لهب: تبًّا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا. فنزلت ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ أي: هلكت وخسرت يداه.

﴿وَتَبَّ﴾ أي: وهلك هو الآخر.

فقوله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ **معناه:** أهلك الله أبا لهب وقد هلك، وخسرت يداه وقد خسر وبطل سعيه وقد هلك هو الآخر.

﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ ما أغنى عن هذا الطاغي الظالم ماله وولده، فلن ينفعه مال ولا ينفعه جاه ولن ينفعه أولاده، لن ينفعوه في الآخرة، ولن ينفعوه في قبره.

سيقول هذا الكافر يوم القيامة:

﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ [الحاقة: 28- 29] وسيفر من أمه وأبيه وصاحبته وبنيه وأخته وأخيه.

هذا المجرم ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾**:** أي: سيدخل هذه النار ذات الشرر والتوقد والإحراق الشديد ويصلى بحرّها.

﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾**:** كذلك تلك المرأة الطاغية الكافرة الآثمة الظالمة، تلك المؤذية التي كانت تحمل الشوك وتضعه في طريق النبي ﷺ، تلك المذنبة التي كانت تسعى بين الناس بالنميمة.

تلكم المراة التي كانت تنفق الأموال في عداوة رسول الله ﷺ حتى ذكر بعض العلماء أنها كانت تملك قلادةً من ذهب فأقسمت بالله لتنفقنها في عداوة رسول الله ﷺ، فتوعدها الله بحبل من نار في عنقها يوم القيامة بدلًا من هذه القلادة، كما قال تعالى: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾.

فقوله: ﴿فِي جِيدِهَا﴾ أي في رقبتها وعنقها.

وقوله: ﴿مِّن مَّسَدٍ﴾ أي: من نار، وقيل: من ليف، وقيل: من حديد.

فالحاصل: أن هذه المرأة كان في عنقها شيء تستعمله في عداوة رسول الله ﷺ.

فمن العلماء من قال: إن هذا الشيء هو قلادة باعتها وأنفقت ثمنها في عداوة رسول الله ﷺ.

ومنهم من قال: إنها كانت تحتطب وتجعل حبلًا من ليفٍ في عنقها تربط به الشوك الذي تلقيه في طريق رسول الله ﷺ، وهذه المرأة هي الأخرى تبت وهلكت وخسرت، تبت وتبت يداها.

* * *

سورة الإخلاص

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني مفردات السورة الكريمة

2- ﴿ٱلصَّمَدُ﴾: السيد الذي انتهت إليه السيادة – الذي يُصمد إليه لقضاء الحوائج – الذي لا جوف له.

* * *

تفسير سورة الإخلاص

هذه السورة الكريمة سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن.

ففي صحيح البخاري(1) من حديث أبي سعيد الخدري ڤ أن رجلًا سمع رجلًا يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ يرددها فلما أصبح جاء إلى النبي ﷺ فذكر له ذلك، فكأن الرجل يتقالها، فقال رسول الله ﷺ: **«والذي نفسير بيده إنها لتعدل ثلث القرآن»**.

وفي صحيح مسلم(2) من حديث أبي الدرداء ڤ عن النبي ﷺ قال: **«أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن»** قالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن؟ قال: **«قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن»**.

وفي رواية لمسلم:

---

(1) البخاري (7375)، ومسلم (813).

(2) أخرجه مسلم (811).

«إن الله جزاء القرآن ثلاثة أجزاء، فجعل قل هو الله أحد جزءًا من أجزاء القرآن».

وفي صحيح مسلم(1) من حديث أبي هريرة ڤ قال: قال رسول الله ﷺ: **«احشدوا فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن»** فقرأ: «قل هو الله أحد» ثم دخل فقال بعضنا لبعض إني أرى هذا خبرٌ جاءه من السماء فذاك الذي أدخله، ثم خرج نبي الله ﷺ فقال: **«إني قلت لكم سأقرأ عليكم ثلث القرآن ألا إنها تعدل ثلث القرآن»**(2).

وقد ورد في فضلها ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث عائشة(3) ڤ أن النبي ﷺ بعث رجلًا على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: **«سلوه لأي شيء يصنع ذلك»**، فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن وأنا أُحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ: **«أخبروه أن الله يحبه»**.

وكان النبي ﷺ يقرأ بهذه السورة في مواطن شتى، فكان يقرأ بها في ركعة الوتر بعد الفاتحة، وكان يقرأ بها في الركعة الثانية من كلٍّ: من نافلة الفجر، وسنة المغرب، وركعتي الطواف، وكان يقرأها عند النوم، وفي أذكار الصباح والمساء، ويحث على قراءتها دبر الصلوات.

يقول الله عز وجل في هذه السورة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ قل يا محمد للخلق أجمعين، وقل لهؤلاء المشركين أن الله عز وجل واحد لا شريك له ليس في الكون إله غيره ولا معبود سواه فـ ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ **[الأنبياء: 22]**.

---

(1) أخرجه مسلم (812).

(2) ومعنى كونها تعدل ثلث القرآن: ذكره النووي فقال: قال القاضي: قال المازري: قيل: معناه أن القرآن على ثلاثة أنحاء: قصص، وأحكام، وصفات الله تعالى، و(قل هو الله أحد) متمحضة للصفات، فهي ثلث وجزء من ثلاثة أجزاء.

(3) أخرجه البخاري (7375)، ومسلم (813).

ولا خالق إلا هو ولا رب سواه.

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾: الذي يصمد إليه الخلق ويقصدونه في حوائجهم ومسائلهم فلا يقدر على قضائها إلا هو.

الصمد: الذي انتهت إليه السيادة في كل شيء.

والصمد: المصمت الذي لا جوف له.

والصمد: الذي لا يأكل ولا يشرب، وهو الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد.

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ ليس له ولد وليس له والد، وقد تضافرت الأدلة على أن الله سبحانه وتعالى ليس له ولد، ومن هذه الأدلة ما يلي.

قوله: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ﴾ **[مريم: 35].**

قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ **[الصافات: 151، 152].**

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ **[مريم: 88- 92].**

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ **[النساء: 171].**

قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ **[الأنعام: 101].**

قوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ **[المؤمنون: 91].**

قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ **[الإسراء: 111].**

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ **[البقرة: 116].**

قوله تعالى: ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ ﴾ [يونس: 67].

قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۝١ قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢ مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝٣ وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۝٤ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الكهف: 1- 5].

قوله تعالى: ﴿ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر: 4].

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: 3].

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة: 30].

قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝١ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ [الفرقان: 1، 2].

قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴾ [الأنبياء: 26].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾: أي: لم يكن له قريب ولا نسيب ولا صهر، ولم يكن له شبيه ولامثيل ولا نظير ولا كفؤ، فلا يكافئه أحدٌ سبحانه وتعالى.

* * *

سورة الفلق

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني مفردات السورة الكريمة

1- ﴿أَعُوذُ﴾: ألجأ – أستجير – أعتصم.

1- ﴿ٱلْفَلَقِ﴾: الصبح.

3- ﴿غَاسِقٍ﴾: مظلم – الليل – القمر.

3- ﴿وَقَبَ﴾: دخل وأقبل بظلامه.

4- ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾: السواحر اللواتي ينفثن.

4- ﴿ٱلْعُقَدِ﴾: عقد الخيط.

* * *

تفسير سورة الفلق

ورد في فضل هذه السورة مع سورة الناس جملة أحاديث، وكان النبي ﷺ يقرأ بهما في مواطن شتى، فمن ذلك: ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث عقبة بن عامر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألم تر آيات أُنزلت الليلة لم يُر مثلهن قط ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾»** (1).

وفي لفظ آخر عند مسلم: «أُنزل وأُنزلت عليَّ آيات لم يُرَ مثلهن قط المعوذَتين».

وعند أبي داود والنسائي من حديث عقبة بن عامر أيضًا قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ المعوذات دبر كل صلاة (2).

---

(1) مسلم مع النووي (6/ 96).

(2) أبو داود (2/ 181)، والنسائي (3/ 96) بإسناد حسن.

وأخرج الترمذي وأبو داود والنسائي(1) من حديث عبد الله بن خبيب قال: خرجنا في ليلة مطر وظلمة نطلب النبي ﷺ ليصلِّي لنا فأدركناه، فقال: **«قل»** فلم أقل شيئًا ثم قال: **«قل»** فلم أقل شيئًا ثم قال: **«قل»** ، قلت: يا رسول الله ما أقول؟ قال: **«قل هو الله أحد، والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء»**.

وفي الصحيحين(2) من حديث عائشة ڤ أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه نفث في كفيه بـ «قل هو الله أحد» والمعوذتين جميعًا، ثم يمسح بهما وجهه وما بلغت يداه من جسده، قالت عائشة: فلما اشتكى كان يأمرني أن أفعل ذلك به.

وفي صحيح مسلم من حديث عائشة ڤ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات، فلما مرض مرضه الذي مات فيه جعلت أنفث عليه وأمسحه بيد نفسه؛ لأنها كانت أعظم بركة من يدي(3).

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ أي ألجأُ وأستجيرُ وأعتصم والوذ برب الفلق، وهو الصبح وما يأتي معه من النور والضياء ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ أي: من شر كل شيء خلقه الله، إنسٌ كان أو جان أو سباع كانت أو هوام، أو ريح أو صاعقة أو دابة أو بلاء.

﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ أي: ومن شر الليل إذا أقبل بظلامه ودخل؛ وذلك لأن الشياطين تنتشر ليلًا كما قال عليه الصلاة والسلام: **«إذا كان جنح الليل أو أمسيتم فكفوا صبيانكم واذكروا اسم الله...»** الحديث وفيه: **«فإن الشياطين تنتشر**

---

(1) أخرجه الترميذي (3575)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وأبو داود (5082)، والنسائي (8/ 250).

(2) أخرجه البخاري (مع الفتح 10/ 209)، ومسلم في الطب (5: 3).

(3) مسلم (2192).

حينئذ....» [1].

وكذلك الهوام والسباع تخرج من أماكنها وأهل الشر والفساد ينبعثون، وعلى قول من قال: إن الغاسق إذا وقب هو الثريا فقالوا: إن الثريا إذا سقطت كثرت الأسقام والطواعين، والله أعلم. وكما أن الغاسق إذا وقب يطلق على الليل إذا دخل، فكذلك يُطلق على القمر أيضًا وذلك لما أخرجه الترمذي[2] بإسناد حسن من حديث أم المؤمنين عائشة ڤ قالت: أخذ النبي ﷺ بيدي فنظر إلى القمر فقال: **«يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا، فإن هذا هو الغاسق إذا وقب»** فالقولان متلازمان، فإذا جاء القمر فقد أقبل الليل.

أما قوله: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ ففيه استعاذة من السواحر اللواتي ينفثن (أي يتفلن) عند سحرهن في عقد الخيط التي يعقدونها ويسحرون بها.

أما قوله: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ فالحسد هو تمني زوال النعمة عن الآخرين، والحسد بهذا الوصف الذي وصفناه مذموم كله، لكن هناك من الحسد ما هو مباح، وهو الذي يسميه العلماء الغبطة، وهو أن تتمنى لنفسك مثل النعمة التي أنعم الله بها على غيرك من غير زوالها عن صاحبها، فإذا كانت في أمور الدنيا كانت مباحة، وإن كانت في أمور الطاعات فهي مستحبة.

ومن ذلك ما أخرجه البخاري[3] من حديث أبي هريرة ڤ أن رسول الله ﷺ قال: **«لا حَسَدَ إلا في اثنتين: رجلٍ علَّمه الله القرآن فهو يتْلوه آناءَ الليلِ وآناءَ النّهار، فسمعه جارٌ له فقال: ليتني أُوتيت مثل ما أُوتِيَ فلانٌ فَعَمِلْتُ مثْلَ ما يعملِ، ورجلٍ آتاه الله مالًا فهو يُهلكه في الحق، فقال رجلٌ: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلانٌ، فعملْتُ مثلما يَعْمل».**

---

(1) أخرجه البخاري (مع الفتح 10/ 88)، ومسلم (13/ 183) من حديث جابر ڤ مرفوعًا.

(2) الترمذي (9/ 302).

(3) أخرجه البخاري (5026).

وما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث عبد الله بن عمر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لا حَسَد إلا على اثْنتين: رجلٌ آتاه الله الكتابَ وقامَ به آناءَ الليل، ورجلٌ أعْطَاه الله مالًا فهو يتَصَدَّق به آناء الليلِ وآناءَ النهار»**.

وما أخرجه البخاري ومسلم[2] من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال النبي ﷺ: **«لا حسد**[3] إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالًا فسُلِّط[4] على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويُعلِّمها».

هذا وهناك بعض الوسائل التي يندفع بها شر الحاسد عن المحسود.

ومن هذه الوسائل ما يلي:

أولًا: التوكل على الله: وقوله: «حسبنا الله ونعم الوكيل»، فقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: 3].

ففي صحيح البخاري من حديث ابن عباس ﷺ قال: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: 173].

قال ابن القيم رحمه الله:

والتوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم، وهو من أقوى الأسباب في ذلك، فإن الله حسبه أي كافيه، ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه، ولا يضره إلا أذى لابد منه كالحر والبرد والجوع والعطش، وأما أن يضره بما يبلغ منه مراده فلا يكون

---

(1) البخاري حديث (5025)، ومسلم (815).

(2) أخرجه البخاري (73)، ومسلم (816).

(3) قوله: (لا حسد): أي: لا حسد محمود إلا في خصلتين . قال به الحافظ ابن حجر رحمه الله، وقال النووي رحمه الله (2/ 464): والمراد بالحديث: لا غبطة محبوبة إلا في هاتين الخصلتين وما في معناهما.

(4) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله فتح الباري (1/ 167): وعُبِّر بالتسليط.

أبدًا.

ثانيًا: تقوى الله سبحانه وتعالى: فإن الله قال: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: 120].

فالصبر وتقوى الله سبحانه وتعالى يدفعان كيد الكائدين ومكر الماكرين، وقد قال رسول الله ﷺ لعبد الله بن عباس ﷺ: **«احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك»**(1).

ثالثًا: التعوذ بالله من شر هذا الحاسد وكل حاسد: وذلك بقراءة المعوذات ففي سنن الترمذي وسنن النسائي من حديث معاذ بن عبد الله بن خبيب عن أبيه قال: خرجنا في ليلة مطيرة وظلمة شديدة نطلب رسول الله ﷺ يُصلي لنا قال: فأدركته، فقال: **«قل»** فلم أقل شيئًا ثم قال: **«قل»** فلم أقل شيئًا قال: **«قل»** فقلت: ما أقول؟ قال: **«قل هو الله أحد والمعوذتين حين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء»**(2).

رابعًا: عدم إخبار الحاسد بنعمة الله على العبد: كما قال يعقوب ليوسف: ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ﴾ [يوسف: 5].

ومن هذا الباب ما أخرجه البخاري ومسلم (3) من حديث أبي قتادة ﷺ قال سمعت النبي ﷺ يقول: **«الرؤيا الحسنة من الله فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يُحب»**.

خامسًا: الصبر على الحاسد والإحسان إليه:

كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: 34،

---

(1) صحيح وقد وتقدم.

(2) صحيح وقد وتقدم.

(3) أخرجه البخاري (مع الفتح 12/ 430)، ومسلم (ص 1772).

35].

سادسًا: الاستغفار من الذنوب التي كانت سببًا في تسلط هذا الحاسد عليك.

سابعًاك ومن أسباب دفع الحسد والعين عن المحسود اغتسال الحاسد (أعني غسل بعض أعضائه) وصب مائة على المحسود.

ففي صحيح مسلم (1) من حديث ابن عباس ڤ عن النبي ﷺ أنه قال: **«العين حق، ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين وإذا استغسلتم فاغتسلوا»**.

وفي سنن أبي داود بإسناد صحيح عن عائشة قالت: «كان يؤمر العائن فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين».

وأيضًا قد تقدمت قصة عامر بن ربيعة مع سهل بن حنيف، وفيها أن عامرًا غسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة(2) إزاره في قدح ثم صُبَّ عليه.

فراح سهل مع الناس ليس به بأس.

قال النووي في شرح مسلم: وصفة وضوء العائن عند العلماء أن يؤتي بقدح ماء ولا يوضع القدح في الأرض، فيأخذ منه غرفة فيتمضمض بها ثم يمجها في القدح، ثم يأخذ منه ما يغسل وجهه، ثم يأخذ بشماله ماءً يغسل به كفه اليمنى ثم بيمينه ماء يغسل به مرفقه الأيسر، ولا يغسل ما بين المرفقين والكعبين، ثم يغسل قدمه اليمنى ثم اليسرى على الصفة المتقدمة وكل ذلك في القدم ثم داخله إزاره وهو الطرف المتدلي الذي يلي حقوه الأيمن، وقد ظن بعضهم أن داخلة الإزار كناية عن الفرج، وجمهور العلماء على ما قدمناه، فإذا استكمل هذا صبه من خلفه على رأسه، وهذا المعنى لا يمكن تعليله، ومعرفة وجهه، وليس في

---

(1) مسلم (1719).

(2) قال عياض: المراد بداخله الإزار: ما يلي الجسد من الإزار، وقيل: أراد موضع الإزار من الجسد، وقيل: أراد وركه لأنه معقد الإزار، وقال المازري: المراد بداخله الإزار: الطرف المتدلي الذي يلي حقوه الأيمن: نقله الحافظ في «الفتح».

قوة العقل الاطلاع على أسرار جميع المعلومات، فلا يدفع هذا بأن لا يعقل معناه.

ثامنًا: الرقية، فهي من أسباب دفع الحسد:

ففي صحيح مسلم(1) من حديث أبي سعيد الخدري ڤ أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد اشتكيت؟ فقال: **«نعم»** قال: **«باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسد(2) الله يشفيك باسم الله أرقيك»**.

وفيه(3) من حديث عائشة ڤ أنها قالت: كان إذا اشتكى رسول الله ﷺ رقاه جبريل قال: **«باسم الله يبريك ومن كل داء يشفيك ومن شر حاسد إذا حسد وشر كل ذي عين»**.

وتقدم حديث عائشة ڤ وفيه أن رسول الله ﷺ كان يأمرها أن تسترقى من العين(4).

وفي صحيح البخاري(5) من حديث ابن عباس ڤ قال: كان النبي ﷺ يعوّذ الحسن والحسين ويقول: **«إن أباكما كان يُعوِّذ بها إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة(6) ومن كل عين لامة»(7)**.

---

(1) مسلم (14/ 170).

(2) في رواية للترمذي: «وعين حاسدة بسم الله أرقيك والله يشفيك» قال النووي في «شرح مسلم»: وقوله: «من شر كل نفس» قيل: يحتمل أن المراد بالنفس الآدمي، وقيل: يحتمل أن المراد بها العين فإن النفس تطلق على العين، ويقال: رجل نفوس إذا كان يصيب الناس بعينه. كما قال في الرواية الأخرى: «من شر كل ذي عين»، ويكون قوله: «أو عين حاسد» من باب التوكيد بلفظ مختلف أو شكًّا من الراوي في لفظه، والله أعلم.

(3) مسلم (14/ 168).

(4) أخرجه البخاري (مع الفتح 10/ 199)، ومسلم (14/ 183).

(5) البخاري (مع الفتح 10/ 88).

(6) الهامة: واحدة الهوام من ذوات السموم. وقيل: كل ما له سم يقتل، فأما ما لا يقتل سمّه فيقال له: «السوام». وقيل: المراد كل نسمة تهم بسوء، قاله الحافظ.

تاسعًا: تجريد التوحيد:

ومن أسباب دفع الحسد تجريد التوحيد.

وقد ختم به ابن القيم رحمه الله بحثه في أسباب دفع الحسد عن المحسود، وقال: وهو الجامع لذلك كله، وعليه مدار هذه الأسباب، وهو تجريد التوحيد، والترحل بالفكر في الأسباب إلى المسبب العزيز الحكيم، والعلم بأن هذه الآلات بمنزلة حركات الرياح وهي بيد محركها وفاطرها وبارئها ولا تضر ولا تنفع إلا بإذنه، فهو الذي يمس عبده بها، وهو الذي يصرفها عنه وحده لا أحد سواه، قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ **[يونس: 107]**.

وقال النبي ﷺ لعبد الله بن عباس ڤ:

«واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك»(1).

فإذا جرد العبد التوحيد فقد خرج من قلبه خوف ما سواه، وكان عدوه أهون عليه من ان يخافه مع الله، بل يفرد الله بالمخافة وقد أمنه منه وخرج من قلبه اهتمامه به واشتغاله به وفكره فيه، وتجرد لله محبة وخشية وإنابة وتوكلًا واشتغالًا به عن غيره، فيرى أن إعمله فكره في امر عدوه وخوفه منه اشتغاله به من نقص توحيده، وإلا فلو جرَّد توحيده لكان له فيه شغل شاغل، والله يتولى حفظه والدفع عنه فإن الله يدافع عن الذين آمنوا، فإن كان مؤمنًا بالله، فالله يدافع عنه ولابد، وبحسب إيمانه يكون دفاع الله عنه، فإن كمل إيمانه كان دفع الله عنه أتم دفع، وإن مزج مزج له وإن كان مرة ومرة فالله له مرة ومرة.

---

(7) نقل الحافظ عن الخطابي قوله: المراد به كل داء وآفة تلم بالإنسان من جنون وخبل.

(1) تقدم.

كما قال بعض السلف:

من أقبل على الله بكُلِّيَّته أقبل الله عليه جملة، ومن أعرض عن الله بكُلِّيَّته أعرض الله عنه جملة(1) ، ومن كان مرة ومرة فالله له مرة مرة.

فالتوحيد حصن الله الأعظم الذي من دخله كان من الآمنين، قال بعض السلف: من خاف الله خافه كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه من كل شيء.

هذه أسباب يندفع بها شر الحاسد والعائن والساحر، وليس له أنفع من التوجه إلى الله وإقباله عليه وتوكله عليه وثقته به، وأن لا يخاف معه غيره، بل يكون خوفه منه وحده، ولا يرجو سواه بل يرجوه وحدهن فلا يعلق قلبه بغيرهن ولا يستغيث بسواه ولا يرجو إلا غياه، ومتى علق قلبه بغيره ورجاه وخافه وُكل إليه وخُذِلَ من جهته، فمن خاف شيئًا غير الله سلط عليه، ومن رجا شيئًا سوى الله خُذل من جهته، وحُرِم خيره هذه سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلًا. وهو العاشر.

* * *

سورة الناس

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني مفردات السورة الكريمة

4- ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾: الشيطان، والوسوسة: الحديث الخفي.

آل عمران - **﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾:** الشيطان يخنس (يختفي) عند ذكر الله، والخناس: كثير الاختفاء.

5- ﴿يُوَسْوِسُ﴾: يحدث في النفس.

* * *

---

(1) هذا الأخير يحتاج إلى دليل، وإن كان في حديث الثلاثة الذين دخلوا المسجد... وفيه قول رسول الله ﷺ: **«أما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه»** ما يشهد لهذا المعنى.

تفسير سورة الناس

قولـه تعـالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ معنـاه ألجـأ وأعتصم وأستجير وألوذ برب الناس وملكهم وإلههم الـذي هـو معبـودهم الحـق الذي له العبادة الحقة دون من سواه، أستعيذ به:

﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ وهو الشيطان، ذلكم الشيطان الـذي هـو الخنـاس الذي يخنس، ويختفي عند ذكر الله عز وجل، ذلكم الوسواس الـذي يحـدث فـي النفس، فالوسوسة هـي الحـديث سرًّا وهـي الحـديث الخفـي، والوسـواس كثيـر الوسوسة، أستعيذ بالله من شر شيطان الإنس وشيطان الجـن، فكلاهمـا يوسـوس وكلاهمـا شـيطان، قـال تعـالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: 112].

وها هي جملة من الحروز التي يحترز بها العبد من الشيطان:

الحرز الأول: ذكر الله عز وجل: فقد أخرج الإمـام أحمـد(1) رحمـه الله بسـند صحيح من حديث الحارث الأشعري ڤ أن نبي الله ﷺ قال: **«إن الله عز وجل أمـر يحيي بن زكريا عليهما السلام بخمس كلمات أن تعمل بهن وتـأمر بنـي إسـرائيل أن يعلموا بهن»** فذكر الحديث وفيه: **«وآمركم بذكر الله عز وجل كثيرًا، وإن مثل ذلـك كمثل رجل طلبه العدو سراعًا في أثره فأتى حصنًا حصينًا فتحصَّن فيـه وإن العبـد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله عز وجل».**

وأخرج البخاري ومسلم(2) من حديث أبي هريرة ڤ قال قال رسـول الله ﷺ: **«يَعقدُ الشيطانُ على قافيةِ رَأسِ أَحدِكم – إذا هو نام – ثلاثَ عُقَـد يضـرب علـى كـلِّ عُقدة مكانـها: عليك ليلٌ طويلٌ فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فـإن توضـأ انحلت عُقدة، فإن صلى انحلتْ عُقَدُهُ كلها فأصبح نشيطًا طَيِّب النَفْسِ، وإلا أصْبَحَ**

---

(1) أخرجه أحمد (4/ 130).

(2) أخرجه البخاري (مع الفتح 3/ 24)، ومسلم (مع النووي 6/ 65).

خبيثَ النَّفْسِ كسلانَ».

الحرز الثاني: الإيمان بالله والتوكل عليه:

قال الله سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ (1) **[النحل: 99، 100].**

وقال عز وجل: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ **[الطلاق: 4].**

فمن توكل على الله كفاه الله شر كل شيء وإن كادته السموات والأرض، وجعل له ربه من كل ضيق مخرجًا، ومن كل همٍّ فرجًا.

ومن هذا الباب ما ورد عن ابن عباس ﷺ قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يومًا فقال: **«يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، اعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»** (2).

الحرز الثالث: قل هو الله أحد والمعوذات صباحًا ومساءً:

أخرج أبو داود والترمذي والنسائي (3) من حديث عبد الله بن خبيب ﷺ قال: خرجنا في ليلة مطيرة وظلمة شديدة نطلب رسول الله ﷺ يصلي لنا فأدركته فقال: **«قل»**: فلم أقل شيئًا، ثم قال: **«قال»: فلم أقل شيئًا ثم قال: «قال»** فلم أقل شيئًا قال: **«قل»** فقلت: ما أقول؟ قال: **«قل هو الله أحد والمعوذتين حين تُمسي وتصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء».**

الحرز الرابع: قراءة قل هو الله أحد والمعوذات دوْمًا وعند الاحتياج:

وعن عقبة بن عامر ﷺ قال: بينا أنا أقود برسول الله ﷺ راحلته في غزوة إذ

---

(1) قال بعض العلماء معناه، ليس له عليهم سلطان أن يوقعهم في ذنب لا يتوبون منه، بل كلما أذنبوا تابوا، وقيل: المعنى لا حجة له عليهم.

(2) تقدم.

(3) النسائي (8/ 219)، والترمذي (مع التحفة 10/ 28) وإسناده حسن.

قال: **«يا عقبة قل»** فاستمعت، ثم قال: **«يا عقبة قل»** فاستمعت، فقالها الثالثة، فقلت: ما أقول؟ قال: **«قل هو الله أحد»** فقرأ السورة حتى ختمها، ثم قرأ: قل أعوذ بربِّ الفلق، وقرأت معه حتى ختمها، ثم قرأ: قل أعوذ برب الناس فقرأت معه حتى ختمها ثم قال: **«ما تعوذ بمثلهن أحدٌ»**(1).

وفي رواية: «ما سأل سائل بمثلهما ولا استعاذ مستعيذ بمثلهما».

الحرز الخامس: الاستعاذة من همزات الشياطين وأن يحضرون:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ **[المؤمنون: 97، 98].**

عن الوليد بن الوليد ة قال: يا رسول الله إني أجد وحشة، قال: فإذا أخذت مضجعك فقل: أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون، فإنه لا يضرك وبالحرى أن لا يقربك(2).

الحرز السادس: صلاة أربع ركعات أول النهار:

أخرج أحمد(3) بإسناد حسن من حديث نعيم بن همار الغطفاني ة قال: قال رسول الله ﷺ: **«قال ربكم تبارك وتعالى: ابن آدم صل لي أربع ركعات أو النهار أكفاك آخره».**

الحرز السابع: تعويذ الصبيان:

قالت امرأة عمران لما وضعت مريم: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ **[آل عمران: 36].**

---

(1) أخرجه النسائي (8/ 251).

(2) أخرجه أحمد بإسناد مرسل لكن له شاهد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا كلمات نقولهن عند النوم من الفزع: «بسم الله أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون»، وأخرجه أحمد أيضًا، وكذلك الترمذي وقال: حسن غريب.

(3) انظر المسند (5/ 286)، وأبو داود (2/ 63).

وعن ابن عباس ڤ قال كان النبي ﷺ يعوِّذ الحسن والحسين ويقول: **«إن أباكما كان يعوِّذ بها إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة(1) ومن كل عين لامة»(2)** أخرجه البخاري(3).

ومن ذلك أيضًا ما أخرجه البخاري ومسلم(4) من حديث جابر بن عبد الله ڤ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا كان جُنْحُ(5) الليل – أو أمْسَيْتُم – فكفُّوا صبيانكم فإن الشيطان(6) ينتشرُ حينئذٍ، فإذا ذَهَبَ ساعةٌ من الليل فَخَلُّوهم(7) وأَغْلِقُوا الأبوابَ واذكروا اسمَ الله، وخمِّروا(8) آنيتكم واذكروا اسم الله ولو أن تعرضوا عليها شيئًا، واطفِئوا مصابيحكم»(9)**.

---

(1) الهامة: واحدة الهوام ذوات السموم، وقيل: كل ما له سم يقتل فأما ما لا يقتل سمه فيقال له: «السوام»، وقيل: المراد كل نسمة تهم بسوء قاله الحافظ.

(2) قال الخطابي: المراد به كل داء وآفة تلم بالإنسان من جنون وخبل.

(3) البخاري (6/ 408).

(4) صحيح، وقد تقدم تخريجه.

(5) أجنح الليل إذا أقبل بظلامه.

(6) في رواية: «الشياطين».

(7) في رواية: «فحلوهم»، وفي رواية: «فخلوهم» بالخاء المعجمة.

(8) خمروا: أي غطوا.

(9) هذا الحديث من الأحاديث التي غفل عنها وعن العمل بها كثير من صالحي المسلمين فضلًا عن عوامهم، ولو أمعنوا النظر فيه وأقبلوا على العلم به لنجوا من أخطار كثيرة هم وذرياتهم وأموالهم، ولعافاهم الله في أبدانهم وأسماعهم وأبصارهم، فلا يجعلوا للشيطان عليهم سبيلًا ولا على أولادهم..، وفي بعض طرق الحديث: **«لا ترسلوا مواشيكم وصبيانكم إذا غابت الشمس»**.

قال النووي رحمه الله: هذا الحديث فيه جمل من آداب الخير والآداب الجامعة لمصالح الآخرة والدنيا، = = فأمر ﷺ بهذه الآداب التي هي سبب للسلامة من إيذاء الشيطان، وجعل الله عز وجل هذه الأسباب أسبابًا للسلامة من إيذائه، فلا يقدر على كشف إناء ولا حَل سقاء ولا فتح باب ولا إيذاء صبي وغيره إذا وجدت هذه الأسباب.

وقال ابن الجوزي: إنما خيف على الصبيان في تلك الساعة لأن النجاسة التي تلوذ بها الشياطين

وفي بعض روايات مسلم:

«فإن الشيطان لا يحل سقاءً ولا يفتح بابًا ولا يكشف إناءً».

الحرز الثامن: حرز عند الصباح وفي المساء:

فقد صح عن عثمان بن عفان[1] ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«من قال بسم الله الذي لا يَضُرُّ مع اسمه شيءٌ في الارض ولا في السماء وهو السميعُ العليم ثلاثَ مرات لم تصبه فَجَأة بلاءٍ حتى يُصبح، ومن قالها حين يُصبح لم تُصبُهُ فجأةُ بلاءٍ حتى يُمسي».**

ومن ذلك أيضًا ما روي في الصحيحين[2].

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له لهُ الملكُ وله الحمد وهو على كل شيءٍ قديرٌ في يومٍ مائةَ مرة كانت له عدل عَشْر رقابٍ، وكُتبتْ له مائةُ حسنة، ومُحيت عنه مائةُ سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان يَومَهُ ذلك حتى يُمسي، ولم يأتِ أحدٌ بأفضلَ مما جاء به إلا أحدٌ عملَ أكثرَ من ذلك».**

ومن ذلك أيضًا ما أخرجه مسلم[3] من حديث ابن مسعود ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمسى قال: **«أمسينا وأمسى الملك لله، والحمد لله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم أسألك خير**

موجودة معهم غالبًا. والذِّكر الذي يحرز منهم مفقود من الصبيان غالبًا، والشياطين عند انتشارهم يتعلقون بما= = يمكنهم التعلق به فلذلك خيف على الصبيان في ذلك الوقت، والحكمة في انتشارهم حينئذٍ أن حركتهم في الليل أمكن منها لهم في النهار، لأن الظلام أجمع للقوى الشيطانية من غيره، وكذلك كل سواد، ولهذا قال في حديث أبي ذر فما يقطع الصلاة؟ قال: «الكلب الأسود شيطان» أخرجه مسلم.

(1) أخرجه الترمذي (مع التحفة 9/ 217)، وأحمد (4/ 122، 125)، والنسائي (الاستعاذة 57).

(2) أخرجه البخاري (6/ 237)، ومسلم (17/ 17).

(3) مسلم (17/ 41).

هذه الليلة[1] وأعوذ بك من شر هذه الليلة وشر ما بعدها، اللهم إني أعوذ بك من الكسل وسوء الكِبَرِ، اللهم إني أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر».

ومن ذلك أيضًا ما أخرجه أبو داود والترمذي[2] من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال أبو بكر: يا رسول الله مُرني بشيءٍ أقوله إذا أصبحتُ وإذا أمسيتُ؟ قال: **«قل: اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذُ بك من شر نفسي وشرِّ الشيطان وشرْكِه[3] قُلها إذا أصبحت وإذا أمسيتَ وإذا أخذت مضجعك».**

الحرز التاسع: الاستعاذة بالله عند قراءة القرآن:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ **[النحل: 98].**

قال ابن كثير رحمه الله: والمعنى في الاستعاذة عند ابتداء القراءة لئلا يلبس على القاريء قراءته ويخلط عليه ويمنعه من التدبر والتفكر.

الحرز العاشر: التفل عن اليسار لدفع شيطان الصلاة:

فقد أخرج مسلم من طريق أبي العلاء[4] أن عثمان بن أبي العاص أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها عليَّ[5] فقال رسول الله ﷺ: **«ذاك الشيطان يُقال له خنزب فإذا أحسسته**

---

(1) في رواية: «رب أسألك خير ما في هذه الليلة وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شر ما في هذه الليلة وشر ما بعدها»، وفي نفس الرواية.. وإذا أصبح قال ذلك أيضًا: «أصبحنا وأصبح الملك لله».

(2) أخرجه الترمذي (9/ 335)، وأبو داود (5067) بإسناد صحيح.

(3) قال المباركفوري: الشرك: بكسر الشين وسكون الراء: أي ما يدعو إليه من الإشراك بالله، ويروى بفتحتين: أي مصائده وحبائله التي يفتتن بها الناس.

(4) ظاهر الحديث هنا الإرسال إلا أن مسلمًا عقبه بالرواية الموصولة والحديث أخرجه مسلم (14/ 189).

(5) قال النووي رحمه الله: ومعنى «حال بيني وبينها»: أي نكدني فيها ومنعني لذتها والفراغ للخشوع فيها.

فتعوَّذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثًا» قال ففعلت ذلك فأذهبه الله عني.

الحرز الحادي عشر: التعوّذ بالله عند وسوسة الشياطين والملحدين:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«يأتي الشيطانُ أحدكُم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليتسعذ بالله ولينْتَهِ»**(1).

وفي بعض طرقه:

«فمن وجد من ذلك شيئًا فليقل آمنت بالله»، وفي بعضها: **«فليقل آمنت بالله ورسله»**.

الحرز الثاني عشر: قراءة سورة البقرة:

ففي صحيح مسلم(2) من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة»**.

وقال رحمه الله أيضًا: وفي هذا الحديث استحباب التعوذ من الشيطان عند وسوسته مع التفل عن اليسار ثلاثًا.

(1) هذا هو الواجب على المسلم، واجب عليه ألا يتمادى في التفكير في ذلك، ولا يدع للشيطان على نفسه سبيلًا، وعليه أيضًا أن يتفكر في مخلوقات الله تعالى، فقد وصف الله سبحانه أولى الألباب بأنهم: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: 191].

قال الحافظ قوله: «ولينته» أي عن الاسترسال في ذلك، بل يلجأ إلى الله في دفعه، ويعلم أنه يريد إفساد دينه وعقله بهذه الوسوسة، فينبغي أن يجتهد في دفعها بالاشتغال بغيرها.

قال الخطابي: وجه هذا الحديث أن الشيطان إذا وسوس بذلك فاستعاذ الشخص بالله منه وكف عن مطاولته في ذلك اندفع، قال: وهذا بخلاف ما لو تعرض أحد من البشر بذلك، فإنه يمكن قطعه بالحجة والبرهان، قال: والفرق بينهما أن الآدمي يقع منه الكلام بالسؤال والجواب، والحال معه محصور، فإذا راعى الطريق وأصاب الحجة انقطع، وأما الشيطان فليس لوسوسته انتهاء، بل كلما ألزم حجة زاغ على غيرها على أن يفضي بالمرء إلى الحيرة – نعوذ بالله من ذلك.

والحديث أخرجه البخاري (6/ 336)، ومسلم (2/ 154).

(2) مسلم (مع النووي: 6/ 68).

الحرز الثالث عشر: وهو حرز يُحفظ به البيت ويُحفظ به الطعام من الشيطان، ألا وهو ذكر الله عند دخول البيت وعند الطعام:

ففي صحيح مسلم(1) من حديث جابر بن عبد الله ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول: **«إذا دخل الرجلُ بيتَه فذكر الله عند دخُوله وعند طعامه قال الشيطانُ: لا مبيت لكم ولا عَشَاء، وإذا دخل فلم يذكُر الله عند دخُوله قال الشيطان: أدركْتُم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال: أدركْتُم المبيت والعَشَاء»**.

وعن حذيفة ﷺ قال: كنا إذا حضرنا مع النبي ﷺ طعامًا لم نضع أيدينا حتى يبدا رسولُ الله ﷺ فيضع يدَهُ، وإنا حضرنا معه مرة طعامًا فجاءت جارية كأنها تُدفع(2) فذهبت لتضع يدها في الطعام فأخذ رسول الله ﷺ بيدها ثم جاء أعرابيٌّ كأنما يُدفَعُ فأخذ بيده، فقال رسول الله ﷺ: **«إن الشيطان يستحلُّ الطعام أن لا يُذْكر اسم الله عليه، وإنه جاء بهذه الجارية ليستحلَّ بها، فأخذت بيدها فجاء بهذا الأعرابي ليستحلَّ به فأخذتُ بيده، والذي نفسي بيده إن يده في يدي مع يدها»**(3).

الحرز الرابع عشر: وهو حرز يقوله من نزل منزلًا، ألا وهو قول: (أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق).

فأخرج مسلم(4) في صحيحه من حديث خولة بنت حكيم السليمة ﷺ قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إذا نزل أحدُكم منزلًا فليقل: أعُوذُ بكلمات الله التامات**

---

(1) مسلم (13/ 190/ مع النووي).

(2) في رواية: «كأنها تطرد» يعني لشدة سرعتها، قاله النووي. وعند مسلم رواية من حديث جابر مرفوعًا: «إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه حتى يحضره عند طعامه فإذا سقطت من أحدكم اللقمة فليمط ما كان بها من أذى ثم ليأكلها، ولا يدعها للشيطان فإذا فرغ فليلعق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه تكون البركة».

قال النووي رحمه الله: فيه التحذير من الشيطان والتنبيه على ملازمته للإنسان في تصرفاته، فينبغي أن يتأهب له ويحترز منه ولا يغتر بما يزينه له.

(3) مسلم (مع النووي 13/ 187).

(4) مسلم (مع النووي 17/ 31).

من شرِّ ما خلق، فإنه لا يضرُّه شيءٌ حتى يرتحل منه».

الحرز الخامس عشر: (حرز يُقال عند الجماع):

أخرج البخاري ومسلم من حديث ابن عباس ڤ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لو أن أحَدَهم إذا أراد أن يأتي[1] أهله قال: بسم الله اللهم جنبنا[2] الشيطان وجنِّب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره[3] الشيطان أبدًا».**

الحرز السادس عشر: قراءة الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة:

أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي مسعود الأنصاري ڤ قال: قال النبي ﷺ: **«من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»[4].**

وأخرج الحاكم[5] بإسناد صحيح من حديث النعمان بن بشير ڤ عن النبي ﷺ أنه قال: **«إن الله تبارك وتعالى كتب كتابًا قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام وأنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة ولا تُقْرآن في دار فيقربها شيطان ثلاث ليال».**

---

(1) أي: يجامع أهله.

(2) في رواية: «جنبني».

(3) قيل: المعنى لم يفتنه عن دينه ويرده إلى الكفر وليس المراد عصمته من المعصية فإن كل بني آدم خطأ، وقيل: لم يضره بمشاركة أبيه في جماع أمه، وقيل: المراد لم يطعن في خاصرته عند ولادته، قلت: ويرد الأخير قول رسول الله ﷺ: **«ما من مولود يولد إلا ويطعن الشيطان.... إلا ما كان من مريم وابنها».**

وفي الحديث الإشارة إلى ذكر الله ودعائه من الشيطان والتبرك باسم الله والاستعاذة به من جميع الأدواء، وفيه الاستشعار بأنه الميسر لذلك العمل والمعين عليه، وفيه إشارة إلى أن الشيطان ملازم لابن آدم لا ينطرد عنه إلا إذا ذكر الله.

والحديث عند البخاري (مع الفتح 9/ 228)، ومسلم (10/ 5 مع النووي).

(4) قيل في معنى الحديث جملة أقوال، منها: أنهما كفتاه شر الشيطان، والحديث أخرجه البخاري (9/ 55)، ومسلم (6/ 91).

(5) الحاكم في المستدرك (1/ 562)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح.

الحرز السابع عشر: (حروز عند النوم):

عن عائشة ف أن رسول الله ﷺ كان إذا أخذ مضجعه نفث في يديه وقرأ بالمعوذات(1) ومسح بهما جسده.

وفي بعض روايات البخاري(2) ومسلم: كان إذا اشتكى نفث في يديه بالمعوذات ومسح بهما جسده.

حرز آخر عند النوم: آية الكرسي:

عن أبي هريرة (3)ف قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذْتُه وقلت: والله لأرْفعنَّك إلى رسول الله ﷺ، قال: إني محتاج وعليَّ وعيالٌ ولي حاجَةٌ شديدةٌ قال: فخليتُ عنه فأصبحتُ فقال النبي ﷺ: **«يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟»** قال: قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالًا فرحمْتُه فخليتُ سبيلَه قال: **«أما إنه قد كذبك وسيعود»** فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ إنه سيعود فرصَدته فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال: دعني فإن محتاج وعليَّ عيال لا أعود، فرحمته فخليت سبيله فأصبحتُ فقال لي رسول الله ﷺ: **«يا أبا هريرة ما فعل أسيرك؟»** قلت: يا رسول الله شكا حاجةً شديدة وعيالًا فرحمته فخليتُ سبيله. قال: **«أما إنه قد كذبك وسيعود»** فرصدته الثالثة فجعل يحثو من الطعام فأخذتُه فقلت: لأرْفعنك إلى رسول الله ﷺ وهذا آخر ثلاث مراتٍ تزعُم أنك لا تعود ثم تعود قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها قلت: ما هن؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ **[البقرة: 255]** حتى تختم الآية فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربنك شيطان حتى

---

(1) المراد بالمعوذات: قل هو الله أحد والمعوذتان، والحديث عند البخاري (مع الفتح 125/ 11).

(2) انظر البخاري (مع الفتح 8/ 131)، ومسلم (مع النووي 14/ 183).

(3) أخرجه البخاري معلقًا (مع الفتح 4/ 487).

تُصبح، فخليتُ سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: **«ما فعل أسيرك البارحة؟»** قلت: يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلماتٍ ينفعني الله بها فخليت سبيله قال: **«ما هي؟»** قلت قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ وقال لي: لن يزَالَ عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تُصبح، وكانوا أحرص شيءٍ على الخير، فقال النبيُّ ﷺ: **«أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا ابا هريرة؟»** قال: لا، قال: **«ذاك شيطان»**.

الحرز الثامن عشر: حرز عند دخول الخلاء:

وأخرج البخاري ومسلم(1) من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: كان النبي ﷺ إذا أراد أن يدخل الخلاء قال: **«اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث»**.

الحرز التاسع عشر: التعوُّذ بالله عند الغضب:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ **[الأعراف: 200]**.

وفي الصحيحين(2) من حديث سليمان بن صرد ﷺ قال: كنت جالسًا مع النبي ﷺ، ورجلان يستبَّان، فأحدهما أحمر وجهه وانتفخت أوداجه فقال النبي ﷺ: **«إني لأعلَمُ كلمةً لو قالها ذَهبَ عنه ما يجِد، لو قال: أعُوذُ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يجد»**، فقالوا له: إن النبي ﷺ قال: تعوذ بالله من الشيطان، فقال: وهل بي جنونٌ؟!

الحرز العشرون: التعوذ بالله عند سماع نباح الكلاب ونهيق الحمير:

ففي الصحيحين(3) من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: **«إذا سمعتم**

---

(1) البخاري (10/ 242 مع الفتح)، ومسلم (375).

(2) البخاري (مع الفتح 10/ 465)، ومسلم (16/ 163).

(3) البخاري (مع الفتح 6/ 350)، ومسلم (مع النووي (17/ 46).

صياح الديكة فاسألوا الله من فضْلِه فإنها رأت ملَكًا، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان فإنه رأى شيطانًا».

وفي مسند الإمام أحمد من حديث جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمير من الليل فتعوذوا بالله فإنها ترى ما لا ترون»**(1).

الحرز الحادي والعشرون: ترك الخلوة بالنساء:

أخرج الإمام أحمد، وعبد بن حميد من حديث عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«.. ولا يخلون رجل بامرأة فإن الشيطان ثالثهما»**(2).

الحرز الثاني والعشرون (حروز للرؤيا):

عن أبي قتادة(3) **ﷺ قال:** قال النبي ﷺ: **«الرُّؤيا الصالحة من الله، والحُلم من الشيطان، فإذا حَلَم أحدُكم حُلمًا يخافه فليبصق عن يساره وليتعوذ بالله من شرِّها فإنها لا تضُرُّه».**

وفي رواية في الصحيحين من طريق أبي سلمة قال(4)**:** كنت أرى الرؤيا تمرضني حتى سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: **«الرؤيا الحسنة من الله فإذا رَأَى أحدُكُم ما يحب فلا يُحَدِّثُ بها إلا من يُحب، وإذا رأى ما يكره فليتعوذ بالله من شرها ومن شرِّ الشيطان، وليتفل ثلاثًا ولا يحدث بها أحدًا فإنها لن تضره».**

وعن أبي سعيد الخدري(5) ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«إذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها فإنها من الله فليحمد الله عليها وليحدِّث بها، وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان فليتسعذ من شرها ولا يذكرها لأحد فإنها لن تضره».**

---

(1) أحمد (5/ 193)، وأبو داود (5/ 331) وهو صحيح لشواهده.

(2) انظر تخريجه بتوسع في «المنتخب» لعبد بن حميد (بتحقيقي رقم 23) وهو صحيح لغيره.

(3) أخرجه مسلم (مع النووي 15/ 20).

(4) البخاري (مع الفتح 12/ 430)، وقد تقدم.

(5) البخاري (مع الفتح 12/ 369).

وعن جابر بن عبد الله ڤ عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثًا، وليتستعذ بالله من الشيطان ثلاثًا، وليتحول عن جنبه الذي كان عليه»**(1).

وعن أبي هريرة (2) عن النبي ﷺ قال:

«إذا اقترب الزمانُ لم تكد رؤيا المسلم تكْذُب، واصدَقُكم رؤيا أصدَقُكُم حديثًا، ورؤيا المسلم جزء من خمس وأربعين جزءًا من النبوة، والرؤيا ثلاثة، فرؤيا الصالحة بُشرى من الله، ورؤيا تحزينٌ من الشيطان، ورؤيا مما يُحدِّث المرء نفسَه، فإن رأى أحدُكم ما يكره فليقُم فليصلِّ ولا يُحدِّث بها الناسُ».

الحرز الثالث والعشرون: الأذان:

فقد أخرج البخاري ومسلم(3) من حديث أبي هريرة ڤ أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضُراط(4) حتى لا يسمعَ التأذين، فإذا قُضي النداء أقبل، حتى إذا ثُوِّب بالصلاة أدْبَر حتى إذا قُضي التثويب أقبلَ حتى يخطر بين المرء ونفسه يقول: اذكر كذا اذكر كذا لما لم يكن يذكر حتى يظل الرجل لا يدري كم صلى»**(5).

الحرز الرابع والعشرون: ترك قول (لو) المصحوبة بالاعتراض على القدر:

عن أبي هريرة ڤ قال: قال رسول الله ﷺ: **«المؤمن القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير. احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز،**

---

(1) مسلم (مع النووي 15/ 20).

(2) مسلم (15/ 20).

(3) أخرجه البخاري (2/ 84)، ومسلم (ص 291).

(4) وفي رواية لمسلم: **«إن الشيطان إذا سمع النداء بالصلاة أحال له ضراط حتى لا يسمع صوته، فغذا سكت رجع فوسوس، فإذا سمع الإقامة ذهب حتى لا يسمع صوته، فإذا سكت رجع فوسوس».**

(5) في بعض الروايات عند مسلم زيادة: «فهنَّاه ومنَّاه وذكَّره من حاجاته ما لم يكن يذكر».

وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أني فعلتُ كان كذا وكذا ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن (لو) تفتحُ عملَ الشيطان»[1].

الحرز الخامس والعشرون: رد التثاؤب:

أخرج البخاري[2] من حديث أبي هريرة ڤ عن النبي ﷺ قال: **«إن الله يحب العطاس، ويكره التثاؤب، فإذا عطَسَ أحدُكم وحَمدَ الله كان حقًّا على كل مُسْلم سمعه أن يقول له: يرحمك الله، وأما التثاؤبُ فإنما هو من الشيطان فإذا تثاءب أحدكم فليردُّه ما استطاع، فإن أحدَكُم إذا تثاءب ضحِكَ منه الشيطان»**.

---

(1) قال النووي رحمه الله: قال القاضي عياض: قال بعض العلماء: هذا النهي إنما هو لمن قاله معتقدًا ذلك حتمًا، وأنه لو فعل ذلك لم تصبه قطعًا، فأما من ورد ذلك إلى مشيئة الله تعالى بأنه لن يصيبه إلا ما شاء الله فليس من هذا، واستدل بقول أبي بكر ڤ في الغار: «لو أن أحدهم رفع رأسه لرآنا».

قال القاضي: وهذا لا حجة فيه؛ لأنه إنما أخبر عن مستقبل وليس فيه دعوى لرد قدر بعد وقوعه، قال: وكذا جميع مع ذكره البخاري في باب (ما يجوز من اللو) كحديث : **«لولا حدثان عهد قومك بالكفر لأتممت البيت على قواعد إبراهيم»**، و**«لو كنت راجمًا بغير بينة لرجمت هذه»**، و **«لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك»** وشبه ذلك لا اعتراض فيه على قدر فلا كراهة فيه؛ لانه إنما أخبر عن اعتقاده فيما كان يفعل لولا هذا المانع وعما هو في قدرته، فأما ما ليس في قدرته،قال القاضي: فالذي عندي في معنى الحديث أن النهي على ظاهره وعمومه لكنه نهي تنزيه، ويدل عليه قوله ﷺ: **«فإن لو تفتح عمل الشيطان»** أي: يلقي في القلب معارضة القدر ويوسوس به الشيطان. هذا كلام القاضي.

قلت: وقد جاء من استعمال كلمة «لو» في الماضي قوله ﷺ: **«لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي»**، وغير ذلك. فالظاهر أن النهي إنما هو على إطلاق ذلك فيما لا فائدة فيه، فيكون نهي تنزيه لا تحريم، فأما من قاله تأسفًا على ما فات من طاعة الله تعالى أو ما هو متعذر عليه من ذلك ونحو هذا فلا بأس به، وعليه أكثر الاستعمال الموجود في الأحاديث والله أعلم.

والحديث أخرجه مسلم (16/ 215).

(2) البخاري (مع الفتح 10/ 611).

وفي رواية لمسلم[1]:

«إذا تثاءب أحدكم في الصلاة فليكظم[2] ما استطاع، فإن الشيطان يدخل»

وفي رواية: **«فليمسك بيده»**.

الحرز السادس والعشرونك ذكره ابن القيم واستفاض فيه:

فقال: إمساك فضول النظر والكلام والطعام، ومخالطة الناس، فإن الشيطان إنما يتسلط على ابن آدم، وينال منه غرضه من هذه الأبواب الأربعة، فإن فضول النظر يدعو إلى الاستحسان، ووقوع صورة المنظور إليه في القلب، والاشتغال به، والفكرة في الظفر به.

فمبدأ الفتنة من فضول النظر، كما في المسند عن النبي ﷺ أنه قال: **«النظرة سهم مسموم من سهام إبليس، فمن غضَّ بصره لله أورثه الله حلاوة يجدها في قلبه إلى يوم يلقاه»**[3]. أو كما قال ﷺ.

فالحوادث العظام إنما هي كلها من فضول النظر، فكم من نظرة أعقبت حسرات لا حسرة؟ كما قال الشاعر:

كل الحوادث مبدها من النظر ... ومعظم النار من مستصغر الشرر

كم نظرة فتكت في قلب صاحبها ... فتك السهام بلا قوس ولا وتر؟

وقال الآخر:

وكنت متى أرسلت طرفك رائدًا ... لقلبك يومًا أتعبتك المناظر

---

(1) مسلم (18/ 122).

(2) قال النووي رحمه الله: قوله: «فليكظم» الكظم هو الإمساك، قال العلماء: أمر بكظم التثاؤب ورده= =ووضع اليد على الفم لئلا يبلغ الشيطان مراده من تشويه صورته ودخول فمه، وضحكه منه.

(3) في إسناده ضعف.

رأيــت الــذي لا كُلَّــهُ أنــت قــادر عليـه، ولا عـن بعضـه أنـت صـابر

وقال المتنبي:

وأنــا الــذي جلــب المنيــة طرفــه فمــن المطالــب، والقتيــل القاتــل؟

ولي من أبيات:

يــا راميًــا بســهام اللحــظ مجتهــدًا أنـت القتيـل بمـا ترمـي، فـلا تصـب

وباعـث الطـرف يرتـاد الشـفاء لـه تَوقَّـــه، إنـــه يرتـــد بالعطـــب

ترجـو الشـفاء بأحـداق بهـا مـرض فهل سمعت ببرء جـاء مـن عطـب؟

ومفنيًــا نفســه فــي إثــر أقــبحهم وصـفًا للطـخ جمـال فيـه مسـتلب

وواهبًــا عمــره فــي مثـل ذا سـفها لو كنت تعرف قدر العمـر لـم تهـب

وبائعًــا طيــب عــيش مالــه خطــر بطيــف عــيش مــن الآلام منتهــب

غبنـت والله غبنًـا فاحشًـا فلـو اســ ــترجعت ذا العقد لم تغبن ولم تخـب

ووارِدًا صــفو عــيش كلــه كــدر أمامـك الـورد صـفوًا لـيس بالكـذب

وحاطب الليل في الظلماء منتصبًا لكل داهية تدني من العطب

شاب الصبا والتصابي بعد لم يشب وضاع وقتك بين اللهو واللعب

وشمس عمرك قد حان الغروب لها والضي في الأفق الشرقي لم يغب

وفاز بالوصل من قد فاز وانقشعت عن أفقه ظلمات الليل والسحب

كم ذا التخلف والدنيا قد ارتحلت ورسل ربك قد وافتك في الطلب

ما في الديار وقد سارت ركائب من تهواه للصب من سكنى ولا أرب

فأفرش الخد ذياك التراب، وقل ما قاله صاحب الأشواق في الحقب

ما ربع مية محفوفًا يطوف به غيلان أشهى له من ربعك الخرب

ولا الخدود إن أدمين من ضرج أشهى إلى ناظري من خدك الترب

منازلًا كان يهواها ويألفها أيام كان منال الوصل عن كثَب

فكلمـــا جليـــت تلـــك الربـــوع لـــه يهوى إليها هوى المـاء فـي صبب

أحيـا لـه الشـوق تـذكار العهـود بهـا فلـو دعـا القلـب للسـلوان لـم يجـب

هـذا وكـم منـزل فـي الأرض يألفـه وما له في سواها الـدهر من رغـب

ما في الخيـام أخـو وجـد يريحـك إن بثثتـه بعـض شـأن الحـب، فـاغترب

وأسـر فـي غمـرات الليـل مهتـديًا بنفحـة الطيـب لا بالنـار والحطـب

وعـاد كـل أخـي جـبن ومعجـزة وحارب النفس لا تلقيك في الحرب

وخـذ لنفسـك نـورًا تستضـيء بـه يوم اقتسام الورى الأنوار بالرتب

فالجسـر ذو ظلمـات لـيس يقطعـه إلا بنـور ينجـي العبـد فـي الكـرب

والمقصود: أن فضول النظر أصل البلاء.

وأما فضول الكلام فإنها تفتح للعبد أبوابًا من الشر كلها مداخل للشيطان، وفإمساك فضول الكلام يسد عنه تلك الأبواب كلها. وكم من حرب جرتها كلمة واحدة. وقد قال النبي ﷺ لمعاذ: **«وهل يُكبُّ الناس على مناخرهم في النار إلى حصائد ألسنتهم»**(1).

---

(1) صحيح لشواهده: أخرجه أحمد من طرق عن معاذ بن جبل ڤ مرفوعًا (5/ 231، 236، 237)،

وفي الترمذي: أن رجلًا من الأنصار تُوفِّي فقال بعض الصحابة: طوبى لـه. فقال النبي ﷺ: **«فما يدريك؟ فلعله تكلم بما لا يعنيه، أو بخل بما لا ينقصه»**(1).

وأكثر المعاصي: إنما يولدها فضول الكلام والنظر. وهما أوسع مداخل الشيطان. فإن جارحتيهما لا يملان، ولا يسأمان، بخلاف شهوة البطن، فإنه إذا امتلأ لم يبق فيه إرادة للطعام.

وأما العين واللسان فلو تُركا لم يَفْتُرا من النظر والكلام، فجنايتهما متسعة الأطراف، كثيرة الشعب، عظيمة الآفات.

وكان السلف يحذورن من فضول النظر، كما يحذرون من فضول الكلام، كانوا يقولون: ما شيء أحوج إلى طول السجن من اللسان.

وأما فضول الطعام: فهو داع إلى أنواع كثيرة من الشر، فإنه يحرك الجوارح إلى المعاصي، ويثقلها عن الطاعات، وحسبك بهذين شرًّا. فكم من معصية جلبها الشبع وفضول الطعام، وكم من طاعة حال دونها؟

فمن وقي شر بطنه فقد وقي شرًّا عظيمًا.

والشيطان أعظم ما يتحكم من الإنسان إذا ملأ بطنه من الطعام، ولهذا جاء في بعض الآثار: **«ضيقوا مجاري الشيطان بالصوم»** وقال النبي ﷺ: **«ما ملأ آدمي وعاء شرًّا من بطن»**(2).

ولو لم يكن في الامتلاء من الطعام إلا أنه يدعو إلى الغفلة عن ذكر الله عز وجل، وإذا غفل القلب عن الذكر ساعة واحدة جثم عليه الشيطان ووعده، ومَنَّاه وشهاه، وهام به في كل واد. فإن النفس إذا شبعت تحركت وجالت، وطافت على أبواب الشهوات، وإذا جاعت سكنت وخشعت وذلت.

والترمذي (2616) وقال: هذا حديث حسن صحيح: وابن ماجه (3973)، وغيرهم.

(1) أخرجه الترمذي رقم (2316) من طريق الأعش عن أنس وقال: هذا حديث غريب.

قلت: وسنده منقطع إذ إن الأعمش لم يسمع من أنس ڤ.

(2) صحيح أخرجه أحمد (4/ 132) وانظر الكلام عليه في التسهيل.

وأما فضول المخالطة: فهي الداء العضال الجالب لكل شر، وكم سلبت المخالطة والمعاشرة من نعمة. وكم زرعت من عداوة، وكم غرست في القلب من حزازات، تزول الجبال الراسيات وهي في القلوب لا تزول، ففي فضول المخالطة خسارة الدنيا والآخرة، وإنما ينبغي للعبد أن يأخذ من المخالطة بمقدار الحاجة.

ويجعل الناس فيها أربعة أقسام:

متى خلط أحد الأقسام بالآخر، ولم يميز بينهما دخل عليه الشر.

أحدها: من مخالطته كالغذاء لا يستغني عنه في اليوم والليلة، فإذا أخذ حاجته منه ترك الخلطة ثم إذا احتاج إليه خاطه هكذا على الدوام، وهذا الضرب أعز من الكبريت الأحمر، وهم العلماء بالله وأمره، ومكايد عدوه، وأمراض القلوب وأدويتها الناصحون لله ولكتابه ولرسوله ولخلقه، فهذا الضرب في مخالطتهم الربح كل الربح.

القسم الثاني: مَنْ مخالطته كالدواء، يحتاج إليه عند المرض. فما دمت صحيحًا فلا حاجة لك في خلطته، وهم من لا يستغنى عن مخالطتهم في مصلحة المعاش، وقيام ما أنت محتاج إليه من أنواع المعاملات والمشاركات والاستشارة والعلاج للأدواء ونحوها، فإذا قضيت حاجتك من مخالطة هذا الضرب بقيت مخالطتهم من:

القسم الثالث: وهم مَنْ مخالطته كالداء على اختلاف مراتبه وأنواه وقوته وضعفه.

فمنهم مَنْ مخالطته كالداء العضال، والمرض المزمن، وهو من لا تربح عليه في دين ولا دنيا، ومع ذلك فلابد من أن تخسر عليه الدين والدنيا أو أحدهما، فهذا إذا تمكنت منك مخالطته واتصلت، فهي مرض الموت المخوف.

ومنهم مَنْ مخالطته كوجع الضرس يشتد ضربه عليك فإذا فارقك سكن

الألم.

ومنهم مَنْ مخالطته حمى الروح، وهو الثقيل البغيض العقل، الذي لا يحسن أن يتكلم فيفيدك، ولا يحسن أن ينصت فيستفيد منك، ولا يعرف نفسه فيضعها في منزلتها، بل إن تكلم فلكامه كالعصي تنزل على قلوب السامعين، مع إعجابه بكلامه وفرحه به، فهو يُحدث من فيه كلما تحدث، ويظن أنه مسك يطيب به المجلس، وإن سكت فأثقل من نصف الرحا العظيمة التي لا يطاق حملها ولا جرها على الأرض، ويذكر عن الشافعي رحمه الله أنه قال: ما جلس إلى جانبي ثقيل إلا وجدت الجانب الذي هو فيه أنزل من الجانب الآخر.

ورأيت يومًا عند شيخنا – قدّس الله روحه – رجلًا من هذا الضرب والشيخ يحمله، وقد عفت القوى عن حمله، فالتفت إليَّ وقال: مجالسه الثقيل حمى الربع. ثم قال: لكن قد أدمنت أرواحنا على الحمى، فصارت لها عادة. أو كما قال.

وبالجملة: فمخالطة كل مخالف حمى للروح، فعرضية ولازمة، ومن نكد الدنيا على العبد أن يبتلي بواحد منهذا الضرب. وليس له بد من معاشرته ومخالطته فليعاشره بالمعروف، حتى يجعل الله له من أمره فرجًا ومخرجًا.

القسم الرابع: مَنْ مخالطته الهلك كله ومخالطته بمنزلة أكل السم. فإن اتفق لآكله ترياق، وإلا فأحسن الله فيه العزاء، وما أكثر هذا الضرب في الناس لاكَثّرهم الله. وهم أهل البدع والضلالة، الصادون عن سنة رسول الله ﷺ، الداعون إلى خلافها. الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجًا، فيجعلون البدعة سنة، والسنة بدعة، والمعروف منكرًا، والمنكر معروفًا.

إن جردت التوحيد بينهم قالوا: تنقصت جناب الأولياء والصالحين، وإن جردت المتابعة لرسول الله ﷺ قالوا: أهدرت الأئمة المتبوعين، وإن وصفت الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله من غير غلوّ ولا تقصير قالوا: أنت من المشبهين.

* * *

الخاتمة

بهذا ينتهي هذا المختصر اللطيف لتفسير (جزء عم) أسأل الله أن ينفعنا به والمسلمين وأن يجعله في موازين حسناتنا يوم نلقاه، وما كان فيه من صواب فمن الله وحده فله النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه، وجزى الله خيرًا من أسدى إلينا نصيحة أو قدَّم لنا معروفًا وصلى اللهم على نبينا محمد وسلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

والحمد لله رب العالمين.....

تأليف

أبي عبد الله مصطفى بن العدوي

فهرس الموضوعات

مقدمة المؤلف

سورة النبأ

سورة النازعات

سورة عبس

سورة التكوير

سورة الانفطار

سورة المطففين

سورة الانشقاق

سورة البروج

سورة الطارق

سورة الأعلى

سورة الغاشية

سورة الفجر

سورة البلد

سورة الشمس

سورة الليل

سورة الضحى

سورة الشرح

سورة التين

سورة العلق

سورة القدر

سورة البينة

سورة الزلزلة

سورة العاديات

سورة القارعة

سورة التكاثر

سورة العصر

سورة الهمزة

سورة الفيل

سورة قريش

سورة الماعون

سورة الكوثر

سورة الكافرون

سورة النصر

سورة المسد

سورة الإخلاص

سورة الفلق

الوسائل التي يندفع بها شر الحاسد عن المحسود

سورة الناس

الأحراز التي يحترز بها العبدُ من الشيطان

الخاتمة

فهرس الموضوعات

* * *